

دار م. النحاس

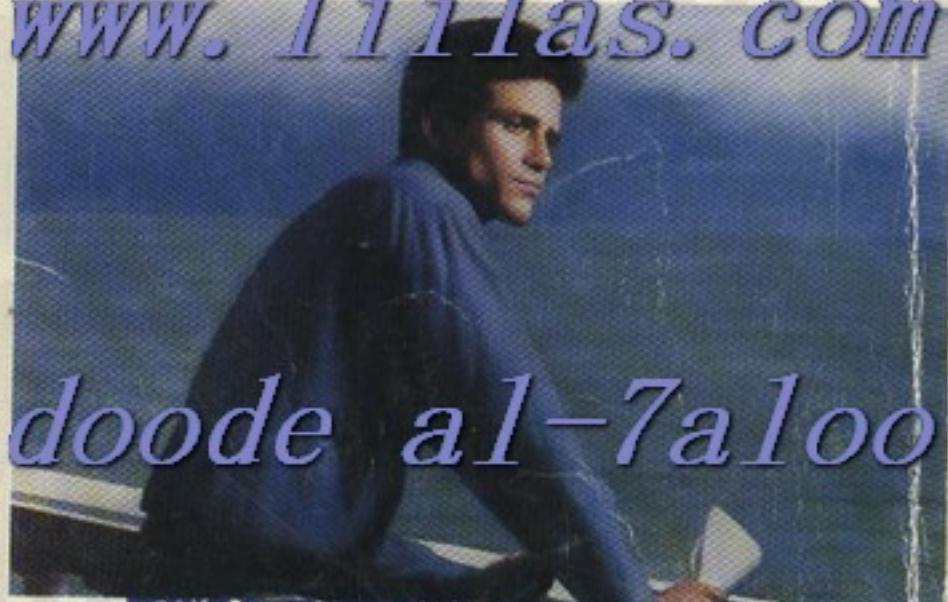


HARLEQUIN
سلسلة قصص و

رجل صعب

كاي غريغوري

www.liilas.com



doode al-zaloo



رجل صعب

كاي غريغوري

«طالما أنت هنا، يجب، على الأقل، أن تتصرف
بطريقة متمدنة ومهنية»

قاطعته بعنوية: «الا تعني بذلك، الخنوع؟»
«لا تدفعي الأمور إلى نهاياتها، أرجوك، أنا أ فقد
صيري معك بسرعة..»

فقالت متهمكة: «إنك تخيفني. ماذا ستفعل، إذا أنا
فعلت ذلك؟»
«تفعلين ماذا؟»

«أدفعك لفقدان الصبر معي؟»
«أنت حفارة، تريدين أن تعرفي ما سيحصل، أليس
ذلك؟ حسناً، لقد أصبحت متحمساً مثلك كي أجعلك
تحصلين على مرادك..»

كاي غريغوري

ترعرعت كاي غريغوري في إنكلترا ولكنها انتقلت للعيش في كندا عندما أصبحت في سن المراهقة. وهي تقيم الآن مع زوجها في مدينة فانكوفر. لهما ولدان انتقلا للعيش بعيداً عنهم، ولم يبق لهما ما يرعيانه إلا كلب العائلة. تنتقلت كاي بين وظائف لم تعد تتذكر معظمها، لكثرتها عددها، ولكن أفضل هذه الوظائف كان كتابة الروايات العاطفية لشركة ميلز آند بون.

«طالما أنت هنا، يجب، على الأقل، أن تتصرفي بطريقة متمدنة ومهذبة».

قاطعته بعذوبة: «ألا تعني بذلك، الخنوع؟»
«لا تدفعي الأمور إلى نهاياتها، أرجوك، أنا أفقد صبري
معك بسرعة».

فقالت متهكمة: «إنك تخيفني. مازا ستفعل، إذا أنا فعلت ذلك؟»

«تفعلين مازا؟»

«أدفعك لفقدان الصبر معى؟»

«أنت حقاً، تريدين أن تعرفي ما سيحصل، أليس كذلك؟
حسناً، لقد أصبحت متحبساً مثلك كي أجعلك تحصلين على
مرادك».

١٠٣٢

*Riwayat Abir 1032*

رجل صعب

كاي غريغوري

*al-7aloo*

دار

مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

لتنبه الا تبتاع هذه الرواية من غير غلاف لأنها قد تكون مسروقة.
فيجب إبلاغ الناشرين لأن الكتاب الذي لم يبيع، يجب إتلافه، فمالي من
الكاتبة أو الناشرين لم يتناصروا شيئاً لهذه النسخة المسروقة.

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالإنجليزية:

AN IMPOSSIBLE KIND OF MAN

Copyright © by Kay Gregory 1992

ISBN 0-263-77760-X

Mills & Boon first edition October 1992

الطبعة العربية الاولى عن مؤسسة النحاس ١٩٩٤

عنوان الطبعة العربية

رجل صعب بقلم كاي غريغوري

ترجمة: أميل هلال

سلسلة روايات عبير ١٠٣٢



حقوق النشر باللغة العربية محفوظة ومحضورة في جميع
البلدان لمؤسسة النحاس للتوزيع الصحف والمطبوعات -
بيروت (دار م. النحاس) بتخفيض من هارلوكوبن إنتربرايز
ليمتد (Harlequin Enterprises Limited).
جميع الحقوق محفوظة. باستثناء استعماله في أي مرجمية،
يمنع استنساخ هذا الكتاب أو استعماله كلياً أو جزئياً بأي
شكل وبأي جهاز من الأجهزة الإلكترونية أو الميكانيكية أو
وسائل الأخرى، المعروفة الآن أو التي يتم في ما بعد
اختراعها، بما في ذلك الوسائل الزيبروغرافية والتصوير
والتسجيل أو تخزين أي معلومات منها أو استعادتها بأي
جهاز من الأجهزة، من دون الحصول على إذن من الناشر.
كل شخصيات هذا الكتاب ليس لها وجود خارج خيال الكاتبة،
وليس لها أية علاقة بأي شخص قد يصادف ويتشابه اسمه مع
أحد الأسماء في الكتاب ولا تستند شخصيات الكتاب، أو
الأسماء التي تحملها إلى أية شخصية تعرفها، أو لا تعرفها
الكاتبة، بل كل أحداث الرواية هي من نسج الخيال الصرف.

العنوان: مؤسسة النحاس للتوزيع الصحف والمطبوعات - بيروت - لبنان شارع فردان بنية رضوان الطانق
التابع: ص.ب: ١١٧١٨: - فاكس: ٨٦٦٤٩٩ - هاتف: ٨٦٦٤٩٨ - ٨٦٥٣٧١ - سجل تجاري:
٧٥٠ - بيروت. تسجيل الملامة التجارية في وزارة الاقتصاد دار م. النحاس للنشر ٥٩٤٣٩ - روايات
غير مؤسسة النحاس ١٩٩٣ | ٥٩٤٤٠ - هارلوكوبن إنتربرايز - روايات عبير | ٤١٦٦٦

الفصل الأول

نامت برونوين تلك الليلة نوماً عميقاً، فقد كانت تعاني من ضعف شديد ولم تكتشف حتى وقت مبكر قبل الظهر أنه ورد خبر في الصحيفة يقول أنها توفيت.

استيقظت في الصباح على صوت رجلين يتباولان الصراخ في الشارع. وعندما وقع نظرها المرهق على ورق الجدار المكسو بزهور دوار الشمس المتقدمة جفلت وأغمضت عينيها مرة ثانية.

ولما كانت في الليلة الماضية مرهقة إرهاقاً شديداً لم تعر أي اهتمام إلى المكان الذي تنام فيه، طالما لم يكلفها ذلك كثيراً. أما الآن فأصبحت تدرك تدريجياً أن الفندق الذي انتهى بها المطاف إلى النزول فيه كان من النوع الذي يمكن نعته على الأرجح بالقذر.

فتنهدت وخرجت متندعة من الفراش وتوجهت، بعد أن ارتدت ثياب السفر البالية النظيفة التي كانت ترتديها أمس، إلى الطابق الأسفل سعياً وراء فطور متأخر جداً.

وحينما كانت تتحنى في المطعم المهمل المجاور فوق مائدة ملطخة بالزيوت وقع بصرها على صحيفة تركها خلفه أحد الزبائن - ولمحت فقرة قصيرة على صفحة خلفية ورد فيها: «فتاة غامضة قتلت في حادث سيارة أجرة.»

تناولت قضمة من قطعة الخبز المحمص المدهون

بالزبدة، ولاحظت أنه كان ساخناً وهشاً، كما يقدم في بيته في ولز، وألقت نظرة سريعة على الخبر الذي جاء فيه أن امرأة شابة وصلت حديثاً من بريطانيا قتلت البارحة في شارع بندر بفانكوفر، عندما صدمت السيارة التي كانت هي إحد ركابها، حافلة. وقد نجا السائقان وركاب الحافلة. وأما المرأة الشابة فنقلت إلى المستشفى بسرعة، غير أنها توفيت بعد ساعات قليلة في ما بعد.

وتدعى الفتاة برونوين إفنز.

فإنزلقت قطعة الخبز المحمص من أصابعها واستقرت على الجهة المدهونة بالزبدة على الطاولة. فطرفت عينيها وأعادت قراءة الخبر مرة ثانية من أوله.

«لكتني لم أمت.» تمنت بصوت مرتفع، بينما كانت إحدى النادلات قائمة إليها لملء فنجانها مرة ثانية.

«يسريني سمع ذلك، يا عزيزتي.» قالت المرأة غير الأنique والمتوسطة العمر، وهي تبتسم جانبياً ببرونوين. «لا يمكنني أن أقول الشيء نفسه لجميع زبائني، على كل حال.» وألقت نظرة اشمئاز على رجل منحن فوق إحدى الطاولات غير الممر وهو مغمض العينين، يكاد أنفه يغرق في الحساء الذي كان يتناوله.

نظرت برونوين إلى أعلى بدھشة. «آه. لم أعن...» وأشارت إلى الخبر قائلة: «لقد انتهيت للتو من قراءة هذا المقطع في الصحيفة، وأظنه يعنيني، لأن سيارة الأجرة التي كنت فيها وقع لها البارحة حادث اصطدام، وكانت سيارة التي صدمتها، على كل حال، وليس حافلة.»

ألقت النادلة نظرة سريعة على الصفحة، وقالت موافقة:

«ذلك لا يعني لي كثيراً، يفترض بهم إعلام أقرب أنسبياتها أولاً».

غصت برونوين، ثم توقفت فجأة عن السعال الخافت، وقالت، وهي عابسة: «أقرب الأنسبياء... آه، يا الله. لو أن مايكل يرى إحدى الصحف...» وقفزت واقفة فكادت توقع فنجان القهوة الممتليء، وألقت ببعض النقود على الطاولة، وهرعت مسرعة نحو الباب.

«هاي». نادت الخادمة: «هاي هاي، يا آنسة، لقد تركت كثيراً...»

غير أن برونوين لم تكن تصغي إليها. فلم يكن لديها متسع من الوقت ل تستخرج أوراق العملة غير الشائعة. إذ كان يترتب عليها أن تعود إلى المستشفى وتزور مايكل. كان يرقد في المستشفى جريحاً، وذلك الأمر كان سينماً بما فيه الكفاية. ولا يحتاج لصدمة إضافية حيال وفاة شقيقته. وفكرت باشمئاز وهي تسرع الخطى لتلحق بالحافلة التي ستقلها إلى وجهتها مباشرة، بأنه لم يبدُّ قلقاً على أعمالها خلال السنوات الثمانى الماضية.

وصعب عليها أن تصدق أن وقتاً طويلاً قد مضى منذ أن غادر هو وسلاميد بونتغلاس فجأة... وهذا التصرف كسر قلب والديه. بعد رحيل مايكل، تقدما في العمر بسرعة. وعندما هاجمهما المرض بعد ثلاث سنوات كانت قدرتهم على المقاومة قد ضعفت، وفارقا الحياة خلال أسبوعين تاركين برونوين المالكة الوحيدة للمحل، الذي كانا يحلمان بتوريثه لابنها.

قبل وفاة ذويه كان مايكل قد كتب مرة أو مرتين لهما

يطلعهما على أنه بخير وسعيد في العيش بكندا. لكن في السنوات الخمس التي مرت فقد ذلك الحنين، ولم يكتب لهما على الإطلاق. وذلك لم يفاجئ برونوين كثيراً لأن تلك هي طبيعة شخصيته. عديم التفكير وغير مسؤول، ولكن ليس غليظاً عن عمد.

وعندما تلقت المكالمة الهاتفية البعيدة من شخص غريب ذي صوت حسن يطلعها فيها على إصابة أخيها بطعنة في عراك في الشارع، لم يفاجئها ذلك على الإطلاق. إلا أنها حزمت حقائبها فوراً، وتركت المحل برعاية زوجين متقاعدين كانوا يقدمان لها المساعدة أحياناً، واستقلت أول طائرة إلى فانكوفر.

أقلعت الحافلة، وألقت نظرة قلقة على ساعتها... ثم أدركت أن وقت النهار ليس له أهمية. أما مكان يهم فهو أن مايكل، الذي أصبح الآن معافى على طريق الشفاء، يجب ألا يرى الصحيفة قبل أن تصل هي إليه.

كان مايكل جالساً في فراشه، ينظر من وراء ميزان حرارة بياعجاب إلى ممرضة جميلة سوداء الشعر. استندت برونوين إلى إطار الباب، وقد شعرت بالوهن. وخالجها شعور بأن مايكل لا يمكن أن يغازل الممرضات بعينيه لو أنه سمع للتو أن شقيقته قتلت.

«برونوين!» صرخ متعجبًا، عندما كانت الممرضة الشابة تسحب ميزان الحرارة من فمه، ولملع وجه زائرته الأبيض، وقال: «ما خطبك؟ إنك تبدين بحالة أسوأ من حالي.»

ألقت برونوين نظرة على تنورتها وكنزتها. كانت ملابسها أنيقة بدرجة كافية، برغم الحرارة القليلة التي

اتسم بها المناخ بعد ظهر هذا اليوم من شهر أيار. لذلك لا بد أن مايكل قد أشار إلى وجهها.

قالت بسرعة: «إنني بخير. فقد صدمت بعض الشيء، ذلك كل ما في الأمر.» ووضعت كرسياً إلى جانب فراشه وراحت تروي له الخبر الذي جاء في الصحيفة. وعندما انتهت من ذلك، ألقى مايكل برأسه القاتم إلى الوراء وأطلق ضحكة. وقال: «يا للدهشة.» وجفل لأن الضحكة شدت قطب جرحة.

«إنني أتعجب كيف حصلوا على هذا الخبر.»
«لست أدرى على الأطلاق. يجب أن أنزل إلى دائرة الطوارئ وأحملهم على نفيه. فهناك ابتدأت المشكلة على ما أفترض.»

ابتسم مايكل وهو يقول: «سوف تدهشينهم. إنني أراهن على أنه لا يحدث في كل يوم أن تأتي إحدى جثثهم لطاردهم..»

ددمت برونونين بالموافقة، وهي لم تكن متأكدة كفاية من أنها قد استوعبت فكرة موتها الطريفة. «وعلى ذكر الجثث، إنك تبدو اليوم أفضل كثيراً، يا مايكل. وأظن أنك ستغادر إلى البيت في وقت قريب..»
«آمل ذلك.»

فحذقت به بقسوة، وقالت: «ولن يكون هناك بعد ذلك أي من ذلك القتال الأحمق.»
«طبعاً.» أجاب، بادياً عليه الندم. «فذلك لم يكن خطأي، كما تعلمين.»

«كلا.» قالت شقيقته بجفاء: «لم تخطئ مطلقاً.»
وبقدر ما يمكن أن تتذكر، لم يرتكب مايكل أي خطأ على

الاطلاق. وعندما وقع في المشكلة، بناء على روايته، كانت دائمًا غلطة شخص آخر... عادة غلطة سلайд. وقد أخذ به العجب عند ذاك لماذا لم يستحسن والداها صداقته مع الشاب الأكبر سنًا.

هزت برأسها، وعادت بقوة إلى الحاضر، أخبرت أخاهما أنه يجب عليها أن تنزل إلى دائرة الطوارئ، بما أنه يبدو في اللحظة الراهنة على ما يرام، لتزيل الإرباك الذي حتماً سوف يحدث مع تحسن حالتها الصحية الملحوظ.
وأردفت: «سأراك هذا المساء.» وتعجبت عندي لما جاءت حتى على ذكر ذلك.

وفكرت مستسلمة، بأنه بلغ التاسعة والعشرين من عمره، فهو أكبر منها بثلاث سنوات، وما زال عقله يشبه عقول الفتى ما دون العشرين. فأطلقت تنهيدة. ربما كان للهرمونات فعلها أيضاً.

أزاحت خصلة من شعرها الأحمر عن عينيها وأسرعت بخفة في الممر. لكنها لم تمش إلا بضع خطوات حتى أدركت أن الرجل الذي يلبس القميص الأبيض القادم باتجاهها، توقف فجأة قاطعاً عليها طريقها حتى لا يمكنها أن تتحرك.

«اسمح لي..» قالت، وأخذت خطوة جانبية وهي لا ترى إلا قميصاً أنيق التفصيل يغطي صدر رجل عامر العضلات. «برونونين؟» وكان الصوت مألوفاً، عميقاً حاداً وحسيناً بصورة غريبة، تغلّفه لهجة أميركية شمالية لم تُخف اللهجة البريطانية التي تنكرها.

رفعت نظرها بكل تؤدة، قائلة بصوت خافت: «سلайд..»

وهي تتحسس نضوب اللون من وجهها. وعند التقاء عينيها في النهاية بعينيه المحدقتين الزرقاويين التي لم تنسهما على الإطلاق، رأت أن لونه هو أيضاً قد تحول إلى اللون الأبيض... مع أنها لم تفهم كيف يمكن أي شخص أن يبدو أبيض بلونه الذهبي الطبيعي.

«برونوين إفنتز.» قال بصوت أخش، ومد يده للمسها، كأنه أراد أن يتتأكد من أنها كانت هي نفسها في الواقع. وأردف: «برونوين إفنتز. لكنك... يا إلهي.»

وأخذت الهرزة التي اعتبرت برونوين تتلاشى، وشعرت بغضبها القديم يعود إليها: «يمكنني أن أقول الشيء نفسه.» قالت بشكل جاف: «وكلت أفضل لو أنك كنت اختفيت من حياة مايكيل أيضاً. وكذلك ما هو الباعث على الدهشة حيال وجودي هنا؟ فأنا شقيقته، تذكر هذا.»

«نعم.» أجاب موافقاً، وكان صوته خالياً من التعبير: «وأؤكد لك أنني لم أختف. وأنت، من ناحية أخرى، لم تتوفى.»

فقالت برونوين: «شكراً لك. لم أفك بأنني كنت كذلك. إلا أنه من دواعي سروري أن أثبت ذلك.» وهمت بأن تخطأه، إلا أن يده أمسكت بها من مرفقها، وشاهدت عينيه الزرقاويين تلمعان بصورة خطيرة. وكما هي الحال دائماً عندما كانت تسمح لنفسها بالتفكير بسلاميد، لم تقو على عدم ملاحظة أن نوع شعره الأشقر الذي يشبه شعر قرصان اسكندنافي كان المرادف التام لتدينك العينين الجذابتين. والجذابتين كانت التعبير المناسب في هذه اللحظة، كما قررت. وبذا كانه لم يكن متاكداً من أنه أراد أن

يضحك أو أن يصفعها، فتراجعút خطوة بسرعة إلى الوراء عندما تركها ترحل، وتقوس فمه بابتسامه مترفعة.

وتمتم: «برونوين الصغيرة الخجولة، كيف تغيرت إلى هذا الحد. لقد اكتسبت لساناً حاداً منذ أن اجتمعنا آخر مرة..» وكان صوته متشوقاً وحالماً، لكنه خشن فجأة وقال: «لماذا، يا برونوين؟»

«عم تتساءل؟»

«ألا تسرك روبيتي؟ أظن أننا كنا صديقين..» صديقان؟ لم يكونا صديقين على الإطلاق. ربما كان هناك تعارف بينهما، إلا أنها لم تكلمه كثيراً عندما كان يجول مع مايكيل. لقد كان لاماً، دائماً محور الاهتمام، وبرونوين الصغيرة الخجولة لم تحب ذلك في الواقع كثيراً. وكانت تفضل لويد مورغان الهدائء في ذلك الوقت، بالإضافة إلى ذلك، لم يستحسن والداها، سلайд. وقد أخذها برأي برونوين الخاطئ، في أن تأثير نفوذه هو الذي دفع بابنهما لأن يفقد اهتمامه بعائلته وبال محل. ولم تكن لديها أية رغبة في زيادة قلقهما.

«لم نكن صديقين تماماً.» قالت بلا تحيز: «ولست مسؤولة بروبيتك بصورة خاصة، إذا كان لا بد أن تعرف. غير أن ذلك لا يهم، أليس كذلك؟ لقد جئت لزيارة مايكيل، على ما أظن.» وكانت ابتسامتها فاترة.

«لقد جئت لأطلع مايكيل على نبأ وفاتك، قبل أن يقوم بذلك أي شخص آخر.» فذكرتها عيناه الآن بالجليد الذائب. «لكن ذلك ليس ضرورياً على ما يظهر. غير أنه يهمني أكثر أن أكتشف في هذه اللحظة ماذا تفعلين، وأنك تقفين هنا على

قدمين جامدين، خلافاً لما ذكر في الصحيفة أنت وضعت في عنبر الجثث.»

«ذُكر بصورة غير موثقة. آسفة لاكون مخيبة للأمل..» كانت مستاءة ليس فقط من صوته، ولكن أيضاً من الإشارة الخالية من الاطراء إلى حذائهما الإيرلندي المسطحة. وكانت مستاءة أيضاً من إدراكها لاهتمامها بالأمر. يجب ألا تهتم لرأيه بحذائهما.

«آه، لست مخيبة للأمل..» قال وهو متوجه الوجه: «إنها صدمة، بالتأكيد، تماماً كأي شيء مشير. لكن ليس خيبة، أهل أوكد لك.» وجال بنظره فوقها ببرودة ومن دون تأمل مما جعلها تشعر بالحياة. وجعلها تشعر أيضاً بحرارة وعدم ارتياح وباحساس مزعج لرجوليتها ولجسمه التحيل الجذاب من دون شك.

وقالت فجأة: «على أن أنصرف، سيكون مايكل منتظرأ روبيك..»

«لقد شاهدني مايكل مرتين في اليوم منذ أن أنزل نفسه في هذا المكان. سيتذمر أمره جيداً من دوني لساعة أو اثنتين. أما أنت وأنا فستنزل إلى المطعم لنتحدث..» فقالت معتبرضة: «لكن على أن أذهب إلى دائرة الطوارئ..» وهمت بالانسحاب فيما التفت أصابعه الطويلة حول ذراعها.

«نذهب في ما بعد..»

«لا، إنني...»

ورأته يزم شفتيه ويقول: «برونوين إفنس، إن صبري ينفذ. لقد واجهت يوماً شاقاً في العمل، وعندما حصلت على

فرصة لأنقطع صحيفه وجدت أن شقيقة صديقي قتلت بحادث اصطدام. ومن ثم اكتشف أنها ما ببرحت حية تماماً، لكن بلسان في رأسها أقطع من حد السيف...»

«نعم، ولكن علي أن أقوم بزيارة دائرة الطوارئ..» قاطعته برونوين. إذ لم تشا التحول عن رأيها.

«يا عزيزتي، ما عليك عمله هو أن تنزلي معي إلى المطعم، فتتناولي فنجان قهوة وتتحدى. وإذا ما قدمت أية اعتراضات إضافية، أعدك بأنك ستكونين حالة طارئة. هل تفهمين؟»

عندما طرح الأمر بهذا الشكل فهمت برونوين تماماً. علاوة على ذلك، لم يكن هناك أي داع للإسراع إلى تصويب الخبر. ومهما كان ما قالته الصحيفة، فإنه لم يغير من أمرها شيئاً. أو فكرت بذلك، وهي تحدق بوجهه الجامد. على كل حال، عندما قبض سلайд وهو عابس الوجه على ذراعها بقوة وقادها إلى اليسار، كانت مرتبكة ومتزعجة، لتجد أنها شعرت بوخزة خفيفة.

وعندما شعر سلайд بأنها تتجمد ألقى نظرة على قمة رأسها. ما زال لونه أحمر نقياً، فكر سلайд. لم يصف أحد على الإطلاق شعرها بأنه ضارب إلى اللون الأحمر. ومع ذلك فقد أحبه. وكان دائمًا يحبه. وكانت تصفه بالطريقة البسيطة نفسها، فأنسب متناثراً فوق كتفيها. وما زالت بقع النمش فوق وجهها هناك أيضاً، والعينان الرماديتان الكبيرتان. وكان لها وجه رقيق الملامح... طواً بادي البراءة. لكن يبدو أن مزاجها بدأ يتتحول نحو الأسوأ منذ أن رأها لأخر مرة في السنوات الماضية.

فلم يعد مزاجها يتناسب مع ملامحها اللطيفة. فنقر بأصابعه على فخذه بصورة لا شعورية. قد يتوجب عليه القيام بعمل ما لبرونوين. ربما إقناعها بعدم جدوى مزاجها السيء. وفي أية حال، لقد تطلع بلهفة إلى ما يأمل بتحقيقه.

وبينما كانا يدخلان المطعم الصالح سألهما فجأة: «هل شاهد ما يأكل الصحف قبل وصولك إليه؟»
«كلا، لقد وصلت أولاً.»

«حسناً. تخلص من الصدمة على الأقل.» وأشار إليها بالتجه إلى طاولة خاصة نسبياً في الزاوية. وقالت ساخرة: «أشك في أن الصدمة كانت مزعجة إلى ذلك الحد.»

فهز رأسه موافقاً: «على كل حال، من ناحية، كنت مسروراً ببرؤية شبح يعود إلى الحياة، ولسانها يعمل بانتظام جيد..»

عبست برونوين، وسألته: «هل كان ذلك ساراً؟» وقد أرادت أن يبدو السؤال مهيناً إلا أنه بدا أشبه بالتوسل للتتأكد. لم تصل ابتسامته العريضة إلى عينيه، وأجاب: «في الوقت الراهن، نعم. بكل تأكيد. أما في ما إذا كانت ستبقى على ذلك النحو...» وهز بكتفيه: «بدأت اتساءل..»
فتحت فمهما، وقبل أن تتمكن من قول شيء ما، كان سلайд يبتعد.

وقال من فوق كتفيه: «انتظري هنا. أتأخذين شاي أم قهوة؟»
«شاي، إن سمحت.» أجبت برونوين التي كانت تفضل

القهوة. غير أنها عرفت أنه كان يعرف ذلك وشعرت بدافع لمفاجأته.

بعد أن انصرف، فكرت، من ناحية المفاجآت وفي ما يتعلق بالصدمة التي كانت سببها له اليوم، إن حق اختيارها المشروبات لم تأت على رأس قائمة اهتماماته. وكانت على صواب. عندما رجع وضع إبريق شاي أمامها وهو يبتسم ابتسامة ضيقة، وجلس ثم سألهما: «حسناً، أخبريني الآن ما هو ذلك الشيء السخيف الذي أورديته الصحيفة؟»

بلغت برونوين ريقها، وأجابت: «لم يكن ذلك خطأي..» وكانت مستاءة من لهجته، متضايقه قليلاً، مع ذلك، من الوميض الأزرق الفولاذى في عينيه.
هز سلайд برأسه وسألهما: «هل تعلمت تلك الطريقة من أخيك؟»

نما فيها الإستياء. ويجوز أن ذلك كان أحد طرق ما يكل المفضلة، إلا أن سلайд لم يكن له أية مصلحة في انتقاد أخيها، وليس بعد المشكلة التي كان هو نفسه السبب فيها. وربما وقعت تلك المشكلة قبل ثمانى سنوات، إنما نظراً إلى قرار ما يكل المتسرع للحاق به إلى كندا فإن نتائج سلوك سلайд غيرت حياتها.

أجابت، وهي ترفع ذقنها: «إنني قادرة على التحدث بنفسي..»

«حقاً؟ كنت غير معتادة على ذلك.»

«ربما لم أختر أن أتحدث إليك.» قالت وهي تحرك السكر في فنجانها دون أن تنظر إليه. وكان ذلك أسهل عليها، لأنه

خلال السنوات التي وقع فيها نظرها عليه لآخر مرة، قد اكتسب هالة مميزة من القوة ورجلة بالغة لم يحظ بها في شبابه إلى تلك الدرجة. وكانت مغربية بصورة ملحوظة. وكانت تدرك دائمًا أن فمه الثابت القاسي تقريباً وملامحه الصارمة التي يغطيها شعر أشقر كثيف تكتنف جاذبيته، لم تخف على الشباب المتهافتات في بونتغلاس. غير أنها كانت، على الأقل، في تلك الأيام متمنعة أما الآن فلم تكن متأكدة... وإذا ترتب عليها أن تستسلم لأي رجل، فحتى تنوي أن يكون سلايد.

رفعت الفنجان إلى شفتيها وشاهدت أصابعه الطويلة تنقر على الطاولة بایقاع. وعندما رفعت نظرها وهي تشعر بشيء من التهديد تحمله تلك الأصابع وجدت عينيه مثبتة عليها كالزجاج الأزرق البارد.

«كلا.» قال: «لم تختاري التحدث إلى، أصحح ذلك؟ وكما ذكر، كنت مشغولة جداً بمغازلة لويد مورغان بعينيك.»

شعرت برونوين ببرودة تجتاح عنقها وترتفع لتشمل أذنيها. «لويد؟» تمنت متسائلة بصوت خافت من دون أن تقدر على إشاحة نظرها عن تحديقه البارد: «أنا... لم أكن... لويد لم يكن...»

«كلا، هو لم يكن بكل تأكيد.» وافق سلايد.

أغمضت عينيها وهي تشعر بتوجه وجهها وتناولت نكريات الماضي تتدقق من جديد. وكذلك حتى سلايد كان يعرف أمر افتتانها بلويد. نعم، لا بد أنه كان يعرف. فالقرية بكاملها علمت ذلك. وإذا كان يحاول متعمداً أن يلحق بها

أذى لم يكن ليستطيع أن يقول أي شيء بمزيد من الحنكة ليجعلها تشعر مثل فتاة صغيرة سانحة. وما زالت غير قادرة على التفكير بلويد من دون أن تعايش من جديد تلك الأيام عندما أرادت أن تختبئ في أقصى زاوية منعزلة يمكن أن تجدها حتى لا يتمكن أي فرد من خداعها مرة ثانية أبداً.

وسمعت صوت سلايد عبر ضباب من الارتباك يقول بثبات: «إذا، الآن، يا برونوين، بقدر ما يتعلق الأمر بي، فإن الشعر الأحمر لا يبرر المزاج السيئ. وأود أن أعرف كيف وصل ذلك الخبر إلى الصحيفة.»

ذلك ما لا تستطيع برونوين أن تفسره: «كذلك أريد أنا أن أعرف.» قالت بجفاء فيما تستعيد بشرتها النمشة حالتها الطبيعية.

«أتعنين أنه لا تعرفين؟»

«وكيف يمكنني أن أعرف؟ لقد جئت من المطار فوراً إلى المستشفى. وبعد أن شاهدت مايكل أخذت سيارة أجراة. وكانت أود أن أطلب من السائق أن يوصلني إلى نزل رخيص لكن صدمتنا إحدى السيارات، واكتشفت نفسي أعود إلى المستشفى مرة أخرى.»

وسألتها بحدة: «هل لحق بك أي أذى؟»

«كلا، كلا، مجرد بعض الخدوش وجراح صغير في عنقي يغطيه شعرى، وقد تركوني أنصرف في الحال.» وعندما رأت أنه بدا متوجهماً، أضافت بجفاء: «أنا لم أكن مسروبة لاكتشاف وفاتي، لذلك يمكنك أن تتوقف عن التحديق بي كأنك تتمني لو أن ذلك الخبر كان حقيقياً.»

رحل مع مايكل، واكتشفت ماذ فعل، أصبح كرههاله شديداً. فلا عجب أن سلوكها أغضبه. وفكرت بحزن، مع أنه لم يظهر أنه قد تأثر بتصرفها وكان يستطيع أن يضحك، ساخراً إذا شاء ذلك، إلا أنها لم تكن قادرة على نسيان الماضي. فقد أساء إلى كثير من الناس الأبرياء.

«كلا». قالت الآن، رافضة السماح لنفسها منحه حتى طيف ابتسامة: «لا أحب أن أتناول أية قطعة من الفطائر، فشكراً. وما أوده هو معرفة كيف تورط مايكل في هذه المشكلة، فلم يود هو اطلاعي على الأسباب.» لم تكن تحب سلايد. أما إذا أصر على المحافظة على مرافقتها فسوف تقوم باكتشاف ما يمكن اكتشافه.

أجابها سلايد: «لست دهشاً.»

عبست برونوين قائلة: «لماذا؟ إن مايكل ليس مقاتلاً.» وتوقفت، ثمتابعت: «آه، افترض أنك تعني أنت...»

«كلا، يا ذات اللسان الحاد، لا أعني نفسي، ولم اعتد التورط في قتال الشوارع، إن لم أدفع إلى ذلك.»
«آه. إنك تعني مايكل...»

«لست متأكداً مما أعني، لأنني لم أكن هناك. وعلى كل حال، لي طريقتي في الحصول على المعلومات. ويظهر أن أخاك كان يخرج من الحانة مع جماعة من أصدقائه عندما وقع بصره...» وتردد في حديثه، مختاراً كلماته بدقة. «على فتاة صغيرة لعوب قد نقشت على خدها علامة واضحة بشكل ملفت للنظر فعلاً. فلا بد أن مايكل قد اعتبر ذلك دعوة.»

«ولم تكن كذلك؟» كانت ابتسامة سلايد واهية، وأجاب: «آه، لقد كانت ولكن

وضع سلايد فنجانه على الطاولة بعنف إلى حد توقعه معه برونوين أن ينكسر، وقال: «لا أحمل لك، يا برونوين إفز، على كل حال، أية نية سيئة. غير أنني أتمنى فعلاً، مع ذلك، لو كان هذا المكان أقل شعبية.»
«لماذا؟» سألته بشك.

«حاولي أن تستفزيني أكثر ويمكناً أن تكتشفني ذلك.»
«هـ.» تمنت برونوين: «وإذا كنت تتكلم كما يتكلم رجال الكهف عن شيء غامض فإن ذلك لا يؤثر في على الاطلاق.» برغم ذلك، فقد أثر بها بطريقة ما، حيثأخذت تخيل يدي سلايد تلامسانها حيث لا ينبغي ذلك.
وعندما نظرت إليه رأته يبتسم ابتسامة رائعة أقنعتها بأنه خمن بما كانت تفكر به تماماً.

«ألا يؤثر بك ذلك؟ لكنني لست متأكداً من أنني أود ذلك.» قال لها سلايد.

«نعم، تماماً، إنك لا تريدين ذلك.» أجبت برونوين بحدة.
«أرى ذلك.» وكانت عبارته باردة كصوته. «هل تريدين قطعة من الفطائر، يا عزيزتي؟ أو ربما عصير الليمون؟»
نظرت إليه عن كثب، فرأيت أثر رعشة في طرف فمه. يا إلهي. فالرجل كان يهراً بها. أو يحاول ألا يفعل ذلك.
وافتربت أن عليها أن ترى الناحية الهزليّة بنفسها.
فالاثنان لم يشاهدَا بعضهما بعضاً منذ ثمانين سنوات، ومن ثم قرأ أنها قتلت. وعندما اكتشف أن الرواية لم تكن صحيحة، وأنها ما زالت تتعافي من الصدمة، حيث كما تحيي عدو أقداماً كان قد اختفى. وتذكرت بأنهما في الأيام البعيدة الماضية، لم يكونا عدوين حقيقيين. وإنما، بعد أن

ليس له، كما عرف ذلك لاحقاً. وقد اكتشف ذلك عندما ظهر صديقها تأزره مع مجموعة وأذكر أنه نشبت مشاجنة صغيرة دنيئة، ووصلت الشرطة في نهاية الأمر. وضررت بعض الرؤوس ببعضها، وأوقفت مهاجم مايكل الذي كان يمسح الدم عن سكينه... وانتهى الأمر بأخيك هنا على الحمالة».

«آه،» تنهدت برونوين برعبر. وقالت: «أشياء مثل هذه لا تقع في بونتغلاس. باستثناء مرة واحدة عندما طاردت السيدة جونز السيدة غريفيث في الشارع العام وهي تحمل مقشرة بطاطا وذلك لأن السيدة غريفيث نعتت السيدة جونز بتيس أشمط. وهو كذلك».

همهم سلайд، ومدرجي، ومسح فمه بيده وقال: «أنكر. تلك الأوضاع تحمل مشابهات معينة، أوافق على ذلك..» والتقت عيناهما بنظرات مرح وتشاركا لبرهة ذكرى الماضي مما جعل برونوين تشعر بود مفاجيء مع هذا الرجل الذي كان قبل دقائق وجيبة يدفعها إلى التفكير بأنه إنما يخطط لهجوم ما.

«تقول إنك لم تكون مع مايكل،» قالت بحنر، متتجنبة كل أفكار العلاقة الحميمية.

«كلا. سترتاحين إذا عرفت أنني كنت أحاول أن أبقى خارج حياة مايكل بقدر المستطاع مؤخراً.» توقف ومن ثم تابع بأسلوب يخفى أسفه: «اعتذرنا في أحد الأوقات أن نطوف البلاد معاً كما أفترض أنه أطلعك على هذا. ولكن بعد أن انتقلنا إلى هنا قررت أنه حان الوقت لترسيخ وضعنا. ومن الطبيعي أنه عندما طلب مايكل عملاً مع الشركة التي

كنت في سياق انشائها كنت مسروراً لأن يكون هو مندفعاً إلى العمل».

وحدقت به برونوين بشك: «كنت؟»
 «لا تتظاهري بأنك فوجئت. فمهما يمكن أن يكون رأيك، فإن التخلص عن أصدقائي لم يكن أبداً أحد عيوببي، وكانت دائماً أفكر بأن أخاك الذي لا عيب فيه كان يملك قوى خارقة خفية لو أنه يمنحك نفسه فرصة فقط. وإنني أفترض أن هذا هو السبب الذي جعلنا نبقى معاً إلى هذا الوقت. إلا أنني أخشى أن مايكل لم يتحمل المسئولية المتوقعة منه، لذلك انسحب. ووجد لنفسه مكاناً خاصاً به وبأصدقائه أيضاً، مع سررت لسماعي ذلك.»

«وهل استطاع أن يتدارك أمره؟»
 هز سلайд كتفيه، واتسعت حدقتا عينيها وهي ترى عضلاته تشتد تحت قميصه. وقال: «إذا كانت الطعنات التي نالها هي ما تعنيه بذلك، عندئذ أفترض أن الجواب يجب أن يكون إيجاباً.»

حدقت برونوين به وقالت: «معنـي ذلك أنك قد تخلـيت عنه.»

فتحممت نظرات سلайд متسائلاً، واستطردت هي: «أجل، ليست المرة الأولى، أليس كذلك، أن تتخلى عن شخص ما؟ ذلك سيء جداً.»

«ما الذي ترميـن إليهـ يا بـروـنـوـينـ؟» سـائلـهاـ ذلكـ وـيدـاهـ تحـوطـانـ بالـفـنـجـانـ،ـ وـانـحـنىـ عـبـرـ الطـاـوـلـةـ كـانـهـ كانـ يـفضلـهـماـ أـنـ تـحـيـطـاـ بـهـاـ هـيـ.

عبست برونونين. كان يعطي انطباعاً مؤثراً كرجل كان فعلاً محيراً وغاضباً. فتدنى رأيها به وتساءلت: هل يفترق حتى للحشمة ليقر بذنبه؟

«أظن أنك تعرف ما أرمي إليه.» أجبت وهي تدير رأسها لتحقق بطبيب متمن بإنجذاب وهو يضع طبقة على المائدة المجاورة.

«لست بقاريء للأفكار، ولا أعرف شيئاً من هذا القبيل.» فقال بحدة: «وربما كان بإمكانك أن تساعدني على الفهم.» كان فعلاً غاضباً. وبذالها في غاية الوقاحة. وبيدو أنه يعتقد بأن له الحق في معاملة الناس بأية طريقة يختارها، من دون أي نوع من المحاسبة على ذلك.

«لا أعتقد أن هناك أية حاجة للتفسير.» ردت برونونين، وهي تسكت ما تبقى من شاي في فنجانها. ولم تكن يدها ثابتة تماماً فانسكت بعض السائل على الطاولة.

«هل سرق انتباحك المنظر؟» سخر منها سلайд وهو يلقي نظرة ذات معنى على الطبيب الشاب.

لكن برونونين فضلت عدم الرد. حدق بها سلайд وملامحه خالية من التعبير، وقال أخيراً: «حسناً، لا يمكنني أن أحملك على إجابتي، ليس هنا على الأقل، لم يعجبها معنى ذلك وأجبت: «كلا، لا يمكنك، لا سيما عندما تعرف الجواب مسبقاً. ولنعد إلى مايك...»

«لا أرغب في العودة إلى مايك.»

«حسناً، أنا أرغب في ذلك، فهو أخي.» فقد بلغ التاسعة والعشرين من عمره وهو قادر على اتخاذ قراراته.

أجل، افترضت أن ذلك كان صحيحاً بشكل ما. فقرارات مايك لم تكن دائماً قرارات صائبة، وغالباً ما كانت تحكم بها النزوات أكثر من الفطرة السليمة. والمثال الأفضل يكمن في نزوله المفاجئة لمرافقته سلайд إلى كندا من دون أن يتوقف ليفكر بأن والديه المحافظين علقوا الأمال على تحويل عمل العائلة إلى ابنهما. فبالنسبة إليهما، لم تكن ابنتهما، مع محبتها العميقـة لها، القادرة على تحمل المسؤولية. فقد كرهـت ذلك لمدة طويلة، تذكرـت بحزـنـ. أما في النهاـيةـ جعلـهاـ ذلكـ أكثرـ تصميـماًـ علىـ أنـ تـبرـهنـ لهاـ ولنفسـهاـ أنهاـ تستـطـيعـ النـجـاحـ كـأـيـ شـابـ آخرـ.

وقد فعلـتـ ذلكـ، إذـ أنـ المـحلـ قدـ اـرـتفـعـ إـيـرـادـهـ مـنـذـ آـنـ تـولـتـ إـدارـتـهـ.

إنـماـ يـبـدوـ أنـ لـاـ شـيءـ مـنـ ذـلـكـ قدـ غـيـرـ مـنـ الـوـاقـعـ. إـذـ إنـهـ تـجـلـسـ قـبـالـةـ رـجـلـ مـاـ زـالـ فـيـ اـمـكـانـهـ، بـرـغـمـ اـسـتـقـالـلـهـ، أـنـ يـخـيفـهـ بـمـجـرـدـ تـضـيـيقـ إـحـدـىـ عـيـنـيـهـ. وـكـانـ يـضـيقـ كـلـاـ عـيـنـيـهـ الآـنـ.

قال: «لو تـوقـفـينـ عنـ التـهـامـ ذـلـكـ الشـابـ المـورـدـ الخـدـينـ، بـنـظـرـاتـكـ، ربـماـ يـجـبـ أـنـ نـتـابـعـ طـرـيـقـنـاـ، فـمـاـ زـالـ لـدـيـنـاـ قـدـ كـبـيرـ مـنـ الـعـلـمـ بـعـدـ هـذـاـ الـظـهـرـ.»

توقفـتـ بـرـونـونـينـ عـنـ الشـعـورـ بـالـخـوفـ وـغـمـغـمتـ: «لـاـ أـلـتـهـمـ أـيـ شـخـصـ.» وـكـانـ لـاـ بـدـ مـنـ أـنـ تـغـمـغـمـ ذـلـكـ، وـإـلـاـ فـإـنـ الشـابـ الـورـديـ الخـدـينـ قدـ يـسـمـعـ قولـهـاـ وـتـابـعـتـ: «ربـماـ باـسـتـثـنـائـكـ، وـلـسـتـ أـعـنـيـ بـذـلـكـ مجـاملـةـ.»

«أـعـجـبـ لـمـاـذاـ لـاـ يـفـاجـئـنـيـ ذـلـكـ.» ردـ سـلـайдـ.

شعرـتـ بـرـونـونـينـ كـأنـ عمـودـهـ الـفـقـرـيـ سـيـنـقـصـفـ إـنـ هـيـ

تابعت جلوسها. «هل ذلك كل مالديك قوله؟» سألته وهي تبذل مجهوداً تحافظ به على صوتها خافتًا. أوقع أحد الأشخاص طبقاً وأحدث ضجة عالية، فما كان من سلайд إلا أن ترك كرسيه فجأة ووقف وهو يقول: «كلا، ليس كل ما لدى. ولكن، بما أنتي لا أود أن أقوله هنا، سنتوجه في الوقت الحاضر إلى دائرة الطوارئ لنطلعهم على واقعة الحادثة، وبعد ذلك سأعمل على الاستقرار بصورة لائقة...»

«لقد استقررت». أجايبت برونوين. «وأصلى ذلك، وقد تكونين كذلك. وكما كنت أقول سأعمل على استقرارك. وبعد ذلك أود أن أقدم لك عشاء... وستتابع الحدث. على الأرجح سوف تكتشفين أن لدى أشياء لأقولها لك أكثر مما توقعت». ثم أبعد الفنجان الذي كانت تمسك بأصابعها، وتناول يدها يوقفها على قدميها، وسألها: «أين هي أمتعتك؟»

أخبرته عن مكانها.

«يا للسماء، حتماً لا يمكنك أن تكوني حمقاء إلى هذا الحد؟»

«ماذا تعني؟» سألته برقه، وهي تختال لتسحق قدم حذائه الأسود بعقب حذائتها.

شتم ثم قال: «أعني هذا هو أسوأ جزء من المدينة يمكنك أن تختاريه». واستقر حذاؤه اللامع تماماً على قدمها بشكل متعمد. «ذلك لأن ثمنه زهيد». ولهبت، كان ضغط قدمه يشدّها أرضاً، على الرغم من عدم تالمها، إلا أنها لم تقو على الحراك.

ابتسم سلайд باشمئزاز، وانتظر حتى أسللت عينيها قبل أن يرفع قدمه، وقال: «لا يهمني إذا كانوا هم الذين دفعوا لك لتأخذني غرفتهم، فلن تقimi هناك..». «لقد أقمت..» أكدت له.

«ليس أكثر من ذلك، ويجب عليك الامتناع..»
«أوه، وأين تقترح أن أنتقل؟»

«لا أقترح..» أمسك بها من كتفها ودفعها بطريقة خالية من الاحترام باتجاه المخرج وقال: «إنني أنقلك إلى المكان الذي أقيم فيه، في هذه الساعة..» وعندما رأى شفتيها تفتران بسخطه، أضاف: «وإذا ما جادلتني أكثر، أذكرك، بأنني لست بعيداً عن تصرف رجل الكهف الذي نكرته أنت سابقاً. في الواقع، ومن خلال طريقة تفكيري الحالية، لست متأكداً مما إذا كان ذلك سيجلب لنا خيراً كبيراً..»

الفصل الثاني

حافظت برونوين على صمت مطبق حتى وصل الشارع، ثم قالت ببرودة جليدية، متجاهلة يد سلайд على كتفها: «علني ألح عليك في السؤال عن مكان ذهابنا؟» «كلا، أبداً، فنحن ذاهبان عبر الشارع إلى سيارتى..» «فهمت..» قالت بصوت يقطر توكلًا. «ولكن، بما أن دائرة الطوارئ تقع خلفنا مباشرة، فلا يجدون ذلك منطقياً، أليس كذلك؟»

توقف سلайд فجأة. وللمرة الثانية في مدى دقائق قليلة أراها كفافته في أكثر من ناحية في اللغة الانكليزية التي من الممكن أن تتصورها. وبعدئذ، بدون أن ينبع بكلمة، استدار وقادها عائدين إلى المستشفى. اختلست نظرة إلى وجهه، وحاولت أن تكتب ضحكة خافتة. بدا كفيحة عاصفة تتجمع فوق القطب الشمالي. وفكرت بأنها عاملته كما يستحق تسلطه.

عمت دائرة الطوارئ حالة من الذهول الشديد لإكتشاف أن الجريحة المتوفاة كانت حية وتحتج على مصيرها. إلا أنها لم يبلغها مرادهما، وجرى توجيههما إلى الإدارة. «إنهم مسؤولون عن منع حق الدخول والخروج..» أو ضح ذلك شاب كان مسرعاً، وهو يحدق ببرونوين كأنه يتوقع أن تتبت لها مخالب تنفس عنقه. «ميته أم حية، محتمل..» تفتم سلайд.

في البدء، رفضت تلك السيدة الضخمة التي كان عملها مقتصرأ على تصويب هذا الخطأ أن تصدق رواية برونوين. «مستحيل..» قالت بسخط، مشيرة لهما بيدها إلى مقاعد أمام مكتبهما قائلة: «إن موظفي الدائرة حراريسون جداً على الحفاظ على سجلاتهم..»

«إنني أكيدة من أنهم كذلك..» قالت برونوين بلهف: «ربما جرى الخطأ في مكان آخر. وعلى كل حال، إن ذلك التقرير الذي نشرته الصحفة ليس صحيحاً..»

همّشت السيدة الضخمة وألقت بنظره من فوق نظارتها، ونهضت واقفة بكبرياء على قدميها، حدقت بهما وانطلقت مسرعة لتجري محادثة خاصة مع زميلة لها.

«إنها متسلبة تجاهي..» أبدت برونوين ملاحظة وهي تلقي نظرة مزعجة على وجه رفيقها الصخرى. «وأعتقد أنها تتنمى ألا تكون قد بعثت فعلًا..»

«ليست مقتنة بآنك كذلك..» قال سلайд بجفاء وتخلٍ عن مظهره المتسلب، ومال برأسه جانبًا، وأضاف متخيلاً: «لنفكر بذلك، إنك تبدين فعلًا شاحبة قليلاً. هل أنت متأكدة...؟..»

« بكل تأكيد..» قالت برونوين، التي كانت تحاول مرة أخرى ألا تضحك. وإذا ظن سلaid أنه يصادف نجاحاً بتأثيرها بوجهه المستطيل غير المعبر، فإنه على خطأ. ورجعت السيدة الضخمة، وبعد وقت طويل من مراجعة العديد من الأوراق، والتحنخ والتحديق، أقرت بأن برونوين إفنس ما زالت على ما يظهر حية، أما بربارة إفنس، البالغة من العمر إثنين وسبعين عاماً، فهي التي توفيت.

كلامها كانتا قد وقعتا ضحبيتي حادثة سيارة أجرة، وكلامها كانتا ضيفتين من بريطانيا. فكيف انتهى الأمر بورود اسم برونونين إفنتز في خبر حادث سير في الصحيفة؟ هذا ما زال غامضاً. ولكن لم يكن ذلك خطأ المستشفى، من دون شك، أكدت لهما السيدة.

«إذاً خطأ من يكون ذلك؟» سأل سلайд، مطوقاً السيدة الضخمة بعينين زرقاويتين بغيضتين.

«هذا لا يهم». أسرعت برونونين قائلة: «فلا يهمني فعلاً غلطة من هي تلك، ولا يهمني كوني أنا حية أيضاً. أريد فقط تسجيل ذلك رسمياً».

وفوق أي شيء آخر، لم تفكر بأنها كانت تقوم بمهمة الحكم في صراع إرادات بين سلайд المغلق الشفتين وهذه الوصية على سمعة المستشفى.

«لقد جرى التسجيل على هذا النحو». غمغمت السيدة الضخمة بصوت كثيب.

اخفضت برونونين رأسها ووقفت بسرعة ولمست كتف سلайд. «هل يمكننا الذهاب الآن، أرجوك؟» طلبت ذلك بمحاولة متعمدة استداراً للشقة وقالت: «إنني متعبة جداً...».

وقف سلaid وقال: «حسناً إذا كان ذلك ما يرضيك...» «آه، أجل، أنا راضية تماماً». ولاحظت نفوره وقبضته على ذراعه، ممسكة بها كأنها كانت بحاجة إلى دعم. حدق بها سلaid بعبوس طفيف، ثم وضع يده فوق يديها وسرعان ما كانوا في الشارع.

أدركت برونونين أنها بدأت تشعر بجوع شديد، وتذكرت

أن سلaid كان قد نكر أمامها تناول طعام العشاء. وتذكرت أيضاً لسوء الحظ أنها كانت تنوى التخلص من قبضته عندما تحين الفرصة.

«لا أود البقاء معك». قالت بصرامة، وهي تبتعد عنه وها واقفان على الرصيف يستنشقان هواء شهر أيار الدافئ. «ولست بحاجة للتفكير بأن تهديدك يخيفني البتة، لأنه لا يخيفني..»
لم يجب سلaid.

«قلت لن أمكث معك». ردت وهو يأخذ ذراعها. وما زال على صمته، لكن قبضته اشتدت وهو يحثها على السير أمامه عبر الطريق. «سلaid..» وعرفت أن في صوتها توسلآ الآن، غير أنها لم تتمكن من لجمه. «سلaid أجبني..»
«اعتقدت أنك كنت متعبة». وفتح باب سيارة حمراء لامعة وأومأ لها بالدخول.

«وما علاقة ذلك بأي شيء؟»
« مجرد حقيقة أنك لا تبدين لي متعبة البتة. أنت تحبين الجدل كثيراً، هيا، ادخلـي..»
تراجعت إلى الوراء وهي تخدق بالباب الأحمر بشك. ومع أنها لم تعرف شيئاً عن السيارات، ظلت أن هذه السيارة يمكن أن تكون من نوع بورش.
«لست ذاتبة بصحبتك». قالت بحزم.

«آه، أجل، ستذهبين. ادخلـي..»

وسمعت الرنة الحقوـد في صوته، وتذكرت كـم كان النـزل كـريـها، وكم كانت جائـعة. ومن المـمكـن أن الرـضـوخ يـكون

أسهل كثيراً - وجميل أن أكون موضع عناء - لهذه الليلة فقط.

لو أنه لم يكن سلайд....

إلا أنه كان سلайд. وفكرة في وقت لاحق كيف حدث ذلك. في مدى ثوان اكتشفت نفسها ترفع وتلقى بسرعة في مقعد سيارته.

«لا تحاولي الهرب.» حذرها، واستدار بنفسه جالساً بجانبها.

توقفت أصابعها، التي كانت تتحرك بتسار نحو قبضة الباب، فجأة. وبينما انحني سلайд عليها واستل حزام مقعدها، شعرت مرة أخرى بحرارته ورائحته الآسرة. وشعرت بكسل غريب لم تحاول النزول، وفي لحظة، كانت السيارة تسير في الشارع بتمهل.

«يا إلهي!» تتم سلайд بعد برهة وجيبة، وبعد أن طاف حول نزلها أربع مرات بحثاً عن فسحة لتوقيف السيارة، وفي النهاية قطع شارعاً من أمام وجهتها.

«ماذا حدث؟» سالت برونوين، كارهة ضرورة التحدث إليه، إلا أنها كانت ضرورية تزيد ان تعلم ما إذا كان قد اكتشف إطاراً مثقوباً أو ثمة مشكلة أخرى أكثر خطورة.

«هذا المكان الوسيع. لا بد أنه كنت تائهة لتجدي هذا النزل المتداعي.» فتح باب السيارة وساعدها على الخروج، وهو يومئ نحو صناديق القمامات، ورجل نائم في إحدى الممرات.

قالت بعد قليل: «أخبرتك أنتي تهت لأجد نزاً رخيصاً.

فالعالم كله ليس ثرياً مثلك، يا سلайд. فلا تعيش الناس، غالباً، في أماكنه بهذه باختيارها.»

«آه!» قال سلайд: «إنك داعية إصلاح، وجديرة بالثناء. بالنسبة، ما الذي يحملك على التفكير بأنني ثري؟» لجمت برونوين بنجاح رغبتها في أن تلطمه على أنفه الشامي. «كان ممكناً أن أعيش معظم حياتي في قرية صغيرة.» أجبت: «ولكن لا يعني ذلك أنتي لا أعرف قميص الحرير عندما أشاهد واحداً. وإن لم أكن مخطئة، فالسيارة الحمراء اللامعة التي أقلتنا إلى هنا هي في الواقع من نوع بورش..»

«ألا تحبين سيارتي؟» سألها.

«إنها جميلة جداً.» أجبت برونوين بصوت ينم عن الصبر.

زم سلайд شفتيه وقال: «إنها لعبة مناسبة لولد صغير مفرط في النمو. هل ذلك ما تعنينه؟» اختلس برونوين نظرة إليه عندما مر مسرعاً بجانبها، مما جعلها تقفز لتجاريه في سيره.

رأت ملامحه القوية وكيفية المستقيمتين ومنظره الذي يوحى بكونه يتناسب تماماً مع أجواء المواصلات العامة أكثر مما يتتناسب مع سيارات البورش. كلا، ليس ولدأ صغيراً بالتأكيد.

«كلا.» قالت بيطره: «السيارة تناسبك.» التفت سلайд إليها وأجاب: «ذلك يبدو كأنه إطراء تقريراً. لكن، إذا ما اعتبرنا سجلك في هذا المضمار، افترض أنه ينبغي على أن أحترس من الرضا الذاتي.»

وحاولت برونوين ألا تبتسم. وعندما تكلم بتلك الطريقة، ونظر إليها مستفزاً ومستمتعاً كان في الإمكان أن تستكمل سلайд تماماً... إلى أن تذكرت ماذا فعل.

«أعتقد أنك كنت دائمًا راضياً عن نفسك قليلاً.» قالت ببرود، من دون أن تسمح لنفسها بالتمادي في الإعجاب به. «لديك سبب وجيه لأن تكون، بقدر ما يتعلق الأمر بذلك. فقد أوقعت جميع فتيات القرية بحبك في الفترة التي وصلت فيها لتقيم مع عمتك وعمك، كما أعجب بك الشبان كذلك... على الرغم من أنهم حسدوك على شعبيتك.»

توقف أمام باب النزل البني المخدش الذي تنزل فيه، وبدت عيناً سلайд قاتمتين، وقال باقتضاب: «ليس هناك الكثير لأحسد عليه. كنت في الخامسة عشرة، أحارب جاهداً أن أبو رو جل العالم بين أناس كانوا يعرفون بعضهم ببعضاً طيلة حياتهم. فالحقيقة أنني كنت مجرد فتى وحيد مات أبوه في حريق منزلي سببه أب مستهتر كان قد غفا وبيده سيكار مشتعل. فليس هذا سبباً وجيهأً يحمل على الرضى.»

«أوه!» قالت برونوين دون ارتياح. لا بد أنها سمعت برواية سلайд... كيف عاد إلى البيت بعد مشاهدته أحد الأفلام ليجد أبوه، اللذين كانا بعيدين عن المثالية، متوفيين... لكنها لم تسمعه أبداً يتحدث عن ذلك أمامها. فنظرت إلى وجهه متعجبة إذا ما كان يتوقع تعزية، فرأته في الحال أنه لم يكن كذلك. فظلت أنه كان يختبرها، ليり ردة فعلها، ويريد أن يفقدها توازنها، على الأرجح، حتى لا تتمكن من مقاومته عندما يحاول أن يجبرها على الانتقال إلى شقته.

«لقد نجحت.» قالت ببراعة موجزة.

«نجحت؟» وبدا كأنه فوجىء.

هممت، وقالت: «فكرة معظممنا أنك كنت مثيراً. بالتحديد رجل العالم.»

«معظممنا؟» رد برقه، وتوقف خارج غرفة رقم ستة، «لكن لم تكن برونوين إفنتز من دون شك.» ولم يده خدتها.

أطلقت ضحكة وهي متزعجة، وقالت: «اعتقدت أنك وسيم.» قالت ذلك دون أن تلتفت إليه.

«الأمر الذي لم يؤثر بك،» أجاب سلайд.

«مطلقاً.» قالت وهي تأخذ نفسها عميقاً ثم تطلب منه متسائلة: «ماذ تفعل هنا، يا سلайд؟ لماذا لا ترحل حالاً وتتركني...»

«ستنتقل خارج هذه الحفرة القذرة، هذا ما سنقوم بعمله. ولا أنسى أن أتركك وحدك في مدينة غريبة لا تعرفي فيها أحداً...»

«أعرف مايكل.» أجبت.

«المتمدد على ظهره في المستشفى، حيث يستحق أن يكون. وذلك لا يساعدك، للأسف.» أكمل سلайд حديثه.

«بحق السماء اسمع، يا سلайд.» قالت له: «لست بحاجة

للمساعدة، ولا أقدر على الدخول معك، فذلك ليس صواباً.»

«لِمَ لَا؟ أخافقة من أنتي سانتهز الفرصة وأنقض على جسدك الفاتن؟» نطق سلайд بهذه الكلمات الورقة، إلا أن برونوين شعرت أنه كان غاضباً.

«لقد مررت الفكرة برأسى.» قالت بجهاء، وهي تتمنى لو أنها استطاعت أن تفكر بجواب أفضل.

«حسناً، إلهي مرة ثانية. فانا لست معتاداً على التغريب بشقيقات أصدقاني، اللواتي يبدين أنهن لا يحبذن ذلك لسبب ما. ومن الناحية الأخرى، إذا قررت الشقيقات أن يغرنن بي...» وخفت صوته بتثاقل، وشعت العينان الزرقاواني بتحد واضح.

«بعيد الاحتمال.» قالت وهي تمطر شفتيها، ثم وضعت مفتاحها في القفل وفتحت الباب بدفعة قوية فصدر عن صرير عال. إذا كان سلايد سيرتفع إلى ذلك النوع من التحدي فإنه يكون قد خدع نفسه.

«كنت خائفاً من أن تقولي ذلك.» تتمم وهو يحنى كتفيه العريضتين ليدخل الغرفة الحقيقة. وعندما انتصب مرة ثانية طرفت عيناه وأضاف غير مصدق: «يا لها من تعasse. هل تعنين، يا برونوين، أن تطليعني بأنك استطعت أن تナامي فعلاً في هذا الكابوس المزهري؟ يبدو أنه يشبه نتيجة مجهد باحث مخلوب بذلها لانتاج زهور دوار الشمس الوحشية.» قهقهت برونوين ونسخت سخطها مؤقتاً وقالت: «أعرف ذلك. إنه لأمر فظيع، أليس كذلك؟»

«إنه تصريح لا يصور الفكرة بشكل أقل من الحقيقة. يتعارض مع شعرك أيضاً. لذلك، وبما أننا قررنا بصورة مؤكدة بأنني لن أقيم علاقة معك من دون موافقة، هل يمكننا، من فضلك، أن نجمع أمتعتك ونخرج من هنا قبل أن تهاجمنا هذه الزهور اللعينة؟ لدى شعور بأن إدراها في الزاوية تعتقد أنني عشاء مفضل.»

«لا تكن سخيفاً.» فكرت برونوين بالاحتجاج مرة ثانية، لكن سلايد الطيب القلب الساخر إلى حد ما كان أشد إقناعاً

من متعدف متسلط والذي أجبرها على الاتيان به إلى هنا في المقام الأول. تستطيع أن تثق به تقريباً. وعلى أية حال، فهي متاكدة من ثقتها بنفسها - وهو على صواب حيال زهور دوار الشمس. فالزهور القائمة فوق مائدة الطعام الخلعة تحدق بعينها السوداء بها.

تناولت خفين وقميص نوم أبيض شفافاً وحشرتهما في حقيبتها وأغلقت غطاءها.

وبعد دققيتين، بينما كان سلايد يجتاز الدرج ثلاثة درجات في وقت واحد وكانت هي تقفز في أثره، حاولت في الوقت نفسه أن تخمن كيف نجح في حملها على تنفيذ ما يريد تماماً. وكان سؤالاً محيراً، لأنه بعد إدارة المحل بمفردها لمدة خمس سنوات أصبحت برونوين تنتظر عمل معظم الأشياء كما تريده هي تماماً.

فقررت أن الشيء كله، ربما، يمكن أن يعزى إلى تصادم ثقافة، قلق، وشعور مبني علىأمل أكثر من أي شيء آخر، بأن سلايد لم ينشأ لها أن تصاب بأي أذى. ولم تكن تلعب دوراً مهماً. وإذا كانت تقوم بذلك، فإن ذلك الدور لم يكن في نيتها القيام به لمدة طويلة.

وعندما وصلت إلى السيارة وجداها محاطة بعدد من الفتيا الصغار. وكان أحدهم داخل الحلقة قد أطلق لحيته من أيام قلائل أمسك بقفل السيارة بعنابة.

أغمضت برونوين عينيها قليلاً. وكان سلايد قد قال إنه لم يتعد التورط في مشاحنات الشوارع، لكنه لم يؤثر عنه انه من الرجال الذين يحجون عن التصدي ولا يمنعون تعرض أملاكهم للخراب.

وقد فاجأها أنه بدلاً من أن يستطع غضباً وينزل متصدباً بقبحته، مشى عمداً نحو حفنة الفتيان الصغار المنهمكين وقال بصوت منخفض رقيق إنما يتخلله شيء من الحدة: «أعتقد أنتي سأستعمل مفتاحي، إذا لم تمانعوا، فإن هذه السيارة هي سيارتني. ربما يمكنني القيام بنقلكم إلى مكان ما؟ إلى مركز الشرطة، أتصور ذلك.»

فما كان من الفتى الصغار إلا أن ضحكوا، ورفع الفتى المطلق لحيته عينيه لأن القمر نزل على رأسه، وتلخص وجهه بالاحمرار، وأخذ يقول: «لا تحاول القيام بفعل أي شيء، يا سيد.»

«لم أكن أحاول أن أفعل شيئاً. واقتراح أن لا تحاولوا كذلك، وإلا ندمتم. وعلى كل حال، إذا قررت في أي وقت أن تحصلوا على معيشة شريفة، إليكم بطاقة. إذ يمكنني أن أقدم عملأً واحداً منكم يمكنه أن يستعمل يديه، كما يظهر ذلك من مظهركم.» وأوْمأ نحو باب البورش الذي فتحه منذ لحظة.

تحول وجه الفتى من أحمر قاتم إلى وردي شاحب، وهز برأسه كأنه يحاول نزع شيء غير متوقع علق في أذنيه.

«هل أنت مجنون؟» سأله الفتى وعيناه قلقتان. «ممكـن.» أجاب سلـايد. «والآن افسـحوا الطريق وأـعتقد

أنه حان الوقت لنـوصل هذه السـيدة إلى بـيتها.»

فـفرـغـتـ أـفـواـهـ الفتـيـانـ غيرـ مـصـدـقـةـ وـسـلـاـيدـ يـناـولـ بـرـوـنـوـينـ يـدـهـ وـيـأـتـيـ بـهـاـ عـبـرـ الجـمـاعـةـ الصـغـيرـةـ المـدـهـوـشـةـ.

وعـنـدـماـ نـظـرـتـ بـرـوـنـوـينـ فـيـ المـرـأـةـ وـهـاـ يـسـيرـانـ بـالـسـيـارـةـ،ـ شـاهـدـتـ العـصـابـةـ كـلـهـاـ،ـ مـعـ الرـجـلـ المـخـمـورـ

الذي كان ينام في الممر، يحدقون بهما كأنهما زائرين من الفضاء قاماً بزيارةً منذ برهة من الوقت. ففكـرتـ بـرـوـنـوـينـ بـأـيمـانـ لأنـ ذـلـكـ حدـثـ بـطـرـيقـةـ ماـ.ـ فـلاـ يـمـكـنـ أـنـ تـتـصـورـ أـنـ سـلـاـيدـ يـوـقـفـ سـيـارـتـهـ عـادـةـ فـيـ هـذـهـ النـاحـيـةـ مـنـ الـبـلـدـةـ.ـ وـلـمـ يـقـمـ بـذـلـكـ الـيـوـمـ إـلـاـ مـنـ أـجـلـهـاـ.

«أظنـ أـنـ ذـلـكـ الشـابـ كـانـ عـلـىـ صـوـابـ..ـ حـيـنـ قـالـ:ـ «إـنـكـ لـمـ جـنـونـ.ـ»

«أشـكـرـكـ،ـ إـنـهـ لـطـفـ مـنـكـ أـنـ تـقـولـيـ ذـلـكـ.ـ وـكـلـاـ،ـ حـقاـ،ـ يـاـ سـلـاـيدـ،ـ أـعـنـيـ،ـ وـلـاـ بـدـ أـنـ أـقـرـ بـأـنـكـ تـعـاطـيـتـ مـعـ الـوـضـعـ يـصـورـةـ حـسـنـةـ،ـ لـكـ لـمـاـ عـرـضـتـ عـلـيـهـ عـمـلـاـ؛ـ وـلـمـاـ جـازـفـ بـتـوـقـيفـ سـيـارـتـكـ هـنـاـ.ـ أـلـتـكـ الـمـسـأـلـةـ؟ـ كـانـ فـيـ إـمـكـانـيـ أـنـ أـسـتـقـلـ الـحـافـلـةـ.ـ»

«أـنـاـ لـاـ أـشـكـ أـنـهـ كـانـ بـمـقـدـورـكـ،ـ وـرـبـمـاـ إـلـىـ بـيـتـ غـيـرـ لـاقـ آخرـ،ـ وـيـجـوزـ أـنـ يـكـونـ عـلـىـ جـدـرـانـهـ صـورـ جـرـاءـ الـكـلـابـ هـذـهـ الـمـرـةـ.ـ»ـ وـقـبـيـضـ بـأـصـابـعـهـ الطـوـيـلـةـ عـلـىـ الـمـقـودـ،ـ مـتـابـعاـ:ـ «لـاـ أـعـنـيـ بـأـنـ أـتـرـكـ ذـلـكـ يـحـدـثـ،ـ يـاـ بـرـوـنـوـينـ.ـ وـدـوـنـ شـكـ أـعـرـفـ أـنـ سـيـارـتـيـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ تـدـوـمـ فـيـ هـذـهـ الـانـحـاءـ،ـ وـلـكـنـ،ـ بـمـاـ أـنـتـيـ لـمـ أـنـوـ أـنـ أـبـقـيـ طـوـيـلـاـ عـلـىـ كـلـ حـالـ،ـ فـيـنـ ذـلـكـ لـمـ يـكـنـ يـشـكـلـ مـسـكـلـةـ.ـ»

هزـتـ بـرـوـنـوـينـ بـرـأـسـهـاـ وـقـالـتـ:ـ «ـحـسـنـاـ فـهـمـتـ.ـ إـنـماـ تـقـدـيمـ عـمـلـ لـهـ فـلـاـ مـعـنـىـ لـهـ.ـ»

«ـرـبـمـاـ لـاـ.ـ إـلـاـ أـنـتـيـ قـطـعـتـ أـمـيـاـلـاـ قـلـيلـةـ فـيـ مـكـانـهـ.ـ فـقـدـ كـنـتـ بـلـاـ هـدـفـ وـمـثـبـطـ الـعـزـيمـةـ وـمـفـلـسـاـ إـلـىـ جـانـبـ أـبـوـينـ كـانـاـ دـائـماـ مـخـمـورـينـ تـمـاماـ.ـ لـوـ لـمـ يـتـوفـيـاـ،ـ وـتـقـومـ عـمـتـيـ تـيـرـيزـ بـتـرـبـيـتـيـ،ـ لـتـحـولـتـ أـنـاـ نـفـسـيـ إـلـىـ مـجـرـمـ صـغـيرـ.ـ»

حدقت به، ورأة الخطوط النحيلة على جانبي فمه الحاد... فهزت برأسها بعد برهة مؤكدة ذلك. وقالت: «كلا. لا يمكن أن تتحول. فإن ادتك قوية جداً لمنعك من الإنحدار إلى ذلك. إنك مغدور، بلا شك. إلا أنك قوي جداً». وعندما لم يجبها، أضافت بابتسامة صغيرة باهتة: «ولكن لو أنك لجأت إلى الجريمة، لكنت ببرعت فيها... ليس في حقل الجريمة الصغيرة..»

تقوس حاجباه فوق عينين زرقاءين لامعتين وهو يلتقط ليرشقها بنظرة ساخرة، وأجاب: «أعتقد أنه جميل جداً أن أكون صريحاً». «وماذا تعني بذلك؟»

«لقد كنت على وشك أن تدللي لي باطراء، فكم أنت محظوظة كونك سارعت إلى قول ذلك في الوقت المناسب..» حدقت به برونوين، وقالت باقتضاب: «مت shamix ومغدور كذلك.»

«آه، أفضل بكثير. فقد عرفت أنك لا تخذليني..» رأت شفتيه تنفتحان ويئن أنه طولية تنم عن رضا ذاتي. فأشاحت بوجهها عنه والتزمت الصمت وهي عابسة. ولم يعكر هو ذلك الصمت إلى أن دخلافي موقف سيارات تحت الأرض في مجمع شقق طويل في بونيت غراري رود.

«إنه مكان مظلم.» قالت بتردد بينما فتح سلايد الباب بسرعة.

«إنه غالباً تحت الأرض.» همهم سلايد. «ولذلك لدينا أشياء تدعى أضواء..» «نعم.» ولكن غصت برونوين وصمتت. كان على حق.

فالمكان مضاء كفاية. إنما هي كانت تكره الأمكنة القاتمة المغمورة منذ أن حبسها مايكيل في خزانة وهو يمزح معها ثم نسيها هناك حيث بقيت لأكثر من ساعة فيها، وقد تركت فيها الحادثة خوفاً دائمًا من الظلام. إلا أن ذلك لا يبرر سلوكها كتلميذة متوتة أمام سلايد... والذي كان يراقبها ويبيتسه ابتسامة صغيرة غريبة.

«تعالي..» قال لها: «فال المصعد هو من هذه الناحية..» وكانت سعيدة جداً أن تقبل بأن يأخذها من ذراعها بينما تسمع صدى خطواتهما فوق الخرسانة. وكان يستحبيل عليها أن تشعر بالواقع وهي متوتة لأنه يسير إلى جانبها... ملمساً من حين إلى آخر فخذله بجانبها مما أعطى انطباعاً مطمئناً ومثيراً كذلك إثارة مدهشة. «ذلك أنيق للغاية.» قالت برونوين، وعيناها لا تتحولان عن المصعد المفروش الذي يصعد على مهل. «أتعقدين ذلك؟» ابتسם لها، فشعرت برضاء وراحة غريبين.

وعندما توقفا في النهاية وأدخلها سلايد عبر ممر إلى غرفة مضاء إضاءة شديدة تأسر الألباب لم تر مثلها من قبل، لم تدق على كبت تنهيدة رغمًا عنها.

«أتعجبك؟» سألتها باقتضاب.

«إن.. إن هذا لا يصدق..» أجبت. وكانت حقاً كذلك. حيث أن جداراً بкамاله كان يشكل نافذة تطل على شرفة واسعة مواجهة لبحر يغور بالألوان. أما في الداخل، فكانت خضراء البحر تعكس في الألوان الزرقاء والخضراء الداكنة على المفروشات. وكان السقف عالياً، بالإضافة إلى سعة

المكان، ولم يكن على الأرض سجاد، فقط بلاط كبير أخضر وأبيض. وكانت اللوحات على الجدران، رسماها فنانون لم ينحدروا إلى مستوى الابتذال.

«حقيقة أن ذلك شيء لا يصدق؟» سألهما سلайд بجفاء. «افتراض أنك تعنين أنها عارية وباردة ولا تحاكي البتة منزلك الجميل؟»

«من دون شك، إنها مغایرة لبيتنا». أقرت وهي تفكير باللوحات المطبوعة وأغطية الأضواء التي لم تتකب عناء تغييرها منذ يوم وفاة والديها، «لكنها ليست عارية..». تابعت: «وغير محشورة بالتأكيد. غير أنني أعتقد أنها جيدة لهذه الفسحة.»

«إذن، أنت توافقين..»، والتقط خصلة من شعرها وعلقها وراء أذنها قائلاً: «وذلك يسعدني..».

شيء ما في لهجته جعل برونوين ترميه بنظرة حادة، إلا أن شفتينه تجعدتا بابتسمة صغيرة سلسلة ولم يجد من عينيه أي شيء.

«أين هي غرف المئامة؟» قالت من غير تفكير... وكان في إمكانها ألا تدفع نفسها إلى هذا السؤال. وتحولت البسمة الفتاتنة إلى نظرة ساخرة، تماماً كما عرفت أنها ستتحول إلى ذلك. «غرفة النوم..» صلح لها: «هناك واحدة فقط.»

شعرت برونوين بالخجل يثبت في عنقها ويصعد إلى الأعلى، وتحولت عنه بعيدة بسرعة.

وكان سلайд وراءها يضحك بشكل خافت، وأكملها بقوله: «طست بطائر أزرق.»

«ألاست كذلك؟ إن ذلك موضع نقاش. لكنه...»

«لكن ألم تخططي لتشاطريني فراشي؟ لا تقلقي، يجوز أن أتحمل الإحباط المدمر..»

آه، ستفعل ذلك جيداً، فكرت ببرونوين بعراة. نظراً لأنك لم تقدّم البتة. فإنك تهزاً مني.

وبصوت مرتفع، كل ما قالته كان: «إنه العون الثاني الكبير الذي حصلت عليه اليوم. فهل لي أن أطلب مثلك معرفة أين تتوقع مني أن أنام؟»

«في غرفة نومي..» أجاب.

تلك هي المسألة. لقد عانت من ضعف مؤقت في سلامتها عقلها، إلا أنها تعافت الآن.

و قبل أن تصلك إلى الباب بوقت طويـل كان سلـайд يلحق بها، ويقول لها، ممسـكاً ذراعـها ومديـراً إـيـاهـا بـقوـة: «لن أـتركـكـ، تـعـرـفـينـ ذـلـكـ.»

«لا يمكنـكـ أـنـ تـوقـفـنـيـ..» أـجـابـتـ وهيـ تـزـدـرـدـ رـيقـهاـ وـتـلـاحـظـ الـوـمـيـضـ الـخـاطـفـ فـيـ عـيـنـيـهـ. «ـعـلـىـ الـأـقـلـ...ـ» وـلـمـ تـكـمـلـ.

«ـعـلـىـ الـأـقـلـ أـنـ أـسـتـطـيـعـ، إـلـاـ أـنـ تـأـمـلـيـنـ أـنـيـ لـاـ أـقـدـرـ..» أـكـمـلـ عـنـهـاـ وـهـوـ يـرـفـعـ يـدـهـ الطـلـيقـةـ وـيـطـوـقـ بـهـاـ عـنـقـهـاـ مـنـ الـورـاءـ، وـقـالـ: «ـأـسـفـ أـنـ أـحـطـمـ آـمـالـكـ، يـاـ عـزـيـزـتـيـ، وـلـكـ سـأـوـافـكـ بـكـلـ تـأـكـيدـ..»

وـلـأـولـ مـرـةـ مـنـذـ أـنـ التـقـتـ بـهـ فـيـ مـمـشـىـ الـمـسـتـشـفـىـ شـعـرـتـ بـبرـونـوـينـ بـخـوـفـ قـلـيلـ مـنـ سـلـайдـ. وـكـانـتـ مـتـكـدـرـةـ وـمـنـزـعـجـةـ مـنـ قـبـلـ. حـتـىـ أـنـهـاـ كـانـتـ مـتـخـوـفـةـ. وـلـكـ لـيـسـ خـائـفـةـ.

وـيـجـبـ أـنـ يـكـوـنـ ذـلـكـ قـدـ بـدـاـ فـيـ عـيـنـيـهـ، لـأـنـهـ تـرـكـهـاـ فـجـأـةـ.

وقال بشيء من عدم الصبر: «بحق السماء، يا برونوين، أين تعتقدين أن أكون؟ سأناه في الخارج هنا على الأريكة، وأنت تتمتعين بغرفة النوم وحدك.»

«آه.» قالت وهي تشعر مرة أخرى بالخجل. على كل حال، لقد قدمت إلى هذا المكان بمحض إرادتها.

«هل ذلك يعجب سيادتك؟» سألها بصورة لاذعة.

لم تكن أكيدة من أنه سيناسبها على الاطلاق، إلا أن ذلك ربما كان متأخراً جداً للتغير فكرها. إنها بحاجة إلى مكان تنام فيه. وهي تثق تماماً بأن سلайд لن يغتنم الفرصة، ولليلة واحدة على الأقل فالأسهل أن تستسلم بدلاً من الجدل. ومع أن سلوكه كان في السنوات الثمانى الماضية قاسياً ويستحق التوبیخ، فلم يقترح أحد قط أنه سيفرض نفسه على فريسة مسلوبة الإرادة.

«ذلك يناسبني.» أجبت باقتضاب.

«هذا حسن. إنني مسرور للحصول على موافقتك، في النهاية.» ومسح جبهته بمنديل تعبيراً عن رضائه، وتتابع: «والآن وقد توصلنا إلى تسوية، ماذا تودين أن تفعلي. أن تتناولى الطعام هنا أو تخرجى للعشاء قبل أن تقومي بزيارة أخيك؟»

وسألته برونوين بشيء من الشك والدهشة: «هل تعنى أن في إمكانك أن تطهو؟»

«بالتأكيد لا. ولكن أنت تستطيعين.» أجاب سلайд.

فغرت فاما وقالت: «حسناً، من بين جميع الدعوات التي تلقيتها، بهذه يجب أن تكون أكثر الدعوات المتميزة لأن المرأة يقوم بخدمة نفسه بنفسه...»

«إنني عادة أتدبر فعلًا أمر القيام بخدمة نفسى بنفسي، كما أشرت. إلا أنه يمكنك أن تمتحن مظهر الغضب عن وجهك المرقط بالنمش. فالسيدة دوبل، التي تدير شؤون منزلي، هي في اجازة، وقد تركت الخزانة ممحشة بالأطباق التي يمكنني أن أتدبر أمرها.»

«أوه.» قالت برونوين.

«أوه، ليس جواباً.»

«جواب؟»

«برونوين، إنني لا اعتقد في الحقيقة أنك غبية. على الأقل اعتدت على أن لا تكوني كذلك، فهل تريدين أن تتناولى الطعام في الداخل أم في الخارج..»

إن ما كانت تريده فعلًا أن تفعله هو صفعه. فحدقت وقالت: «أوه.» مرة ثانية ثم توقفت وقالت: «في الداخل سيكون ذلك أسهل.»

ربما لن يكون ذلك أسهل، إلا أنها كانت متربدة في أن تدع سلайд يدفع مقابل وجبتها، وشعرت أنه سيرفض علناً السماح لها بشراء وجبتها. وآخر ما يحتمله مزاجها لهذه الليلة هو جدل جديد.

«صحيح.» قال سلайд، وهو يتحنى لتناول أمتعتها، وقال: «في تلك الحال سأريك غرفتك.»

ومرة أخرى وجدت برونوين نفسها تسير مهرولة وراء سلайд. في حين كان يخترق الطريق عبر ممر مدهون بالأزرق يفضي إلى غرفة نوم صغيرة مزданة بلون أسمر ذهبي. وكانت الغرفة دافئة متناقضة بصورة مفاجئة مع جو باقي الشقة الصغيرة.

«آه،» قالت بتعجب: «انها مخططة نظيفة كالاجزاء الأخرى، إلا أنها مختلفة...»

همهم سلайд موافقاً وقال: «أحب أن أكون دافئاً في سريري.» إن النظرة الجانبية التي وجهها إليها جعلتها تخجل إن هي سمحت لنفسها بأن تلتقي بعينيه. كان السرير كبيراً جداً، لاحظت أنه مصنوع من الخشب الداكن بقطاء ذهبي أصفر... يتسع لأكثر من شخصين... ووبحت نفسها على أفكارها بسرعة.

«هل أنت الذي زينت هذا المكان بنفسك؟» سألته لتشريح فكرها عن موضوع الفراش أكثر من أنها أرادت أن تعرف فعلًا: «لم أفعل ذلك.» قال لها: «ولذلك السبب أوظف إنساناً يعملون لي، وأطلعهم على ما أريد فعله، وهم يقومون بالتنفيذ.»

عبست برونوين، وراح تفتح الحقائب التي ألقى بها على السرير، وأعادت متسائلة: «يعملون لك؟ ولكن ماذا تعمل فعلًا، يا سلайд؟»

تنهد، وأجاب: «لا تنظرني إلى كأنك تشکین في أنني أمتهن أعمالاً قذرة. فالحقيقة هي أقل بكثير من أن تكون مثيرة.»

«إذن، ما هي الحقيقة؟»

«مجرد أنني بعد أن قضيت سنوات أتنقل في هذه البلاد من عمل إلى آخر وأهدر كثيراً من الوقت في المقطورات والبيوت النقالة، توصلت إلى تحسس مصلحة البيوت النقالة. لذلك قررت القيام بوضع خطة لهذا العمل وأسوقه لحسابي الخاص..»

«وكيف؟» سالت برونوين، التي ترى دائمًا الجانب العملي للأشياء: «فذلك يتطلب رأس مال.» أجاب

«عمدت إلى الحصول على من يقدم لي الدعم.» أدركت بنبرة تتسم بالدهشة... وربما كان ذلك في الحقيقة، شبه مشمئزة. يتوقع سلайд دائمًا أن يحصل على ما يريد، ونادرًا ما كان يعترف باحتمال عدم النجاح.

«وقد نجحت في مشروعك، دون شك.» قالت وعلى وجهها ابتسامة صغيرة جافة.

«يمكنك أن تقولي ذلك.»

أجل، جالت بفكيرها، وهي تفكر بالغرفة وبالمواعيد الممتازة التي تجري فيها، مستعدة في ذاكرتها سيارة البورش وقميص الحرير. أجل، يمكنها أن تقول ذلك بصورة أكيدة. فذلك ليس بالأمر السييء لشاب ترعرع في الأزقة السيئة، وانتقل بعد ذلك إلى قرية ريفية صغيرة. ذلك ليس شيئاً على الاطلاق.

«الطعام.» قال سلайд وهو يمسك بذراعها مما جعلها تقفز. «بإمكانك أن تتخلி عن تفريغ أمتعتك إلى وقت لاحق.» ووضع ذراعه حول خصرها مصادفة وسحبها إلى الصالة. وعندما تركها في الفترة التي وصلاً عبرها إلى فجوة المطبخ غمرها شعور مذهل بالندم... انحسر فوراً عندما قال سلайд: «أجل، هناك الثلاجة.» وانتظرها لتقوم بالخطوة التالية.

«جميل..» قالت برونوين وهي تلقي نظرة فاحصة على المحتويات.

«يوجد طعام.» قالت له.

فأجابها: «يسريني أن أسمع ذلك.»

وسمعت بجانبها تنهيدة سخط، إذ فتحت الغطاء. «يا عزيزتي، سيمكنك أن تجدي لنا شيئاً ما للتناوله.»

«أعتقد أنك قلت إنه بمقدورك أن تتدبر أمر تسخين بعض الأطباق المعدة سلفاً.» وراحت تتابع مرور قارب يحمل شراعاً أحمر وهو يمخر حالماً عبر المدخل.

«جائز أنني قلت شيئاً من ذلك القبيل، إلا أنني لست ماهراً في إعداد الطعام مطلقاً. فهل تريدينني أن أحرق عشاءك؟» نظرت إليه عندئذ فرأته يتراجع على اعقابه إلى الوراء ويداه في جيبيه وهو يبتسم ابتسامة ساحرة ولكن ثابتة تماماً.

يا إلهي، كم هو جذاب، فكرت برونوين بذلك. وكم هو غريب إنني لم أستسلم أبداً لمفاتنه من قبل. ولن تستسلم الآن، ذكرت نفسها بسرعة. ومن ناحية أخرى، فقد كانت تعد العشاء. كانت تستمتع بإعداد الطعام، وكانت تجيد ذلك. سلайд لا يجيده على ما يظهر، أو أنه كسول جداً أو أنه يمتنع عن المحاولة. وبصورة عامة، ربما من الأسهل لها كثيراً أن ترضخ. فهو يقدم لها مأوى وطعاماً من دون مقابل. على كل حال، لا يقدم بمعنى محدد، وإنما كان أقرب إلى فرضه.

«حسناً.» قالت وهي تهز بكتفيها بلا مبالاة حتى لا يمكنه أن يفهم أنه حق نصراً كبيراً وتتابعت: «سأحضر العشاء، أين أجد الخضروات؟»

«الخضروات؟» سأل دون أي تعبير. «لا تظنين أن لدى أي منها. آه قد يجوز... أجل، الآن أفكر بذلك، أعتقد أنني رأيت كيساً مملوءاً بالفطر الطازج في مؤخرة الثلاجة. وكان ذلك يوم الثلاثاء أو الاثنين.»

والتفت برونوين تنظر إلى السقف. وعلى ما يبدو، أن طهو هذه الوجبة سيثبت أنه تحدي أكبر مما توقعته. وظهر أن الخضروات كانت فلفلاً أخضر ومضى عليه وقت طويل. وانتهى في سلة المهملات. واكتشفت وراءها دهاناً أسمراً كان في ما مضى خساً. ورزمة من الجزر يبدو أنها كانت أفضل من ذلك. وراحت تقشرها، بينما راح سلайд يجول بعيداً، وهو يبدو أنيقاً، وكان يتمتم شيئاً عن الشراب. وفي وقت لاحق، وبعد أن طهت برونوين أحد أطباق السيدة دول الشهيرة، جلس الإثنان على طاولة الصنوبر اللامعة التي كانت تفصل مساحة القاعة الرئيسية عن المطبخ. في البدء لم يتكلما أبداً. لشعور برونوين بالتوتر، ولعدم كونها متاكدة من نفسها، وأن سلайд كان يدرك أن ضيفته لم تكن مرتاحاً، كان يريد أن يرى كم ستأخذ من الوقت حتى تخترق الصمت.

إستغرق ذلك خمس دقائق. وبعد أن حشرت شيئاً من المعكرونة بين أسنانها، فيما كان سلайд يراقبها باهتمام وهي تنزعه، وفي النهاية لم تتمكن من تحمل الطعام أكثر من ذلك.

«سلайд.» انفجرت، لأنها كانت تفك في الطعام وكان عليها أن تتفوه بشيء ما أو تصرخ. «سلайд، إذا كنت لا تحيد الطهو تماماً، فكيف عشت كل تلك السنين عندما كنت ترتحل مع مايكل حول هذه البلاد؟ فمن الواضح جداً أنك لم تعان من الجوع.»

ابتسم ابتسامة رقيقة، وقال: «أشكرك، فجميل أن أعرف أنك لا تعتقدين أنني بحاجة إلى الغذاء.»

«بحاجة إلى الغذاء!» قالت بتعجب وهي تتحقق به. كلا، لا يبدو كذلك. فجسده الذي يبدو كالرمح ومعدته المسطحة، يجعلانه تقريباً نموذجاً للرجل الممیز. إلا أنها لم تكون مستعدة لأن تبوح له بذلك. وقالت مرة ثانية ببرود: «سألتك كيف كنتما تتدبران تناول طعامكما.»

أرخى سلайд الشوكة من يده وقال: «إن أخاك ليس بطاه سيء، حين يقرر ذلك. وفي أوقات أخرى كنا نعمل في معسكرات لقطع الخشب أو في مشاريع إنشاء حيث كانوا يقدمون لنا الطعام. هل ذلك يفي برسؤالك؟» «اظن ذلك.» أجابت برونوين. «حسناً. ألا يهمك ذلك؟»

أجابت موافقة، وهي تأمل أن تتعادل معه: «ليس بالفعل.»

مد سلайд شفتيه عابساً بخبث وقال: «فكرت بأنك لست موافقة. وفي تلك الحالة، ستأسفين أن تسمعي ذلك، وعندما أدفع، ففي مقدوري أن أصون نفسي..»

«أفهم ذلك.» قالت برونوين ببرود: «إذن، تلك الفكرة حول كونك ذكرأ لا تستطيع أن تفعل شيئاً كانت مجرد فعل... لتحملني على القيام باتمام كل العمل..» هز كتفيه وأجاب: «لم يكن لي الخيار مطلقاً أن أكون بلا مقدرة، يا برونوين، إلا أنتي أكره الطهو فعلاً.»

«وأنت تحب كثيراً أن تصل إلى ما ت يريد بطريقتك الخاصة، وربما كنت أعرف ذلك.»

قال موافقاً: «قد تكونين كذلك. إلا أنك لم تعرفي على ما يظهر. بالمناسبة، هذا حسن جداً.»

وضعت برونوين كأس الشراب بهدوء، قبل أن ترشقه بمحتوياته في وجهه وقالت: «يجب أن يكون ذلك. إنني موقنة من أنك تستخدم الأفضل.» «والآن لماذا تراودني فكرة أن تلك الملاحظة لم تكن تعني مدح؟» وأغمض عيناً واحدة ورفع كأسه نحو الضوء.

فأجابت برونوين باقتضاب: «ربما لأنها لم تكون تعني ذلك.» أنزل سلайд الكأس ووضعه على الطاولة، وأجاب بسرعة، متخلياً عن مظهر تجرده وقال بسرعة مثيرة: «ذلك جميل جداً، فلنضع حد لهذا الشيء التافه. فقد أخذ التعب يدب في قليلاً لمعاملتي معاملة سنية. وحسب علمي، لم أsei إليك مطلقاً...»

قالت برونوين: «لم تسئ إلي. إنني لست المشكلة.» لاحظت أنه كما لاحظت وضع فمه الصلب وعينيه الضيقتين... ولاشمئزازها وجدت نفسها تكبح رعشة أصابتها.

«وما هي المشكلة، إذا سمحت بهذا السؤال؟» كان صوته منخفضاً رهيباً، وربطت برونوين فوطتها في حضنها بياحكام. كانت هي التي بادرت بهذا ولن تكون هي التي ستتراجع.

قالت بهدوء: «جيوني برايس.» وشعرت بوجهها يتتحول وردياً.

«جيوني برايس؟» ذكرها سلайд الآن بنسر ينقض على فريسته، وتتابع متسائلاً: «ما علاقة جيوني برايس بك، أو بي، على كل حال؟»

لم تستطع برونوين أن تصدق ما كانت تسمعه، فسألته وصوتها يعلو على الرغم من الجهد الذي بذلته لتحافظ على الهدوء: «كيف يمكنك أن تسأل ذلك؟»

«يدهشني أن ذلك هو سؤال معقول تماماً. ترفضين أن تتقى بي، وتبتعدين عنِّي كأنني نوع من الوحش، وعندما أسألك لماذا، تجيبيني، جيني برايس....»

ازدردت برونوين ريقها وقالت: «حسناً جداً». وكان صوتها بارداً شديداً الواضح. «وإذا كنت تريد أن أكون صريحة معك، ربما لم تفت ذاكرتك أنك جعلت جيني تحمل منك عندما كانت مخطوبة لبرايis باركر. أو عندما انهارت وأخبرته، وهدد بقتلك، فهربت خارج البلدة بسرعة لكي لا نتمكن من روًيتك تجر ذيول الخيبة. لذلك، لا أثق بك. فليس هناك من سبب على الأرض يحتم علىِّ ذلك. وإذا كنت أبتعد عنك فذلك لأن... لأنني لا أريد أن أنتهي مثل جيني التعيسة.»

الفصل الثالث

لم تكن برونوين تنظر إلى سلايد، بل كانت تحدق بطبقها الفارغ وهي تستعيد في ذاكرتها كيف انتشرت الأخبار في القرية وكيف فر سلايد الفاتن من غضب برايس باركر. وكانت المكالمة الهاتفية قد أتت في وقت لاحق من مايكل. كان الشبابان في تلك الوقت في لندن. وكان شقيقها قد أعلن بعنفوان الشباب المتهور أنهما لن يعودا إلى بونتغلاس.

وانتصب صوت والدتها الرقيق: «ولكن، أين ستعيشان؟» وما زالت برونوين تذكر كيف بدا وجه تلك المرأة اللطيفة عندما أجاب مايكل: «كندا». وتذكرت وجه جيني أيضاً كما بدا بعد شهور عدة.. حزينة ومرتابة، علاوة على كون الأسى في عينيها.

وعاد عقل برونوين تدريجياً إلى الحاضر بعد أن أدركت أن سلايد كان يتكلم وأن الحدة في صوته كانت قاطعة كالسكين عبر ذكرياتها.

سألها ببرود: «أين سمعت تلك القصة الصغيرة الساحرة؟» ما الذي يجعلك تعتقدين أنك في خطر من أن تصبحي مثل جيني؟

رفعت بصرها عندها. وكان وجهه صفيقاً وبارداً كقناع الموت، ما عدا جلده. كان شاحباً، على كل حال... كان شحوب الغضب الذي لم يستطع كبتة.

«إنني... إنني سمعتها من... لست أدرى ممن سمعتها». أقرت، وهي تطوي طرف فوطتها تحت الطاولة. «كانت حديث القرية بأسرها بعد رحيلك. لم يقل برايس كلمة لمخلوق، وإذا سأله أية كان فإنه كان يهم بلطمته على أسنانه. لقد انتشر الكلام على أية حال. وأعتقد أن شخصاً ما يجب أن يكون قد سمع بجزء من حديث خاص، غير أن برايس لم ينقض الرواية، كما أن جيني لم تفعل ذلك أيضاً. وقد تزوجها في النهاية، ومنح اسمه للطفل.» رتبت الفوطة فوق ركبتيها وقالت: «أعتقد أنهما كانوا سعيدين... إلى أن قتل برايس في حادث منجم بعد سنتين.»

«فهمت.» قال سلайд، دون أن يطرأ أي تغيير على وجهه. «الطفل... طفلي.» أضاف بكاءً. «ماذا كان، ذكرأ أم أنثى؟» أصبحت عيناً برونوين واسعتين جداً، ولم تجرب أن تخفي إشمئازها. فسألته: «ألم تكررت بما فيه الكفاية لتكتشف أن بوبي لم يعد طفلاً يا سلайд. إنه الآن صبي صغير، وسيصبح عمره بعد شهور قليلة ثمانى سنوات..»

«فهمت.» قال سلайд مرة أخرى. ودفع نفسه إلى الوراء بعيداً عن الطاولة ونهض وسار نحو النافذة. وعندما أدار ظهره إليها. قال: «لذلك...» وتوقف لبرهة، ثم بدأ مرآة ثانية قائلاً: «حسن جداً، إذن أعرف الآن كيف سمعت عن... هل نقول حماقتي؟ غير أنك لم تجيبي على سؤالي الآخر، لماذا تعتقدين أنك في خطر من أن تصبحي مثل جيني؟»

«أنا... أنا لم أعنِ ذلك.» اختلست برونوين نظرة إلى وجهه الجانبي، لم يعجبها ما رأت فيه، وشغلت نفسها بقطعة خبز متبقية في طبقها.

«أن ذلك صحيح؟ كم هو ممتع. وبذلك هل تعنين أنك قررت أنني شخص جرى إصلاحه؟ أم أنك لست من ذلك النوع من النساء اللواتي يتخلين أنني مميز وأننا في السرير؟»

«أنا... لا شيء من هذا القبيل.» قالت برونوين دون أن تعرف ما كانت تعنيه، ما عدا أنها كانت أكيدة من أنه لم يتلق إصلاحاً، وتمتن أن تكون في أي مكان ولكن ليس وحدها معه في هذه الغرفة.

«هل ذلك صحيح؟» استدار سلайд لمواجتها. واستدار بهيكه إزاء النور ووجهه في الظل وضغط براحتيه على عبة النافذة. «في هذه الحالة، لا بد أنك لا تتقيين بنفسك أليس ذلك صحيحاً؟ ويبدو أن هذه الليلة ستكون لي ليلي المحظوظة.»

وعندما تنهدت برونوين قام بخطوة نحوها، حيث أصبح في إمكانها الآن أن تشاهد الانعطاف الخبيث على شفتيه وقراءة نيتها الحادة في عينيه.

«ماذا تفعل؟» صرخت وهي تقبض على طرف الطاولة.

«سلайд، لا يمكنك...» قالت له.

تجمد، وقال يهودي: «أستطيع، إنك تعرفيين.»

«كلا. إنك وعدتني.»

ضحك سلайд، مما جعلها ترتجف وقال: «لكن حتماً لا تنتظري من العابث بجيني الصغيرة المسكينة أن يحافظ على وعده؟»

وفجأة وجدت برونوين أنها لم تعد مذهولة أو مرتبكة، إنما كانت غاضبة. فكيف تجرأ سلайд على أن يتكلم عن جيني التي هدم حياتها تقريباً بتلك السخرية البشعة في

صوته؟ لكن ليس هناك ما يحمله على تكبد تلك المشقة. وأثبتت بوضوح أنه لم يكن رجلاً قادرًا على تحمل الندم. ومع ذلك، كان هناك ثمة معنى في وضع نهاية لهذا المشهد.

«أجل.» قالت: «أجل، يا سلайд، أتوقع منك فعلًا أن تحافظ على وعدك. وفي حال أنك نسيت، فإنني شقيقة مايكيل.»

«آه، أجل، مايكيل. كلا، لم أنس.» ولم يكن في صوته بروء وعنف. بدا كأن شيئاً ما كان عالقاً في حلقه. «هل أنت تحببين مايكيل؟»

«أحبه دون شك.» قالت بصبر ثاقد: « فهو شقيقى.»

«أجل.» ونظر إلى ساعتها، وكان وجهه مرة أخرى في الظل. «إنك تحببين بلا شك.» ولم تقل برونونين أي شيء. وعندما تكلم مرة ثانية كان صوته خاليًا من التعبير: «إذن أفضل لنا أن نذهب، إذا كنت تودين أن تقومي بزيارة المستشفى مرة ثانية الليلة. وفي الوقت نفسه يتبعنا نحن الإثنين أن نتوصل إلى تفاهم.»

«تفاهم؟»

«ذلك ما قلته وطالما أنت موجودة في فانكوفر فستقيمين معي....»

«كلا! يمكنني أن أقيم في شقة مايكيل... عندما أطلب منه أن يخبرني عن مكانها.» تكلمت بسرعة، آملة أنها لم تبد مذعورة بقدر ما شعرت.

قال سلайд: «لا يمكنك أن تقيمي في شقة مايكيل. فإنها ليست مناسبة.»

«مناسبة دون شك، إنها...»

«لا تجادليني. إنني لم أنقلك من المقلة حتى تتمكنين من

الإرتماء في النار. صدقيني، يا برونونين، إن شقة مايكيل ليست مناسبة.»

يا للغرابة، أخذت تفكير في شعورها حيال سلайд، وحيال عدم مبالاته القاسية تجاه جيني وطفله وقد صدقت برونونين كلامه تجاهها. وكان وجهه يبدو كالصخر مما أقنعتها بأنه لم يطلعها إلا على الحقيقة. وعلاوة على ذلك، قد يكون مثل مايكيل تماماً استأجر شقة في مكان ما ولا يمكنه أن يريها لشقيقته.

«هذا حسن جداً.» قالت وهي تأمل أن تكون قد تكلمت بكل براءة: «أعتقد أنك يجب أن تعرف. ومن ثم ما هو هذا التفاصيل الذي تتحدث عنه؟»

تخلل شعره بأسابيع يده وقال باحترام: «أريدك أن تبقى هنا، يا برونونين. إلا أنني لا أحب أن تشاطرني منزلتي امرأة سليطة لا تفوت فرصة مناسبة لتدعني أعرف أن رأيها بنمط حياتي ومعنوياتي وأخلاقي سلبي... وفي الواقع، كل شيء يعني باستثناء ذوقى البسيط في الزينة الداخلية.»

ليس هذا فقط، فكرت برونونين وهو يعلق ابهاميه في حزامه ومشي عبر الغرفة ليقف بجانبها. لا يمكن لأية امرأة تتمنع بعقل سليم أن يكون لديها رأي سلبي بذلك الجسد الرائع. وطردت الفكرة للحال، عندما وضع يديه على أعلى ذراعيها وسحبها بإتجاهه.

«الآن.» قال لها، وهو ينحني فوقها حتى قارب أنفاهما التلامس. «وكما كنت أقول، لن أصبر على ذلك، يا برونونين. ففي مقدورك أن تفكري بما تشاءين حيالي، فهذه بلاد تنعم بالحرية ولكن طالما أنت هنا ستتحججين

عن إلقاء الماضي بوجهي، واسلكي سلوكاً مهذباً ومحترماً على الأقل..»

فقط اطعنه برقة: «ألا تعني بذلك العبودية؟»

وطوى أصابعه حول ذراعيها، وكان في صوته قلق عندما أجاب: «لا تذهبني في اختباري بعيداً، أرجوك، فابتني على وشك أن أفقد صيري..»

فقالت هازئة: «أنت ترعبيني. وماذا تستطيع أن تفعل إن أقدمت على ذلك؟»

«تقدين على ماذا؟» «اخبارك إلى حد بعيد؟»

حل في عينيه بريق خطر مكان النظرة الباردة لم ترق لها، لا سيما عندما أجاب بكثير من اللطف: «ألا تريدين حقاً أن تعرفي؟ حسن جداً، لقد أصبحت أنتو كثيراً لأدعك ترين. تعالى!» ترك ذراعيها، ودار بها، ووضع يده على ظهرها وراح يدفع بها عمداً نحو الأريكة.

«هـ.» قالت بصعوبة: «سلايد ماذا تعتقد أنك فاعل؟»

«اعتقدت أنك تودين أن تكتشفى.»

انتزعت نفسها منه واستدارت. وكانت توشك أن ترتمي على صدره الواسع. وقالت فجأة بحدة: «آه، أرجو أن توقف هذا العمل البدائي السخيف. إذا كنت تعتقد أنتي سأشاطرك عواطفك...»

«لا أعتقد. فهناك طرق أخرى لمعالجة إحباط الرجال. دون ذكر النساء المثيرات.»

تنفست برونوين بعمق. وقالت: «إذا كنت تود أن تتحدث عن الإثارة أو الازعاج فإنك تمتاز بذلك.»

«أشك في ذلك.» قال ذلك وهو يضع راحتيه حول خديها.

«والآن، إذن، أيتها الشيطانة الصهباء، أقترح أن نتوقف عن الخصم حالياً ونتوصل إلى اتفاق معقول..»

لم تكن فكرة سيئة، افترضت مكتبة وهي تحدق بخطفته المستقيم. فمن ناحية، لم تعتقد أن بإمكانها أن تتحمل مزيداً من هذا النقاش والزمرة. وكما قال سلايد، إنها بلد تنعم بالحرية. فيمكنها أن تفكر بما تشاء حياله سراً.

وسألته باحتراس: «أي نوع من الاتفاق؟»

أُسلِّب يديه وأجاب: «أن أقدم لك غرفة وطعاماً، دون شروط مرفقة، وأنت تحجمن عن مهاجمتي بمخالبك فلست جذع شجرة ولا أستطيع ذلك. وكذلك لا أود العبودية، يا آنسة إفنتز، فقليل من التهذيب يكفي.» وتتجعد شفتيه بابتسمة واثقة، كأنه عرف أنه الرابع.

حدقت به برونوين بغضب. إنها لم تكن لطيفة حياله حقاً فلم يكن لديها أي سبب لتكون كذلك. كان متعرجاً ولا يتحمل. وقبل ثمانى سنوات، كان قد جلب التعasse لأناس كثيرين. لكنه اليوم كان متعاوناً، على طريقته. ليس بإمكانها نكران ذلك. وبدها أنه يكن الولاء لما يأكل.

وقالت أخيراً: «حسناً جداً اتفقنا.»

وعندما حدق بها ولم يقل شيئاً مدت له يدها. أخذها، وقال بهدوء: «هذه طريقة فاترة جداً لإتمام صفقة.» فبانت في عينيه نظرة غريبة الآن... نوع من الاجهاد، كأن شيئاً ما كان يسبب الألم.

فسألته: «ماذا تعني؟»

«هذا.» أجاب. وقبل أن تسحب يدها كان قد جرها إليه، فاتحنى فوقها. ثم، بخفة كبيرة، لثم فاما.

فغرت قمها وقد ادهشها وفاجأها تجاوبها لقبلة لم تدم طويلاً ولا تكاد تكون قبلة على الاطلاق.

«الآن، ألم يكن ذلك أفضل من هزة يد؟» قال ذلك بسرعة، وعيناه تومضان متهدتين.

«لا. أجل... إنتي...» وابتعدت، لا تعرف أين تنظر، وفي النهاية ركزت نظرها على لون مائي صغير يتذبذب بسلامة فوق صخور تغطيها أعشاب الماء وقالت بجهاء: «يجب ألا يتكرر هذا الشيء مرة ثانية.»

«كما تشاءين. على كل حال، لم يقع الشيء البسيط، هل حدث؟ والمزيد هو شعور بالأسى.»

رفعت رأسها وقالت: «سلايد، إن كنت ستتحاول الاستمرار...»

«لن أحاول. وأعدك أن أحافظ مستقبلاً على يدي بعيدتين عنك. تعالى، فقد حان الوقت لنذهب لروية مايكيل.» وأمسكها بيدها.

«الأطباق...»
«انسيها.»

ألقت برونونين نظرة على ساعة بيضاء رائعة على الجدار. فلا بد أن ينسياها، على رغم أن ذلك كان بخلاف ما أرادت. ولم يكن في إمكانها أن تتذكر أنها خرجت مرّة دون أن تنفل الأطباق مطلقاً. وهذا مثال آخر على تأثير سلايد المؤسف عليها وهو سلوك يتبعه حتى الآن.

تنهدت، وسحبت يدها من يده، وذهبت لتضع مسحوقاً على البقع التي على وجهها.

وعندما وصلت إلى المستشفى وجدا مايكيل منهكاً من

التعب بعد يوم من الغزل الجاد وكان نائماً تقريراً. فبقيا بما فيه الكفاية ليتمنيا له الشفاء وتركاه مع وعده بالعودة إليه في اليوم التالي.

وقال سلايد وهم ينزلان في المصعد: «لا أعتقد أنك بحاجة إلى أن تقلقي كثيراً حيال ذلك الشخص. سينهض في أي وقت.»

وافت برونونين وهي تطلق تنheads أجل. «وسينغازل كل فتاة جميلة تقترب منه بلا شك. أتمنى أن يعثر على صديقة ملائمة ويستقر.»

همهم سلايد وقال مفكراً: «لقد بلغ التاسعة والعشرين من عمره. فهو يصغرني بسنة واحدة. فهل تعتقدين أنه يتغير على أن يستقر أيضاً؟ ومع سيدة فتية ملائمة؟»

تجاهلت برونونين الوميض المثير في عينيه. وقالت باقتضاب: «لست مسؤولة عنك.» وعندما لم يجب، لم تقو على مقاومة أن تضيف: «لكن أية امرأة تتمكن من الحفاظ عليك ستحظى بإعجابي.»

توقف المصعد. وتمتم سلايد وهو يأخذ بمرافقها. «هل ستفعل الآن؟ أتعتقدين أنتي بحاجة فعلًا لمن يحافظ على؟» أجبت: «كثيراً جداً، إلا أنتي أخشي أن تكون المهمة مستحيلة.» ودفعت برأسها إلى الوراء فلم يشعرها كتفيه وهو يخرجان من المصعد.

ألقى سلايد عليها نظرة معبرة كانت ستفاجأ لو أنها شاهدت تلك النظرة وقال: «آه، لن أكون متأكداً من ذلك. وأنت لا تعرفين مطلقاً. ربما أكون طيناً كالعجبين في يد المرأة الصالحة.»

فواضفت برونوين: «ستكون في يديها، ذلك حسن جداً. ولا أشك في ذلك. غير أنني متأكدة من أنك لن تكون طيباً كالعجبين.»

وسمعت إلى جانبها صوت ضحكة تختنق، فادركت فوراً ماذا قالت. وشكرت الله أن النور كان يخبو. لم يكن سلايد قادرأ على رؤية لون وجهتها على الأقل.

ووصلـا إلى السيارة، فأوصـدت الباب على مسلسل أفكارـها. كان سلايد مثيراً للدرجة مرعبة. وحتى هي، التي لم تعتد الرغبة، لم تكن تفشل في تقدير ذلك. وكان هو آمناً أيضاً مثل أفعى. كما اكتشفـت جيني برايس التي دفعت ثمن ذلك.

عندما أضاء سلايد النور في شقتـه بعد نصف ساعة، لم تكن الأفاعـي التي راودـت فكرـها موجودـة. غير أن ما راودـها في الواقع أنها كانت بمفردهـا في الطابق الأخير من بنـية شاهقة العلو مع رجلـ كان يفك أزرار قميصـه بحرية ويلقـي بها فوق أقرب كرسيـ.

«ماذا تفعل؟» تنهـدت قائلـة، وهي تحـاول كبتـ الذعر في صوـتها.

«ماذا يـبدو أنـني أـفعل؟»

«يـبدو وكـأنـك... تـنزعـ ثـيابـكـ.»

«جزـئـياً فقطـ. فالـليلـة لـيلة دـافـئةـ.» وانتـقلـت أـصابـعـهـ إلى بكلـةـ حـزـامـهـ.

«سـلايدـ!» هـتفـتـ بـتعـجبـ، متـخلـيةـ عنـ التـظـاهـرـ بالـاختـناقـ.

«لا يـمـكـنكـ أـنـ تـفـعلـ ذـلـكـ.»

«أـفـعـلـ مـاـذاـ؟»

«تنـزعـ بـنـطـلـونـكـ إـنـهـ... إـنـهـ...»

«إـنـهـ سـلـوكـ يـجـعـلـنـي غـيرـ جـديـرـ بـأنـ أـكـونـ رـجـلـ شـهـماً إـنـ لمـ أـكـنـ أـفـكـرـ فـيـ الـاغـراءـ.» أـتمـ لهاـ ماـ كـانـتـ تـرـيدـ أـنـ تـقولـهـ. «لـاـ تـقـلـقـيـ. فـأـنـاـ نـادـرـاًـ مـاـ أـسـتـسـلـمـ لـلـتـجـرـبـةـ. وـفـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ، فـأـنـاـ لـمـ أـكـنـ أـرـيدـ إـلـاـ رـوـيـةـ ذـلـكـ التـعـبـيرـ الرـائـعـ لـلـغـضـبـ فـيـ عـيـنـيـكـ الرـمـاديـتـيـنـ الـواسـعـتـيـنـ. وـذـلـكـ مـاـ فـعـلـتـهـ. ذـلـكـ تـعـوـيـضـ عـنـ الإـحـبـاطـاتـ الـقـلـيلـةـ فـيـ هـذـاـ الـيـوـمـ.» وـابـتـسـامـةـ رـضاـ

فـاتـنةـ مـاـ جـعـلـ بـرـوـنـوـيـنـ لـاـ تـقـوىـ عـلـىـ التـفـكـيرـ مـاـ إـذـاـ كـانـتـ تـوـدـ أـنـ تـضـحـكـ أـمـ تـبـكـيـ أوـ تـرمـيـهـ بـالـوـسـادـةـ الـزـرـقاءـ الـقـرـيبـةـ مـنـهاـ عـلـىـ رـأـسـهـ.

فـيـ النـهـاـيـةـ هـزـتـ رـأـسـهـاـ فـقـطـ وـجـلـسـتـ بـثـقـلـ عـلـىـ الـأـرـيـكـةـ.

فـيـ الـحـالـ جـلـسـ بـجـانـبـهاـ وـوـضـعـ ذـرـاعـهـ عـلـىـ ظـهـرـهـاـ دونـ

تـعـمـدـ. وـأـمـكـنـهاـ أـنـ تـشـعـرـ بـأـصـابـعـهـ تـبـعـثـ بـشـعـرـهـاـ.

أـلـقـتـ نـظـرةـ مـنـ جـانـبـ إـلـيـ آخرـ وـهـيـ تـشـعـرـ بـجـلدـهـ الـذـهـبـيـ الدـافـئـ يـفـوحـ مـنـهـ عـطـرـ غـالـيـ الثـمـنـ. ازـدـرـدـتـ رـيـقـهـاـ وـهـيـ تـعـجـبـ فـيـ نـفـسـهـاـ مـاـ إـذـاـ كـانـتـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـتـبـرـ أـمـرـهـاـ فـيـ مـاـ تـبـقـىـ مـنـ هـذـهـ اللـيـلـةـ.

وـكـانـ حـسـنـاًـ جـداًـ أـنـ تـنـقـبـ بـنـفـسـهـاـ وـبـطـرـيقـةـ أـخـرىـ غـرـبـيـةـ بـسـلاـيدـ...ـ لـكـنـ خـبـرـتـهـاـ قـلـيلـةـ جـداـ مـعـ الرـجـالـ. وـفـكـرـتـ بـأـنـهاـ بـلـغـتـ السـادـسـةـ وـالـعـشـرـيـنـ مـنـ عـمـرـهـاـ، وـأـنـهاـ بـلـاشـكـ لمـ تـخـرـجـ إـلـاـ مـعـ عـدـدـ قـلـيلـ مـنـ الشـبـانـ. لـكـنـ المـحـلـ جـعـلـهـاـ مـشـغـولـةـ باـسـتـمـارـ، وـمـنـذـ اـخـفـاقـ لـوـيـدـ مـورـغـانـ كـانـتـ مـنـيـعـةـ، كـاـلـ مـ

تـكـنـ فـيـ عـجلـةـ مـنـ أـمـرـهـاـ لـتـرـكـ عـوـاطـفـهـاـ تـذـهـبـ مـعـ قـلـبـهـاـ.

حدـقـتـ بـأـنـوارـ الـغـرـفـةـ الـمـنـعـكـسـةـ فـيـ النـافـذـةـ الـكـبـيرـةـ، وـشـعـرـتـ بـأـنـ سـلاـيدـ كـانـ يـدـاعـبـ شـعـرـهـاـ. لـوـيـدـ، يـجـبـ أـنـ لـاـ

تنسى لويد. وكان سهلاً جداً أن تنسى أن الأشياء ليست كما تبدو دائمًا...

راقب سلайд، بجانبها، العبوس الطفيف يجعد جبينها، كما شاهد جسدها ينحني قليلاً، وتساءل عما يجول في رأسها الأحمر من خطط لتعذيبه في المرحلة التالية. قد تساعدك المعرفة. ابتسם مفكراً، وألقى بيده على كتفها.

لم تك برونوين تشعر بيده وكانت تتساءل من شعور جيني عندما هجرها سلайд. وتحول تفكيرها إلى لويد، الذي كان دائمًا لطيفاً معها، والذي عانت من أجله كثيراً. ولكن بدلاً من أن يصبح صديقها الدائم، كما كان دائمًا في أحلامها، ترك القرية فجأة وسحابة سوداء فوق رأسه.

أبرز ما قيل حيال الفضيحة أنها لم تتورط شابة واحدة بل ثلاث شابات، ومبلغ كبير من المال فقد من المكان الذي كان يعمل فيه.

«بماذا تفكرين؟» سأله سلайд متطفلاً بهدوء على أفكارها.

ترددت. ولكن، على كل حال، ذلك لم يكن سراً كبيراً. فالقرية بأسرها كانت تعرف أنها كانت متيممة. «كنت أفكر بلويد مورغان..» «يا إلهي..» ذلك كان آخر ما يتوقعه سلайд. «لا تخبريني أنك ما زلت...؟»

«كلا. كلا.» أجبت بسرعة، وهي تستدير لتنظر إليه أخيراً. «إنني فقط أفكر أحياناً أنه شيء حسن أن... استعيد تلك الذكرى..»

«ولماذا تودين أن تتذكري ذلك؟ أعرف أنك كنت مولعة به

ولعاً طفوليًا إلا أن الرجل كان لصاً صغيراً فاسداً يطارد كل مخلوق يلبس تنورة. لا بد أنك علمت ذلك.»

«أنت رجل رائع للتحدث إليك. أجل، إنني لا شك أعرف. إنه ليس ذلك.»

«وما هو إذن؟»

سمعت برونونين ملاحظة نفاد صبره. وردت: «مجرد ذلك... فليس من السييء أن تبقى في ذهنك أنه من السهل جداً أن تصاب بأذى عندما تسلم قلبك بسهولة فائقة ودون تفكير..» وكانت الكلمات التي نطق بها غزيرة بالتهم. «وفي حالتك دون أدنى فهم للرجل الذي كنت تمنحني قلبك..» قال سلайд وهو متوجه الوجه.

ردت موافقة وهي تدير زراراً في قميصها. «كنت في ذلك الحين صغيرة السن.»

قال بصوت لم تسمعه ينطق به من قبل. «وبريئة بصورة مدهشة..» وأردف: «وغير عادي في هذه الأيام وهذا العصر..»

«كان ذلك أمراً غير عادي دون شك.» قالت برونونين، مستاءة مما اعتبرته تنازلًا. «ولذلك سخر الجميع، وعرفوا أن لويد كان كازانوفا لم يبلغ العشرين من عمره..» فقال نافياً: «كلا، لم يسخر الجميع..»

«هذا صحيح فابواي لم يسخراً. وكذلك أنت..» أضافت، وعيناها تتسعان وهي تتذكر بشيء من الدهشة أن ذلك كان صحيحاً، وغريباً أيضاً لأن سلайд وفي تلك الأيام كان يسخر من كل شيء تقريباً.

«كلا.» أجاب: «لم أعتقد أن ذلك كان مثيراً للسخرية. وكذلك لا

أعتقد أنه يتبعك أن تقضي بقية حياتك تتجنبي أي نوع من العلاقة خشية أن تصابي بأذى من جديد..»

قالت برونوين بشيء من الغضب: «ليس الأمر هكذا، وإنما جعلني... حذرة فقط. وعلاوة على ذلك، لم يكن لدى الوقت الكافي لما تسميه علاقات..» وابتسمت له ابتسامة سريعة صغيرة وجافة. الواقع أيضاً أن اختيار الشبان المؤهليين حول بونتغلاس لم يتحسن بصورة ملحوظة منذ أن رحلت. بل حصل العكس..»

همهم سلايد ومسح فمه براحته قائلاً: «أعتقد أنه لا يجوز أن أمل بأنك عنيت تلك الملاحظة كأي شيء غير عبارة دقيقة مضجرة جداً..»

فقالت برونوين: «لا يجوز أبداً..»

ضحك سلايد، وأدركت هي بعد إنقضاء مدة من الوقت أن تلك الضحكة كانت نوعاً ما ضحكة وحشية. وراحت تبتعد على مهل، إلا أن يديه كانتا قد وصلتا إلى خاصرتها. في حين فغرت فمها باتجاهه، وهي دهشة، جذبها ببطء بين ذراعيه. وفي اللحظة التالية كان جسدها المستسلم مستلقياً على صدره.

«م... مازا؟» تمنت على عنقه وقالت: «سلايد...» انقطعت كلماتها وهو يحرك رأسه باتجاهها. يعانقها، كان عنقه قوياً وكأنه صياد تمكّن من فريسته.

ما عدا أن هذه الفريسة الخاصة كانت ضحية راضية عرفت أنه يجب عليها أن تقاوم... تدفعه عنها بعيداً. لكنها لم تتمكن. وكانت بلا شك، قد خبرت العناق من قبل، ولكن ليس على غرار ما فعله سلايد. وكان الزمن قد توقف ولم

ي肯 إلا هذه اللحظة، وهنا بين ذراعي سلايد، كان جسدها يلتهب بكماله برغبة لا يمكن أن يطفئها غيره.

وعندما أطلق سراحها تركها متربحة، اتكأت إلى ذراع الأريكة وحدقت به كما يحدق الأرنب بالصقر مذعوراً متجمداً. باستثناء أنها لم تتجمد. ولم تكن أرنبًا على كل حال، فكرت وهي تدفع نفسها جالسة مستقيمة.

«لماذا فعلت ذلك؟» سألتها وهي تشد قميصها وتتمنى لو تتمكن من نزعه.

«ألا تحبين ذلك؟» سالتها سلايد.

حدقت به. ففهم أنها أحببت ذلك، ولم يكن هناك مجال كبير للذب.

«كانت رائعة جداً..» قالت وهي تلزم نفسها بابتسامة صغيرة. «إلا أنك قلت دون شروط...»

«عنيت بذلك أيضاً..» قاطعها: «ولكن عندما أطلعتني على الفجوة الحزينة التي خلفها رحيلي بين شبان بونتغلاس العازبين شعرت أنه من العدل أن أعراض عن ذلك الرحيل الذي حدث في غير أوانه..» وابتسم لها ابتسامة كبيرة، وسألتها: «بالمناسبة، أتعتقددين أنني مؤهل حقاً؟»

«آه..» فغرت فمها ثم قالت: «بين جميع الأنانيين والراضيين ذاتياً والمتنازعين...»

فقال سلايد مدعماً رأيها: «أو غاد..»

قفزت برونوين واقفة على قدميها، وقالت بقساوة: «كنت على وشك أن أقول فثاران..»

حنى سلايد رأسه ولطم يده على ساقه وهو يفكرون سالها: «أين تعتقددين أنك ذاهبة؟»

«إلى الفراش..»

«آه..» ووقف.

«لن تأتي معي..» صرخت وهي تتراجع إلى الوراء. «ف哉

وعدت...»

«أظن أنني فعلت. ولكن قد تطرقنا إلى هذا الموضوع من قبل، ألم نفعل ذلك؟ وقد اعتدت أننا توصلنا إلى مفهوم أن الفئران لا تتفى بوعودها.» وكانت في عينيه إيماءة عقاب، بينما راحت ذراعه تلتف حول خصرها، وقبل أن تتمكن من التملص كان قد ضمها إلى صدره بقوه.

وقد حاولت هذه المرة أن تقاوم، وأمرته: «سلايد، دعني أذهب..»

«بكل تأكيد، لا. فالفئران لا تفعل ذلك.» متجاهلاً مقاومتها غير المجدية ورفعها بين ذراعيه، ودفع الباب بقسوة وهو يحملها إلى المخدع.

عندما ألقى بها فوق غطاء السرير الذهبي، وسمّر كلا معصميها بيد واحدة، ولكن بثبات فوق رأسها، حاولت أن تتملص لبرهة، ومن ثم صرخت.

الفصل الرابع

انحنى سلايد فوق برونوين وقدماه ما زالتا مثبتتين على الأرض بأمان، إنما نقل قبضته.

وسائلها: «أما زلت فأرأء؟»
فلم تصدق أنه كان يبتسم. وكانت ابتسامة خبيثة خالية من الحياة لم تذكرها البتة برأي فار.
تراخي جسدها بارتياح. وكبته شيئاً آخر بلا رحمة.
تنهدت تساؤله: «هل تمزح معى فقط؟» وكان قلبها ما زال ينبض بقوه.

«كلا مطلقاً. إنني أقتصر منك لانتهاك اتفاقنا واطلاق نعوت على... بعد أن وعدتني تحديداً أن تسلكي سلوكاً مهذباً ومحتشماً.»

وأطلق معصميها، وجلس إلى جانبها على السرير. ثمة قصاصص، فكرت برونوين، وهي تسرح نظرها على صدره العاري تلحظ تمدد القماش الضيق على ساقيه. وإذا استمر في الجلوس هناك على هذا الشكل المثير ساخراً منها، فلن يستغرق الأمر كثيراً التحويل قصاصه إلى مكافأة، مما سيكبدتها في ما بعد شعوراً بالندم بلا شك.

«سألتك إن كنت ما زلت فأرأء.» قال وهو يضع يده فوق جنبها.

حدقت في عينيه الزرقاويين العميقين، وفكرت بعجب ما سيحدث إذا أجبت إيجاباً.

قالت بعد برهة: «كلا. ولكنك انتهكت اتفاقي أنت أيضاً، وأكثر ما تذكرني في هذه اللحظة بذنب..»
 «ذلك أفضل، ولكنه ليس مدحياً. وحاولي مرة ثانية.»
 فأجابت: «كلا بكل تأكيد. إن نفسك مليئة بالغرور بما فيه الكفاية.»
 هز رأسه وتمتم، محاولاً الوصول إلى معصميها: «الآن تأخذين عبرة؟»

تخوفت برونوين فجأة ليس منه، بل من نفسها. كان قريباً جداً منها، عيناه الزرقاوان آسرتان متطلبتان... أصابعه تضغط على ذراعيها. وكانت قد قرأت عن لمسات حارقة، وفكرت بعبارات درامية لا معنى لها. لكنها شعرت بحرارة لمساته، ولم تقو على ضبط قوة تجاوبها. وكان سلайд يمسك بها بخفة، إلا أن التعبير الذي حمله وجهه الجميل أزعجها. إذ كان جذاباً، بلا شك، غير أنه كان في الوقت نفسه قاسياً وخالياً من الرحمة قليلاً. لن يؤذنها، عرفت ذلك في قراره نفسها، ولكن إن هي مدت يدها فقط ولمست شعره الذهبي الوضاء...

وفي النهاية لم يكن الشعر الذي لمسته على جبهته، إنما كانت النعومة الفائقة على صدره.
 وضاقت عيناه حالاً، وسمعته يتنفس بشدة قبل أن يزيح يدها ويدفعها إلى جانبها.

«إنني... مازا دهاك؟» سألته برونوين متعلعة ومرتبكة من دون أن تكون واثقة مما حدث.
 نهض سلайд فجأة على قدميه وسألها: «أما زلت تلك الصغيرة البريئة؟» وراح يحدق بها بمزاج من الانزعاج وعدم التصديق.

أدانت برونوين رأسها على الوسادة حتى لا تتمكن من رؤية جسده أو التوبيخ الذي حملته شفتاه. فلم تت ked عن الإجابة عليه، لأنها لم تكن تتسم بكل تلك البراءة، كما لم تكن التiarات التي عصفت حولهما منذ اللحظة التي التقى فيها مرة ثانية اليوم صعبة للغاية لترجمة ذلك. فلم يعجبها، لأنها اعتقد أنها كانت ساذجة وغبية. إلا أن كلامها وقع في قبضة شيء كانت والدتها قد أشارت إليه دون موافقة على أنه رغبة صبيانية. أجل... يجوز أن سلайд لم يكن. إذ أن عواطفه لم تكن كتاباً مفتوحاً على الاطلاق.

وعم الصمت بينهما ودام بضع ثوان. ثم شعرت برونوين بأصابعه تتسلل في شعرها فجأة، فدفعها إلى الوراء على كتفيها.

«طابت ليتك، يا شقيقة مايكل.» قال بصوت خشن يصر في أذنيها. «أرجو لك توماً هائلاً، فالنثب اللعين الضخم لن يغضك حتى الآن.»
 «دعه يحاول فقط.» ردت وهي تنظر بثبات إلى الجدران الشاحبة.

سمعته يقتمم شيئاً بدا مثل «لا تجربيني». أغلق الباب بعديه وراءه بهدوء.

فأر، فكرت برونوين. كنت على صواب للمرة الأولى. قامت من السرير ببطء وراحت تبحث في حقيبتها عن قميص نوم قطني نظيف. ولكن في الوقت الذي لبسته فيه كانت مجبرة أن تعيد لباسه من جديد نظرألكونها نسيت أن تخلع بلوزتها أولاً، فوضعتها العقلية يتململ بين الانزعاج العنيف والذعر الحاد. وكانت قد تذكرت منذ بعض الوقت

أنها شاهدت يافطة كتب عليها: «عندما تكون في حالة شك، أطلق العنان للذعر.» ومن الجائز أنها كانت صائبة. رمت بنفسها في السرير، متوجهة الوجه، وغطت نفسها بالأغطية الحريرية، التي زادت في اتزاعها، لأن هذا الشراء دفعها لتندر أن سلайд كان يمسك بأفضل الأوراق. فلعلت نفسها إن هي نوت أن تطلق العنان لذعرها. وكانت هذه حالة تبعث على السخرية. وعلى كل حال، كانت حال مايكيل هي التي تهم، وطالما أن سلайд يحافظ على وعده بالابتعاد عنها، فلم يكن هناك أي سبب يدعو إلى عدم نجاح التدابير الحالية. الثغرة الوحيدة في ذلك كانت تكمن في أن سلайд لم يحتفظ بيديه في الواقع، بعيدتين عنها.

في الفترة التي أغلقت فيها عينيها واستعدت لتنام بعفة راودتها أفكار بالرغم من إرادتها بأنها لم تمانع في بعض أجزاء من كيانها لمسات أصابع سلайд القوية. أغمضت عينيها بشدة، واستدارت إلى جنبها دافعة ذلك التفكير خارج ذهنها.

«حسناً أيتها العظام الكسول، لقد خضعت لضعفك الشديد لمدة طويلة كافية. انهضي.» سمعت صوتاً يهدر ويصل إلى مسمعها وهي غافية.

همهمت، وتساءلت: «ماذا؟» ولم تتمكن لبرهة أن تتندر أين هي. «ضعف شديد...؟» «انسي ذلك.» أمرها الصوت. «لقد قلت لك انهضي.» آه. لقد تذكرت الآن. إنها في سرير سلайд. ولحسن الحظ

دون سلайд، الذي كان ينحني فوقها، عندما رفعت جفنيها، وفي عينيه بريق مغرض.

«ما زلت متعبة.» غمغفت وهي ترجو أن يرحل. «يمكنني القول إنك كذلك.» كان الجواب سلبياً كما توقعت تماماً. وتابع: «لكن أفضل سبيل للتأقلم مع تغيير الوقت هو ألا تدعيه يهزمهك. فأنت في فانكوفر الآن، والوقت قد بلغ العاشرة صباحاً.»

سألته وهي لا تبدي حراكاً: «لماذا لم تذهب إلى العمل، إذن؟»

«لأنني لا أريد وربما ذلك من سوء حظك.» كانت برونوين تميل لموافقته، لكنها كانت قد استيقظت تماماً الآن، ولم يبد أن هناك معنى في إضاعة مزيد من الوقت في السرير. «من فضلك أود منك أن تخلி الغرفة، فسانهض.» قالت بصوت كانت تأمل أن يكون متعاطفاً كثيراً.

غير أن سلайд لم يكن ذلك الرجل السهل الذي يمكن أن يتنازل - لا سيما عندما كانت مستلقية على ظهرها في قميص النوم القطني، وهو يقف فوقها مرتدية سروالاً داكن اللون وقميصاً شاحباً قشدي اللون يظهر أنه غالى الثمن. واللباس غير الرسمي هو للأثرياء وأصحاب الشهرة، فكرت برونوين بانفعال... مع أنه توجب عليها الاقرار أنه كان يتلوى في لباسه الراحة التامة، وربما قد يبدو رائعاً في سروال جينز باهت اللون وقميص قطني.

«لكن لست متأكداً من أنني أرغب في الذهب.» أجاب وهو يحدق بقوامها النحيل تحت أغطية السرير. «أود أن

أرى تلك الثياب غير الجذابة التي تجعل من نصفك الأعلى يشبه جدة جدتي في يوم الأحد.. «لماذا تود رؤية ذلك؟» أؤكد لك أن النصف السفلي سيكبد خيالك المرهق كثيراً.

تنهد وقال: «لا أشك في ذلك. فلا تقلق، فأمامنا النهار بكامله، وأقترح أن تصرفني بعض الوقت في شراء بعض الحاجيات لخزانة ثيابك.»

«لن نقوم بأي شيء من هذا القبيل.» قالت برونوين وهي تستقيم بسرعة في جلستها. فخزانة ثيابي لا ينقصها أي شيء.

«بصرف النظر عن أن القماش الأخضر غير صالح البتة لشهر أيار، علاوة على أن قميص نومك يصلح لأن يوضع في المتحف، فقد تكونين على صواب.» وأضاف: «وماذا جلبت معك أيضاً؟»

دون أن ينتظر جواباً، فتح أبواب خزانة كبيرة وجال بعينيه من ثيابها وقال: «كما فكرت تماماً، إنها غير كافية.»

«إنها تكفيني تماماً.» سارت برونوين إلى القول وهي تنظر إلى ظهره فيما هو واقف أمام خزانة ثيابها الهزيلة وقد بدا انيقاً جداً، ولأنه كان في غرفة نومها فإنه كان يبدو رجلاً من الطراز الحديث، بكل معنى الكلمة. وقد ذكرها بأحد الرجال الأثرياء الذين يقدمون الهدايا لعشيقاتهم.

إلا أنه لم يقدم الهدايا لجيني، فلم تسنح له الفرصة لذلك.

وعندما استمر يحدق في الخزانة باستخفاف قالت دون

تفكير: «يجوز أنك اعتدت أن تكسو عشيقاتك كما تكسو الدمى، يا سلайд، غير أنني لست عشيقتك...» «وأنت لست دمية بلا ريب.» أكمل وهو يوصد الخزانة. «فلا تقلق، إنني أشك إذا كانت الملابس المحشمة ستتحولك إلى دمية، كما لن يجعلك عشيقتي بالتأكيد.» واتكا على الباب الموصد وهو مكتوف الذراعين، يتأملها بعينين ضيقتين بينما وهي مستلقية والغطاء يصل حتى أنفها تقريباً.

تراءت لها جيني برأس فجأة في وضع مماثل، وسلайд ينظر إليها عندما كان أصغر سنًا. فشعرت بالغثيان، ونظرًا لأنها كانت خائفة من أن يرسل جسدها الغادر إشارات نحوه قالت بغيظ: «اخراج، لا أود هداياك، ولا أود أن أكون عشيقتك.»

«ليس هناك خطر كبير في ذلك.» أجاب ببرود جعلها تود أن تغطس مجدداً تحت الأغطية. فغضت على شفتها، وهي تقرر أن تفعل ذلك فقط، عندما اكتشفت أن سلайд كان يقف بجانب السرير. وشعرت بيديه على كتفيها. «تعالي!» قال بصوت ما زال بارداً ومتغطراً. «توقف عن استقباط طرق تهينيني بها، وافعلي كما أشرت عليك وانهضي.»

وعندما حدقت به برونوين رمى بالأغطية إلى الوراء وجرها لتقف على قدميها.

«كما فكرت تماماً.» قال وهو يبعدها عنه ويمسك برباط عنق قميص نومها المحشم وسألها: «هل يأتي مع حزام عفة أيضاً؟»

«بقدر ما يتعلّق بك الأمر، إنه كذلك.» نطقـت بحدة سائلة: «أخبرـني، يا سـلـاـيدـ، هل هـذـهـ الطـرـيـقـةـ هيـ التـيـ تـعـاـمـلـ بـهـاـ ضـيـوـفـكـ؟ـ تـجـرـهـمـ منـ السـرـيرـ وـتـعـطـيـ مـلـاحـظـاتـ لـاـ دـاعـيـ لـهـاـ حـولـ مـلـابـسـهـمـ...ـ؟ـ»

قاطـعـهاـ بـابـتـسـامـةـ هـازـئـةـ:ـ «ـأـعـطـيـ مـلـاحـظـاتـ لـاـ دـاعـيـ لـهـاـ حـولـ مـلـابـسـهـمـ،ـ هـذـاـ صـحـيـحـ،ـ أـحـيـانـاـ.ـ وـعـادـةـ عـنـدـمـاـ يـكـونـونـ غـرـبـاءـ عـنـ الـمـصـلـحـةـ التـيـ فـيـ مـتـنـاـوـلـ الـيـدـ.ـ وـلـكـنـ،ـ لـأـكـونـ صـادـقاـ،ـ أـعـتـقـدـ أـنـ هـذـهـ هـيـ الـمـنـاسـبـةـ الـأـوـلـىـ التـيـ جـرـرـتـ فـيـهـاـ ضـيـفـاـ مـنـ سـرـيرـيـ،ـ»ـ «ـأـظـنـ أـنـكـ تـجـرـ عـادـةـ صـدـيقـاتـ إـلـىـ السـرـيرـ.ـ»ـ سـخـرتـ بـرـوـنـوـينـ.

«ـفـيـ بـعـضـ الـمـنـاسـبـاتـ،ـ وـلـكـنـ إـذـاـ كـنـ مـقـبـولـاتـ.ـ»ـ وـشـعـتـ عـيـنـاهـ تـكـادـانـ تـقـبـانـهاـ لـشـدـةـ تـالـقـهـمـاـ،ـ وـسـأـلـهـاـ:ـ «ـهـلـ أـنـتـ مـقـبـولـةـ،ـ يـاـ بـرـوـنـوـينـ؟ـ يـمـكـنـنـاـ إـرـجـاءـ مـوـضـعـ التـسـوـقـ لـفـتـرـةـ.ـ وـمـرـرـ اـصـبعـهـ بـرـفـقـ عـلـىـ عـمـودـهـاـ الـفـقـرـيـ،ـ حـتـىـ أـنـهـاـ لـمـ تـتـأـكـدـ أـنـهـاـ شـعـرـتـ بـهـاـ.ـ»ـ

«ـلـاـ.ـ»ـ قـالـتـ لـاهـثـةـ،ـ وـهـيـ تـعـرـفـ أـنـ ذـلـكـ لـيـسـ حـقـيـقـيـاـ فـيـ هـذـهـ اللـحـظـةـ،ـ وـإـذـاـ مـالـمـسـهـاـ مـرـةـ ثـانـيـةـ فـسـتـرـكـهـ يـجـرـهـاـ إـلـىـ حـيـثـماـ يـشـاءـ.ـ فـتـرـاجـعـتـ إـلـىـ الـورـاءـ بـسـرـعـةـ حـتـىـ اـرـتـطـمـتـ سـاقـهـاـ بـالـسـرـيرـ.ـ «ـلـاـ،ـ يـاـ سـلـاـيدـ.ـ أـرـيدـكـ أـنـ تـرـحـلـ الـآنـ.ـ»ـ وـعـنـدـمـاـ لـمـ تـبـدـ مـنـهـ أـيـةـ حـرـكـةـ،ـ أـطـبـقـتـ عـلـىـ أـسـنـانـهـ نـكـسـ رـأـسـهـ،ـ وـكـانـ مـسـتـوـيـ وـجـهـهـ مـنـبـسطـاـ غـامـضاـ وـقـالـ:ـ «ـهـذـاـ مـاـ اـعـتـقـدـتـ أـنـكـ كـنـتـ سـتـتـفـوهـيـنـ بـهـ.ـ وـلـأـنـكـ قـلـتـ رـجـاءـ بـلـطـفـ...ـ فـحـسـتـاـ،ـ يـاـ شـقـيقـةـ مـايـكلـ،ـ فـأـنـتـ الـرـابـحةـ.ـ وـعـلـىـ الـأـقـلـ حـالـيـاـ.ـ أـسـرـعـيـ،ـ فـالـفـطـورـ يـنـتـظـرـكـ.ـ»ـ

ولـمـ تـرـ بـرـوـنـوـينـ صـيـنـيـةـ الـخـزـفـ بـجـانـبـ سـرـيرـهـ إـلـاـ بـعـدـ رـحـيـلـهـ.ـ وـكـانـ فـيـهـاـ اـبـرـيقـ مـنـ القـهـوةـ وـكـوبـ أـزـرـقـ وـصـحنـ وـأـنـيـةـ لـلـسـكـرـ وـاـبـرـيقـ مـنـ الـحـلـيـبـ.

طـرـفـ عـيـنـاهـاـ.ـ وـكـانـ سـلـاـيدـ فـعـلـاـ،ـ عـلـىـ رـغـمـ كـلـ طـرـقـهـ التـعـسـفـيـةـ،ـ يـتـمـتـعـ بـاـحـتـرـامـ كـافـ لـأـنـ يـحـضـرـ لـهـاـ قـهـوةـ.ـ فـسـكـبـ بـعـضـاـ مـنـهـاـ وـتـتـاـولـتـ رـشـفـةـ سـرـيـعـةـ.ـ لـمـ تـكـنـ رـدـيـةـ مـطـلـقاـ.ـ فـهـزـتـ رـأـسـهـاـ وـالـعـجـبـ يـشـيرـهـاـ مـاـ إـذـاـ كـانـ سـلـاـيدـ فـعـلـاـ مـتـنـاقـضـاـ بـقـدـرـ مـاـ كـانـ يـبـدوـ أـوـ مـاـ إـذـاـ كـانـ يـتـصـرـفـ عـمـداـ بـغـيرـ طـرـيـقـهـ لـمـجـرـدـ إـرـبـاكـهـاـ.

وـإـذـاـ كـانـ قـدـ قـصـدـ اـرـبـاكـهـاـ،ـ فـإـنـهـ عـنـدـمـاـ تـعـلـقـ الـأـمـرـ بـاتـخـاذـ قـرـارـ حـيـالـ مـاـ تـلـبـسـ،ـ فـإـنـهـ قـدـ نـجـحـ نـجـاحـاـ باـهـراـ.

حـدـقـتـ بـكـابـةـ بـمـجـمـوعـةـ التـنـانـيرـ الـمـنـتـقـاةـ مـنـ بـوـنـتـغـلاـسـ وـالـقـمـيـصـيـنـ الـقـصـرـيـنـ حـتـىـ الـخـاصـرـةـ.ـ وـكـانـ الـقـمـيـصـ الـأـخـضـرـ الـبـاهـتـ بـأـزـرـارـهـ الـذـهـبـيـةـ وـاـحـدـاـ مـنـ بـيـنـ مـاـ أـعـجـبـهـاـ وـلـكـنـ الـآنـ،ـ وـفـيـ ضـوءـ مـلـاحـظـاتـ سـلـاـيدـ الـمـرـيـرـةـ،ـ فـإـنـهـاـ بـدـتـ شـاحـبـةـ وـمـرـتـبـةـ قـلـيلـاـ.

انتـزـعـتـهـ مـنـ عـلـقـتـهـ بـتـحـديـ وـلـبـسـتـهـ.

وـكـانـ سـلـاـيدـ مـنـكـئـاـ بـتـكـاـسـلـ عـلـىـ الطـاـوـلـةـ يـقـرـأـ الصـحـيـفـةـ،ـ عـنـدـمـاـ ذـهـبـتـ لـتـنـضـمـ إـلـيـهـ.

وـقـالـ بـلـطـفـ:ـ «ـصـبـاحـ الـخـيـرـ.ـ»ـ

فـقـالـتـ:ـ «ـلـقـدـ سـبـقـ لـكـ أـنـ شـاهـدـتـنـيـ..ـ»ـ

«ـأـعـرـفـ ذـلـكـ،ـ وـلـكـنـ أـقـولـهـاـ مـرـةـ أـخـرـىـ مـنـ جـدـيدـ.ـ وـأـظـنـ أـنـنـيـ أـشـعـرـ أـنـكـ لـمـ تـقـدـرـيـ صـحـبـتـيـ فـيـ الـمـرـةـ الـأـوـلـىـ.ـ»ـ

«ـنـعـمـ،ـ لـمـ أـقـدـرـ.ـ»ـ

هـمـهـ سـلـاـيدـ،ـ وـحـدـقـ بـالـثـوـبـ الـأـخـضـرـ مـتـأـمـلاـ،ـ فـتـجمـدـتـ

برونوين بصورة دفاعية. لكنه هز رأسه باتجاه المطبخ فقط وقال على نحو قاطع. «أعدت كعكاً حلواً، تفضل وتناولـي بعضـاً منه.» واستمر يقرأ الصحيفة.

وبعد توقف قصير هزت برونوين بكتفيها وانتقلـت إلى المطبـخ فوجـدت ثلاـث كـعـكـات مـتـجمـدة بـارـدة وـمـهـملـة في صـحنـ. ابـتـسـمـتـ مـرـغـمـةـ عـنـدـمـاـ وـقـعـ نـظـرـهـ عـلـىـ صـندـوقـ خـلـيـطـ كـعـكـ مـفـتوـحـ وـكـوـمةـ مـنـ الـكـسـارـةـ الـوـسـخـةـ فـيـ حـوـضـ الغـسـيلـ. وـلـمـ يـكـنـ سـلـاـيدـ يـخـدـعـهـ عـنـدـمـاـ قـالـ لـهـ إـنـ لـمـ يـكـنـ يـحـبـ الطـهـوـ.

غير أنها سـخـنـتـ الـكـعـكـاتـ فـيـ السـخـانـةـ الـكـهـرـبـائـيـةـ الـتـيـ جـعـلـتـهـ طـرـيـةـ وـحـارـةـ بدـلـاـ مـنـ بـارـدـةـ مـتـجـمـدةـ وـجـاءـتـ بـهـاـ إـلـىـ الطـاـوـلـةـ.

«شكراً لك.» قـالـتـ وـهـيـ تـبـذـلـ جـهـداـ لـتـجـدـدـ نـوـعاـ مـنـ الصـدـاقـةـ: «كـانـ ذـلـكـ لـطـفـ منـكـ لـتـعـدـ الـقـهـوةـ...ـ وـالـفـطـورـ..ـ وـالـتـيـ أـظـنـ أـنـهـ فـشـلـتـ فـيـ التـأـثـيرـ عـلـيـكـ.» قـالـ بـجـفـاءـ: «وـكـذـلـكـ لـأـنـهـ لـيـسـ خـدـمـةـ أـقـدـمـهـ عـادـةـ. أـمـاـ غـدـاـ فـيمـكـنـكـ أـنـ تـعـديـ لـيـ عـجـةـ بـيـضـ...ـ مـعـ بـعـضـ شـرـائـحـ الـلـحـمـ وـالـبـطـاطـاـ المـقـلـيـةـ إـلـىـ جـانـبـهـاـ.» قـالـتـ بـرـونـوـينـ بـصـورـةـ لـاذـعـةـ: «وـالـتـيـ لـيـسـ خـدـمـةـ أـقـوـمـ أناـ بـتـقـديـمـهـاـ عـادـةـ.»

«لـقـدـ حـانـ الـوقـتـ لـتـبـدـئـيـ.» أـدـارـ صـفـحةـ وـطـوـيـ الصـحـيـفـةـ بـلـبـاقـةـ.

«سـلـاـيدـ.» نـادـتـهـ، وـهـيـ تـحـدـقـ بـزاـوـيـةـ فـكـهـ الحـادـ. «لـاـ أـعـرـفـ سـبـبـ مـجـيـئـكـ بـيـ إـلـىـ هـنـاـ، وـلـكـ إـذـاـ كـانـتـ لـمـجـرـدـ أـنـكـ بـحـاجـةـ إـلـىـ خـادـمـةـ دـوـنـ مـقـابـلـ، فـفـيـ إـمـكـانـكـ أـنـ تـعـيـدـ التـفـكـيرـ بـذـلـكـ..ـ»

أنـزلـ سـلـاـيدـ الصـحـيـفـةـ عـمـداـ. وـقـالـ: «تـعـرـفـيـ، أـنـتـ لـمـ أـفـكـرـ بـذـلـكـ.» وـاستـطـرـدـ وـالـعـجـبـ يـأـخـذـ مـنـهـ مـاـخـذـاـ: «وـعـلـىـ كـلـ حـالـ، الـآنـ مـاـ دـمـتـ هـنـاـ...ـ»

«الـآنـ مـاـ دـمـتـ هـنـاـ، فـلـنـ أـكـونـ تـحـتـ تـصـرـفـكـ.»
«لـمـ أـطـلـبـ مـنـكـ ذـلـكـ.» وـإـذـاـ كـانـ لـاـ بـدـ أـنـ تـعـرـفـيـ، فـإـنـتـيـ جـثـثـ بـكـ إـلـىـ هـنـاـ لـأـنـتـيـ مـدـيـنـ لـشـقـيقـةـ مـاـيـكـلـ، لـتـلـكـ الـفـتـاةـ الصـغـيـرـةـ الـلـطـيـفـةـ الـتـيـ تـتـسـمـ بـاـبـتسـامـةـ عـذـبـةـ وـالـتـيـ حـاـوـلـتـ دـائـمـاـ أـنـ تـسـلـكـ سـلـوكـاـ سـلـسـلـاـ فـوـقـ مـيـاهـ مـتـعـكـرـةـ. وـمـعـ ذـلـكـ، أـرـىـ الـآنـ أـنـ تـلـكـ الـطـفـلـةـ لـاـ وـجـودـ لـهـ بـعـدـ الـآنـ..ـ» وـأـطـلـقـ
نـحـوـهـاـ نـظـرـةـ لـمـ تـمـكـنـ مـنـ إـدـراكـ مـعـنـاهـاـ. «وـفـيـ أـيـةـ حـالـ، لـدـيـ عـلـمـ يـجـبـ أـنـ أـقـوـمـ بـهـ وـأـنـتـ مـعـيـ. وـلـأـرـىـ سـبـبـاـ يـمـنـعـنـيـ مـنـ أـنـ تـوـقـعـ مـنـكـ أـنـ تـؤـدـيـ دـوـرـاـ بـيـتـيـاـ مـنـ حـيـنـ إـلـىـ آـخـرـ. أـوـ
أـنـ ذـلـكـ يـشـكـلـ مـطـلـبـاـ كـبـيرـاـ؟ـ»

صـيـغـ عـلـىـ ذـلـكـ الشـكـلـ، لـوـ أـنـهـ صـاغـهـ بـلـطـفـ لـمـاـكـانـ مـطـلـبـاـ كـبـيرـاـ. وـإـذـاـ لـمـ يـتـمـتـ بـهـذـهـ الـمـوـهـبـةـ فـقـطـ لـإـعـادـتـهـاـ...ـ

وـقـالـتـ: «أـنـتـ لـاـ تـعـمـلـ الـآنـ..ـ»

«أـنـتـ أـخـذـ الـيـوـمـ عـطـلـةـ. وـسـأـدـفعـ غـدـاـ مـقـابـلـ ذـلـكـ، بـلـ شـكـ، عـنـدـمـاـ أـجـدـ أـنـ كـلـ الـمـوـظـفـيـنـ لـدـيـ قدـ تـمـتـعـواـ بـيـوـمـ عـطـلـةـ ذـلـكـ.»

فـسـأـلـتـهـ: «هـلـ تـحـاـولـ أـنـ تـشـيرـ شـعـورـ الذـنـبـ عـنـدـيـ؟ـ»

«هـلـ ذـلـكـ مـمـكـنـ؟ـ»

«أـجـلـ، لـاـ بـدـ أـنـ ذـلـكـ مـمـكـنـ...ـ» تـوـقـفـتـ عـنـ الـكـلـامـ عـنـدـمـاـ لـاحـظـتـ تـجـعـيـدـةـ سـاـخـرـةـ تـرـتـسـمـ عـلـىـ زـاـوـيـةـ فـمـهـ. «لـاـ بـدـ أـنـ ذـلـكـ مـمـكـنـ.» أـكـمـلـتـ سـاـخـطـةـ: «حـسـنـاـ جـداـ، يـاـ سـلـاـيدـ، أـنـتـ الـرـابـعـ هـذـهـ الـمـرـةـ. سـأـعـدـ الـفـطـورـ غـدـاـ.»

«عرفت أنت ستفعلين.» أجاب، وهو يعود إلى تصفح الصحيفة.

وانتهت برونوين من تناول القصمة الأخيرة من الكعكة الباردة، وأخذها العجب مما إذا كان السم ما زال يستعمل. وباستبعادها لذلك، فإن الملح في قهوته ربما يقوم مقامه. لم يكن سلайд يغير أي اهتمام عندما راحت تنظف الطاولة. عضت برونوين على شفتيها وأخذت تضع الصحنون الوسخة في آلة غسيل الصحون. لم تكن تكره ذلك العمل، إلا أنها انزعجت من أنه ظهر مستخفًا بذلك. وألقت نظرة على رأسه اللامع المنحنى باهتمام فوق الصحيفة. ولتكون عادلة، لم يكن معتاداً على تنظيف الطاولة بعد أن يتناول طعامه. وربما كان يقدم للسيدة دويل أجرًا جيداً. إنما من ناحية أخرى، لم تكن هي السيدة دويل. استمرت في النهاية تنظم المطبخ من أجل نفسها بصورة خاصة لأنها، على غرار أمها من قبلها، لم تكن قادرة مطلقاً على السكن في بيت يتسم بالغوضى.

«عمل جميل.» قال سلайд محنياً رأسه بالموافقة عندما وضع الصحن الأخير في مكانه وشرعت في تشريف يديها بمنشفة. «ويجوز أن أحتفظ بك.» قال أيضاً. «لن تسنح لك الفرصة.»

«لا تكوني متأكدة كثيراً من ذلك.» ودفع بنفسه عن الطاولة إلى الوراء، ونهض برشاقة جعلتها، تفكر عفويًا، بmediها ولمسه. «والآن.» تابع حديثه: «وأنت قد انتهيت من واجباتك المنزلية، اقترح أن نبدأ بوضع برنامج لهذا اليوم..»

«أي برنامج؟» تجهمت برونوين بوجهه سائلاً وهي على استعداد للاعتراض على ما يمكن أن يجعل في عقله. واجباتها المنزلية، فعلاً بعد أن قامت بترتيب مطبخه.

غير أنه لم يمنحها وقتاً للاعتراض وقال: «سترين. تعالى، لقد أضعننا وقتاً كافياً.» وكان قد فتح الباب عندما سألهما: «أين قميصك.»

أجابته تاركة إيماه يمسك بالمقبض وصبره يكاد ينفذ.

«في غرفة النوم.»

واختارت عمداً، وهي واقفة أمام الخزانة الكبيرة، أقدم ستة صوف وأقلها جانبية تمكنت من العثور عليها... زرقاء فضفاضة كانت ذات مرة تخص عائلة من الفراشين الفقراء. وإذا ألح سلайд على تنظيم يومها فسوف تجاريه. فلم يكن لديها أي شيء آخر تقوم به. ولكن لن يكون هناك من سبيل تدعه فيه يفرض عليها ما تلبسه.

تلوي سلайд عابساً عندما عادت، ولم يقل شيئاً وهو يفتح باب المصعد ويدخلها إليه.

«إلى أين نحن ذاهبان؟» سألته عندما وصلا إلى الشارع.

«لا تنسي.. فلا بد من رؤية مايكيل...»

فأجابـت: «لن أنسى على الأرجح. فالأشياء الأهم أولًا.»

«مايكيل أولًا.»

«بالنسبة لك يجوز، أما بالنسبة لي فكلا.»

رفعت نظرها، وأدهشتـها حدة صوته الساخط. ووجهـه القاسي بدا على غير طبيعته أيضاً. فهزـت رأسـها وهي تعجب مما دهـاهـ الآن. فـمايكـلـ كان صـديـقهـ، وـمعـ ذـلـكـ، عـندـماـ

كان يتحدث عنه أحياناً كانت تأخذ انطباعاً أنه يكن لأخيها حقداً دفيناً.

بعد وقت قصير، دخلت سيارة البورش إلى أحد مواقف السيارات أمام ما بدا أنه محل فخم حيث يحتوي دون شك على ملبوسات أنيقة وغالية الثمن وذلك ما تظهره واجهته الأمامية التي نظمت بعناية. قالت برونوين محذرة: «سلайд. إنني قلت إنك لن تشتري ثيابي..».

«أعرف ذلك. وأرجوك أن لا تتقوهي بذلك مرة ثانية. فقد بدأت أتبرم من كلامك.» ودون أن يضيع أي كلام آخر فتح باب السيارة وأخرجها منها وسحبها عبر الرصيف.

«سلайд، لا يمكنك... لا أريد...» راحت تصرخ. «يمكنني وسأفعل.» وكان فمه منبسطاً وملوياً بحركة موبخة. «لا شك أن أقل ما يمكن أن أفعله. ولمجرد أنني لم أسلك سلوكاً جيداً تجاه جيني لا يعني أنني لا يمكن أن أفعل شيئاً صالحًا تجاهك.»

عبست برونوين. فلم يكن لكلماته صدى صحيحاً تماماً. وعلى كل حال، ومع أنه كان يقدم لها سقفاً مؤقتاً فوق رأسها بسخاء، فلم يكن يبذل أي مجهود يجعلها تشعر بالراحة وكانت تقيل في منزلها. على العكس، فقد بدا أنه يتسلى بإغرائها، في حملها على الشعور بالجهل والسخرية الأسى الذي تشعر به نحو المرأة التي أهملها بقسوة. فضغطت براحتيها على جبينها. حسناً جداً، وستريه! فإذا أراد أن يُوكِد سلطته بـملء خزانة ثيابها فستدعه... وستغبط هي بدورها اغتباطاً معاكساً في صرف أمواله. والكثير

منه. ولن يقدر على تجنب ذلك، فهي الوسيلة الوحيدة التي وصل بها فكرها إلى تكبده الخسائر. رمته بابتسمة باهتة وهي تقوم كتفيهما، ومشت بمحاذاته إلى داخل المتجر. تقدمت نحوهما امرأة طويلة فاتنة ترتدي ثياباً سوداء رسمت على شفتيها ابتسامة تقليدية. وبدا على سلайд أنه يعرفها. «سلайд.» قالت بنعومة: «يا حبيبي، لقد مضى وقت طويل....»

فقططعها سلайд: «أعتقد أسيّو عين. وإذا كنت أنكر دون خطأ، فقد كان هناك ثمة مشكلة صغيرة حيال زوج..» قهقهت المرأة المتشحة بالسوداد وقالت: «أجل. متعب للغاية. ربما في وقت آخر، يا عزيزي..» «وربما لا.» قال سلайд باقتضاب. «فاليري، أقدم إليك الآنسة إفنتز. فهي بحاجة ماسة لبعض الثياب المناسبة.»

وحينما عبست برونوين به، ألقى المرأة التي تدعى فاليري نظرة لا مبالاة ولكنها نظرة محترفة على ثوبها الأخضر البسيط وقالت متشوقة: «إنني أفهم ما تعنى». وكانت تتنظر تحت أنفها بطريقة شكت فيها برونوين أنها عنت إثارة منافس محتمل لها. ثم قالت: «أجل.» ووضعت اصبعها على شفتيها، وتتابعت: «شيء بسيط. فضل تقضيلاً جيداً، وليس ضيقاً كثيراً ولا أخضر..»

«ولكنني ألبس اللون الأخضر دائمًا.»

«تماماً.» قالت فاليري. فاكتشفت برونوين لأول مرة لهجة بريطانية في صوت المرأة. وأخذها العجب مما إذا

كان سلайд يعرفها منذ وقت طويل. لا، ربما لم يعرفها. فقد قال شيئاً حيال زوج غير متوقع... رفعت ذقنها وأعلنت بصرامة: «أحب الأخضر.» «غير مبتكراً.» قالت فاليري نابذة الاعتراض بحركة لا مبالغية بيدها، وألقت نظرة سريعة تواطؤية مرحة على سلайд. إن ذوات الشعر الأحمر يعشقون اللون الأخضر. «والآن، يا آنسة إفنتز، يناسبك اللون القشدي مع مسحة ذهبية. أو ربما لون البنفسج الفاتح هذا.» وأشارت إلى ثوب لم تحلم برونوين قط بمحاولة تجربته فكيف بها بشرائه؟»

«ولكن ذلك ليس...» شرعت برونوين تقول. فقاطعها سلaid بقوله: «إذا قالت فاليري أنه يناسبك فإن في امكانك الوثوق بكلامها. فهي تعتبر خبيرة في هذا العمل.»

سأراهن، فكرت برونوين وهي تتذكر الزوج. أما المسألة فهي ماهية العمل؟ وأضيئت عيناه بنظرة ضبابية كان أصدقاؤها قد تعلموا الحذر منها وقالت بعذوبة: «أي شيء تقوله، هو حسن جداً، يا سلaid..»

وبينما برونوين تتبع فاليري إلى غرفة تبديل الملابس، قطب سلaid حاجبيه مفكراً. كان هناك شيء ما يتسم بالاذعان حيال استسلام الآنسة إفنتز. لا يدعوا إلى الثقة ومع أن نكرياته كانت حيال برونوين تتعلق بأشياء صغيرة هشة طيبة، أثبتت الحقيقة غير ذلك. فقد أثارت شعوره منذ الوهلة التي شاهدتها للمرة الثانية في رواق المستشفى. وليس لأنه كان فخوراً بسلوكه الخاص. وليس لأنها، فكر

باشمئاز، لم تكن قادرة على السيطرة على سلوكها أيضاً. وافتراض أن ذلك ما جعلها تشكل هذا التحدى والإثارة.

في غرفة تبديل الثياب الأنثى المزدانت بالنحاس، أجرت برونوين تجربة على كل ما اقترحه فاليري ووافقت بحيوية على أن تأخذ الكثير.

لم تتكلم المرأة كثيراً وهي تنظم العلب، وحالج برونوين شعور رغم أن المرأة لن تتنازل عن شهرتها المهنية وتقتراح لزيتون ثياباً غير مناسبة، بأنها تفضل كثيراً أن تكون حررة في أن تقتراح ملابسها من الخيش والمطاط في هذه المناسبة.

لم تقتراح شيئاً كهذا، وفهمت برونوين تدريجياً أن سلaid كان على صواب. فهذه الثياب اتسمت بالتميز ومنحتها أناقة حديثة كانت تقصصها، لا سيما ثوب الحرير القشدي المطرز بالذهب.

وكان الثوب الأخير الذي جربته عليها ثميناً أنيقاً يتمتع بفتحة للعنق منخفضة وتنورة متماوجة مريةحة.

«يجدرك أن تدعوني سلaid يرى هذا الفستان.» قالت فاليري وقد قطبت جبينها. «فقد كان يتمنى بفارغ الصبر، وجميل أن تمنحيه نظرة مسبقة لما يدفع ثمنه.»

قالت برونوين بحدة. ولم يخف عليها التلميح الخفي: «إنه لا يدفع ثمني..»

«طبعاً لا.» قالت فاليري بابتسمة مصطنعة، وعرفت برونوين أن فاليري لم تصدقها.

«هل سلaid صديق قديم لك؟» سالت فاليري بصورة عرضية وأطلقت ضحكة عالية. «إذا جاز القول، يتمتع

سلايد بأصدقاء كثيرين. هلمي، اعرضي عليه الثوب..» أصدقاء كثيرون... أجل، كان لديه بلا شك. وكان في امكانها أن تتصور أي نوع من الأصدقاء أيضاً، إذا كانت فاليري الساحرة مثالاً لأي من تلك الأنواع.

لم تكن برونوين متأكدة من سبب إلحاد فاليري على أن تتف عارضة أزياء أمام سلايد. بدا واضحأ أنها استاءت من اهتمامه بامرأة اعتبرتها منافسة لها. لذلك، قياماً أنها محترفة، أو أنها لم تتمكن من مقاومة المباهاة بنفسها كثيرة... نظراً لكون الثوب مثيراً بلا شك. وحثتها فاليري هيـا. «فسلايد يتمتع بذوق لا يرقى إليه الخطأ... في ثياب النساء..»

لكن ليس في النساء، كان الإيحاء الذي فهمته برونوين. لا يهم. فحياة سلايد العاطفية ليست من شؤونها. ولم تقو على الانتظار لتشاهد وجهه عندما يرى هذه العلب. فخرجت على مهل إلى المحل وهي ترسم ابتسامة صغيرة باردة على وجهها، والتقت ببيطه، وتوقفت بعيدة بخطوات قليلة حيث كان متمدداً على كرسي، أصغر من أن تناسب هيكله الرشيق. وكالعادة، بدا رائعاً. «هل يعجبك؟» سالتـه بروـنوـين وهي تسـقـديـرـ على أصـابـعـ قدمـيهـاـ.

فأمرـهاـ سـلاـيدـ: «ـلاـ،ـ لاـ تـأـتـيـ بـحـرـكـةـ.ـ»

كان شيء ما في صوته جعلها تمثل لما قال، وعندما نظرت إلى وجهه ورأته يجول بنظره في مظهرها بتقدير دافيء دون عجلة من أمره مما جعلها تشعر بعدم ارتياح ووجدت نفسها تحبس أنفاسها.

«سألتك إذا كان قد أعجبك..» كررت بروـنوـينـ عنـدـمـاـ مـيـجـبـهاـ. «ـنعمـ.ـ» قالـ أـخـيرـاـ،ـ وـصـوـتـهـ الجـهـورـيـ يـلـقـفـ حـولـهاـ كالـحرـيرـ: «ـفالـرـزـمـةـ لاـ تـقاـومـ الـبـتـةـ.ـ أـكـادـ لـأـقـوىـ عـلـىـ الـانتـظـارـ لـفـضـهـاـ.ـ»

وأطلقت بـروـنوـينـ أنـفـاسـهاـ بـعـجـلةـ.ـ «ـلنـ تـفـضـهـاـ.ـ» قـالـتـ بـحـرـارـةـ.ـ وـبـعـدـئـذـ اـسـتـجـمـعـتـ كـلـ مـاـ لـدـيـهاـ مـنـ بـقـيـةـ شـعـورـ بالـكـرـامـةـ وـقـالـتـ: «ـلـقـدـ اـخـتـرـتـ أـشـيـاءـ أـخـرـىـ قـلـيلـةـ كـذـكـ.ـ» وـأـوـمـاتـ بـحـرـكـةـ مـنـ يـدـهـاـ إـلـىـ مـجـمـوعـةـ العـلـبـ التـيـ كـانـتـ فالـيرـيـ تـجـمعـهـاـ بـقـرـبـهـ،ـ وـانـتـظـرـتـ الـانـفـجـارـ الـمـتـوـقـعـ.

ولـمـ يـحـصـلـ شـيـءـ،ـ وـبـدـلـاـ مـنـ ذـكـ،ـ شـاهـدـتـ حـاجـبـيـهـ يـرـتفـعـانـ قـلـيلـاـ وـظـهـرـتـ اـبـتـسـامـةـ سـرـيـعـةـ تـرـتـسـمـ عـلـىـ مـحـيـاهـ.ـ «ـإـنـنـيـ أـرـاكـ تـتـلـعـمـيـنـ بـسـرـعـةـ.ـ»ـ وـقـالـ بـجـفـاءـ: «ـإـنـ ذـكـ لـمـ شـجـعـ جـداـ.ـ أـشـكـرـكـ،ـ يـاـ فالـيرـيـ،ـ سـنـأـذـهـاـ.ـ»

وـتـمـتـمـتـ فالـيرـيـ: «ـتـقـتـمـعـ الـأـنـسـةـ إـفـنـزـ بـقـوـامـ...ـ هـنـتـيـ فـعـلـاـ.ـ»ـ لـكـنـنـيـ آـمـلـ أـنـكـ سـتـوـافـقـ عـلـىـ أـنـنـاـ فـعـلـنـاـ أـقـصـىـ جـهـدـنـاـ.ـ»ـ فـأـجـابـ سـلاـيدـ: «ـذـكـ جـمـيلـ جـداـ،ـ وـأـنـتـ تـعـرـفـيـنـ ذـكـ.ـ كـمـاـ

أـنـ قـوـامـ الـأـنـسـةـ إـفـنـزـ يـنـسـجـمـ مـعـ ذـوقـيـ.ـ»ـ وـهـوـ مـلـكيـ أـيـضاـ.ـ أـشـارـتـ بـروـنوـينـ بـأـنـفـعـالـ.ـ «ـوـأـرـجـوـ أـلـاـ تـبـحـثـ ذـكـ الـمـوـضـوـعـ كـأـنـنـيـ بـقـرـةـ قـدـمـتـ جـائزـ أـوـ اـنـتـقـيـتـهـ مـنـ مـعـرـضـ رـيفـيـ؟ـ»ـ

أدـارـ سـلاـيدـ رـأـسـهـ جـانـبـاـ،ـ فـرـأـتـ فـيـ عـيـنـيـهـ تـسـلـيـةـ مـكـبـوـتـهـ.ـ وـقـالـ بـهـدـوـءـ بـعـدـ فـتـرـةـ تـأـمـلـ: «ـكـلاـ،ـ لـأـعـقـدـ ذـكـ.ـ»ـ سـأـلـتـهـ وـهـيـ تـنـرـاجـعـ إـلـىـ الـوـرـاءـ: «ـلـأـ تـعـقـدـ مـاـذـاـ؟ـ»ـ «ـإـنـكـ لـسـتـ مـطـلـقاـ مـاـ أـخـتـارـ لـوـ أـنـنـيـ كـنـتـ فـيـ السـوقـ أـسـعـيـ لـاخـتـيـارـ بـقـرـةـ فـيـ مـعـرـضـ رـيفـيـ.ـ»ـ

وابتسما لها ابتسامة عريضة باعجاب جعلت برونوين تترنح تقريباً ثم ضحكت. إلا أنها تمكنت من كبح ذلك، ورجعت إلى غرفة تبديل الثياب لتبدل الفستان الأخضر وهي تومي برأسها، وتبتسما ابتسامة تظاهر له بها الكبراء. ورأى سلайд في ذلك جمالاً وحياة وسحراً.

وبعد دقائق قليلة، انتابها شعور بالانقباض، وتبعته خارجة إلى السيارة. وب بينما هما ينطلقان، هتفت فاليري. «إلى اللقاء يا عزيزي، أتمنى لك ماليلة هانئة». وعادت من ثم إلى المحل وهي تبتسم ابتسامة صغيرة خبيثة. وسألته برونوين: «ماذا كانت تعني بذلك؟»

« تماماً كما تصورت أنها عن特، يا عزيزتي. أي إننا سننتمي بليلة متالقة بالهياام في سريري الواسع. وهي دعوة مغرية، يجب أن أقول. ذلك أنه لا يعجبني كثيراً أن أنام على الأريكة.»

سألته برونوين من خلال أسنانها: «آه، الا يعجبك ذلك؟» وهي تشعر بوجهها يتوجه حنقاً. عرفت أن ردة فعلها تفاقمت بداعف شعورها بالترقب حيال تبذير أمواله عمداً. ومع ذلك، لم يمنعها ذلك من أن تعلن بثبات: «سلайд لقد اكتفيت. عد بي إلى شقتك حالاً، أرجوك. فسأرحل لأجد مكاناً على نفقيتي.»

«إذا كنت تصرين فسأعود بك إلى شقتي.» أجاب برصانة: «إلا أنك لن ترحل..»

«إنك ستتحملين إذن على البقاء بالقوة.»

«ذلك يمكن تدبر أمره..»

وفكرت في أن تقبض على المقود وتلزم السيارة

بالتوقف غير أن السير كان مزدحماً، ولم تكن قد توصلت إلى نقطة كانت ترغب فيها أن تجازف بحياتها حتى تتمكن من الخلاص من قبضة سلайд.

وسألته، وصوتها يرتج. «لماذا تفعل هذا، يا سلайд؟ فأنا لست جيني برايس، ولست واحدة من أمثال صديقتك فاليري كذلك، إذا كان سبب شرائك كل تلك الثياب لي...»

«لن نأتي، مرة أخرى، على ذكر جيني برايس.» قال بقوسية باللغة جعلت برونوين تثب: «وماذا تعنين بتلك العبارة التي لا مثيل لها، واحدة من أمثال صديقتي فاليري؟» وطوى يده المكسوة بقفاز جلدي حول المقود.

«ذلك مفهوم، أليس كذلك؟» وحدقت برونوين بإحدى الدراجات المارة. «فاليري كانت عشيقتك... إلى أن دخل زوج غير مناسب. إنك لم تتغير مطلقاً، أليس كذلك، يا سلайд؟» وعندما ألقت نظرة على وجهه الجانبي، رأت فمه ينقبض، كما لم يعجبها طريقة قبض أصابعه على المقود التي ذكرتها بالمخالب.

فقال سلайд وهو يميل برأسه قليلاً: «كلا، لم أتغير. إذا كان يجب أن تعرفي، فإن فاليري لم تكن أبداً عشيقتي. وقد عرفتها منذ مدة قصيرة معرفة عادية. وعندما خرجت معها قبل أسبوعين قليلة بناء على طلبها اعترض حدثينا زوج لم أكن على دراية بوجوده. وقد بدا مستسلماً أكثر مما كان فزعاً. وكانت فاليري، كما لاحظت منزعجة أكثر مما كانت نادمة.» وأدار مقود السيارة إلى اليمين بحدة وقال: «من الجائز أن يخيب أملك أن تعرفي أنتي أفضل نسائي مستقلات.»

«مثلي جيني برايس؟» سألت برونوين بلهجة لاذعة وهي تشعر بالكراهية لطبيعته الساخرة وتصرفاته القاسية تلك. اهتزت يد سلайд على المقود اهتزازة متتشحة وكاد يصطدم بسيارة قادمة. قال بعنف تخلله برودة جعلتها تجفل. «كلا. ليس كجيني برايس، التي كانت آنسة طيبة. وبعكس رأيك في شخصي فاينتي، أتمنى لها كل السعادة.» «قالت برونوين دون أن تبذل أي مجهود لاخفاء ازدرائها: «هذا سخاء منك في هذا الظرف..»

وتوقعت من سلайд أن يرد بجواب جارح. غير أنه، لدهشتها، اكتفي بأن اصر على أسنانه وهو يقول دون اهتمام: «ذلك صحيح، أليس كذلك؟ والآن، إن كنت تسمحين، سنتخلص عن هذا الموضوع الممتع المتعلق بحياتي الخاصة، والذي، ليس شأنًا من شؤونك على الاطلاق، وركزي اهتمامك عوضًا عنه، بفانكوفر الجميلة.»

وتبادر إلى ذهن برونوين أن سلайд قد أقدم على فعلته مرة ثانية مما جعلها تشعر أنها على خطأ، على رغم أن الوضع كله من صنع سلайд. وفي أول فرصة تسع لها ستعيد تلك العلبة إلى فاليري. وفكرت في أنها كانت معتوهة في قبولها.

وكان يساورها شعور بالقلق في أعماقها من أنها كانت معتوهة تقريباً منذ اللحظة التي عاد سلайд فيها إلى حياتها.

وقالت: «حسناً جداً». كانت تشعر بإذعان كثيف، نظراً لأنه لم يكن يبدو أن هناك سبباً وجيهأً للاعتراض وكانت متعبة من المشاجرة. واستطردت: «سأكون سائحة ممتازة..»

حافظ الاثنان على نوع من هدوء حذر لبقاء اليوم، في حين كان سلайд يطوف بها في جميع البقع السياحية الجميلة المعروفة حتى أنه بذل جهده كي لا يبدو كأنه قام بذلك مرات ومرات من قبل.

وابتدأ الشجار من جديد في وقت متأخر من بعد الظهر، وقد وقع ذلك عندما تخلت برونوين عن حذرها ولم تعد تتوقع أن يحدث أي خلاف.

قال سلайд: «أظن أنك تودين مشاهدة الجسر المعلق بعد هذا.» كانوا في طريق العودة من سد كابيلانو، الذي بني بالخرسانة تحت الجبال ليمد فانكوفر بالمياه.

فسألته: «أ يجب أن أشاهد ذلك؟»

«إن كنت تودين أن تشعري بالخوف، أجل، يجب عليك أن تشاهدي ذلك.»

لاحظت برونوين تقوس حاجبيه وأخذها شعور مائلوف بالإثارة وقالت وهي ترفع ذقنها. «لا تهمني المرتفعات.» وعندما نظر بغضرة غير مصدق، أضافت هي بحدة: «ربما أنك تخلط بيني وبين جيني، فهي التي كانت تخاف المرتفعات.»

سكت سلайд وبدا هادئاً تماماً، وإذا وصلنا إلى باحة توقيف السيارات الخرسانية، روعتها لبرهة النظرة في عينيه. اعتقدت في بادئ الأمر أنه سيلحق بها أذى، لكنها أدركت بعدها أن ذلك كان مجرد غضب شديد، عندما ضرب بقبضته إزاء ساقيه وتوترت أعصاب عنقه حتى بدت ملتفة كحبال مجدهل.

رجعت خطوة سريعة إلى الوراء وقالت: «لم أعن...»

واختفى صوتها لأنه لم يبق في جانبيها، بل كان يخطو خطوات واسعة أمامها نحو السيارة.

دخلت السيارة عندما فتح لها بابها، وقررت بعد القاء نظرة على وجهه أن الصمت أفضل جزء من الاعتذار. ونكرت نفسها أنها لم ترتكب أي ذنب لتعذر من أجله. ومع ذلك، قطعت شبه وعد لتحفظ بأرائها لنفسها. وكان هناك شيء ما حيال ردة فعله لم يترك تأثيراً كبيراً...

بعد خمس دقائق، ودون أن ينبعس بأية كلمة، دفع سلايد ما توجب عليه للقيمين على المتنزه الذي يعلن عن نفسه على أنه موطن جسر كابيلانو الشهير المعلق.

«إنها طريق طويلة منحدرة..» بدأت برونوين قائلة وهي تمعن النظر في منحدر المضيق الصخري المسقوف بالأشجار، والذي يمتد فيه جسر متمايل مربوط بالكابلات. «لا يتوجب عليك العبور إن كنت لا ترغبين في ذلك..» وحدق سلايد إلى الأمام مباشرة، دون أن يلتفت إليها.

«سأعبر بلا شك..» قالت برونوين ذلك وهي تتقدم نحو الدرج المؤدي نزولاً إلى الجسر دون أن تكرث ما إذا كان يلحق بها. فقد كان في إمكانها أن تتدبر أمرها للحظة دون صحبته. وعندما وصلت إلى منتصف الجسر توقفت تتمتع بالتمايل اللطيف وهي تتحقق في النهر الذي لم يجد من هذا الارتفاع أوسع من جدول. وألقت بنظرة إلى الوراء فلم تتمكن من رؤية سلايد، وتابعت طريقها إلى الناحية المقابلة. وعندما لم يظهر سلايد استنتجت أنه يتتجنب مرافقتها. فقد سيطر عليه مزاج مكفره منذ إشارتها غير المتوقعة عن خوف جيني من المرتفعات.

وراحت برونونين تمشي متمهلة في الممر، تستمتع بالليلة تحت قدميها، مفتنة الفرصة للتتمتع برؤيه السراخس وأوراق النبات غير المألوفة.

وبعد نصف ساعة تقريباً، عادت أدراجها، وما زالت تغتنم الوقت للتوقف على الجسر مرة بعد أخرى تلقي نظرة على الماء المتدقق على الصخور في المنحدر البعيد. وعندما وصلت إلى المتنزه من جديد لم يكن سلايد موجوداً لتراه.

فعرجت إلى محل الهدايا. ولكن لم يكن موجوداً هناك أيضاً.

آه، يا إلهي، ربما قرر التخلص مني. ثم انزعجت من نفسها لأن الفكرة لم تعجبها كما توقعت.
«تبأ! أين تعتقدين أنك كنت؟» جاء صوت غاضب من ورائها.

«أتمشي..» قالت بجفاء: «أما أنت، فأين كنت؟»
أحسست بيدين قويتين تمسكان بكتفيها وتدبرانها على نفسها، فألقت بالختم أرضاً بسرعة.

«كنت أبحث عنك في هذا الجحيم الذي تبلغ مساحته نصف فدان..»
«لماذا؟ كنت بخير..»

«آه، هل كنت كذلك؟ وكيف كان علي أن أعرف ذلك؟ فقد شاهدتك تبلغين نهاية الجسر، ومن ثم اختفيت عنـي..»

حدقت به والحق يأخذ بها دقـيـقة بعد آخرـيـ، فـنـكـرـتـ والـدـهـاـ يـلـقـيـ عـلـيـهـاـ درـسـاـ لـتـأـخـرـهـاـ عـنـ الـبـيـتـ بـعـدـ خـرـوجـهـاـ مـنـ الـمـدـرـسـةـ.ـ فـقـدـ كـانـ يـضـعـ عـلـىـ وـجـهـهـ ذـكـ التـعبـيرـ منـ

الغضب الممزوج بالاهتمام الحقيقي بشأنها حيث أن سلطته لحق بها المهانة.

فقالت: «لم أتأخر طويلاً. وكان في وسعك المجيء أيضاً».

«لقد فعلت ذلك. وقد أمضيت الساعة الأخيرة أبحث عنك.

أفلا تدركين أن أناساً سقطوا فوق هذه الصخور...؟»

«إن الممرات مرسومة رسمًا جيداً». قاطعته برونونين.

«فإبني لست بحمقاء، يا سلайд».

أخذ نفسها عميقاً، وحدق بوما عدة أشخاص بضول.

«كلا». قال بقساوة: «كلا، فإننا الأحمق. وقد تكون حياتي أقل تعقيداً إذا ما سقطت وكسرت عنق الجميل».

«لم يكن هناك أي خطر من ذلك مطلقاً».

أخرج متديلاً ومسح به جبينه. ولاحظت برونونين أن وجهه كان شاحباً جداً.

قالت بهدوء: «سلайд. لا أفهم..»

قال باقتضاب: «لا.. لن تفهمي..»

عبست قائلة: «وبعدئذ...»

أمسك بمرافقها، ودعنته يجرها خارج المكان. «يكفي مرة في غضون يومين». أصر عندما جاء بها إلى الخارج.

«ماذا يعني ذلك؟»

«يعني أن اكتشاف موتك في الصحف كان مثيراً بما فيه الكفاية لمدة أسبوع واحد. ولم أنعم برحلتي إلى المستشفى لأطلع مايكل على أن شقيقته قد ماتت». كانت الكلمات ما زالت قاسية وغامضة، إلا أنه بدا الآن هادئاً

قليلًا. ولم تعد تتوقع أن تجد نفسها ملقة على كتفيه ومرمية في السيارة كولد متمرد.

قالت: «آه. مايكل..» طبعاً، كان قلقاً حيال مشاعر مايكل. فلماذا لم تفكر أبداً بأن قلقه كان منصباً تجاهها؟

«أجل، مايكل. أخوك..»

أحنت برونونين رأسها. فلم يكن هناك شيء كثير تقوله: «آسفة أنك كنت قلقاً». قالت بجمود.

«ليس لأنني كنت قلقاً». أجاب بحدة في صوته. وتتابع:

«أنتي مسؤولة عنك، هذا كل شيء».

وفكرت برونونين أنها هي المسؤولة عن نفسها، ولكنها قررت أن تدع ذلك يمر.

«إلى أين نحن ذاهبان؟» سالت وهمما يعبران بجانب صف من السيارات وأسرعوا في نزول الهضبة.

«إلى المكان الذي أذهب إليه عندما تكون روحى بحاجة للشفاء وقلبي للانتعاش». كانت الكلمات شاعرية تقريباً، إلا أنه تفوه بها بمرارة جعلتها تجفل.

«آه، يا سلайд، إنني آسفة حقاً إنتي... إنني أزعجتك. فلم أفك في أنك قد تقلق».

«وما الذي يدفعك إلى الاعتقاد أنتي كنت قلقاً؟» وعندما لم تجبه أكمل دون أن ينظر إليها. «لقد كنت في وقت من

الأوقات مرمرة أبراج، وقتل شريكه في سقطة من عليها».

همست برونونين وقد أرعبتها عبارته الموجعة: «آه، يا إلهي، لم أعرف...»

«لماذا يجب أن تعرفي؟ لا تتشامخي على مرة ثانية، فهل تفهمين؟»

كان بودها أن تقول له، إنما في أية ظروف أخرى، إنها ليست كلباً لإبقاءه إلى جانبه، إلا أنها لم تقل شيئاً. حتى سلайд لم يقل شيئاً أيضاً وهو يكمل سيره إلى المدينة. وكان الأمر كما لو أنه نسي وجودها إلى جانبه. وتوقفاً بعد نصف ساعة تقريباً بجانب حظيرة مساجة بجدار أبيض غريب يعلوه إفريز قاتم قمرى الشكل. وكانت هناك لافتة تعلن عن الوصول إلى حديقة الدكتور صن يات سن الصينية الكلاسيكية.

وكان سلайд ما زال صامتاً، فقادها عبر ممر إلى باحة مرصوفة بنماذج حصى متشابك، ولما انتقلت، جذب نظرها بركة مرصوفة بالبيشم الأخضر ارتفعت فيها جزيرة بنيت بالحجارة الكلاسيكية المنقرفة، كجبل سورياли. وكانت فيها نباتات أيضاً... صنوبر وخيزران وبرقوق ونباتات أخرى لم تتمكن من معرفتها.

ألقت برونوين نظرة على وجه سلайд فرأته جميع تجاعيده قد زالت، وحالجها احساس مفاجيء بالسکينة. تمنت، وهي تحدق عبر الجزيرة: «يا لغرابة هذه الصخور التي تبدو مشوهة. فإنها تحاكي التنين والأحصنة والسمك... آوه، وأي شيء آخر أود أن أتصوره..» همهم سلайд قائلاً: «تلك هي الفكرة. فقد جيء بها من قاع بحيرة تاي، بالقرب من سوزهو. وقد بنيت هذه الحديقة على طراز الحدائق الكلاسيكية الخاصة بسلالة منغ، وهي الحديقة الوحيدة من نوعها خارج الصين.»

«إنها جميلة.» قالت برونوين ببساطة.
«نعم.» أجاب سلайд موافقاً وهو يرقب تعبيرها الجذل:

«فهل تعرفين أنه، في الفلسفة الطاوية، كل شيء مبني على أساس مبدأ ين وينغ؟»
«ين وينغ؟»

«قوتا التكامل الكونيتيان.» فهنا تشاهددين الصخور الصلبة والخيزران الرقيق الذي يتمايل في الريح، ونور الشمس والظل، والنور متوازن مع الظلام.» وألقى بيده على كتفها متابعاً: «والرجل مع المرأة. ذلك هو تكامل الطبيعة. وقد عرف أولئك الفلاسفة الطاويون القدماء ما كانوا يتتحدثون عنه.»

«ربما.» قالت برونوين، وهي تفكّر بفقدان التناغم في ما بينها وبين سلайд. وراحت تصفي السمع لصوت شلال صغير، ورأت صور النبات والأشجار منعكسة في صفحة المياه الخضراء كالليشم عن بعد، فقالت، وهي تلمس ذراعه.

«إن المكان لهادىء. لماذا جئت بي إلى هنا، يا سلайд؟»
«لأنه المكان الذي أتي إليه عندما يبدو لي أن الكون خرج عن نظامه. فهنا، ما أن تغييري منظورك فإنك تغيرين نظرتك للكون. كالحياة تماماً. وهذا لا وجود للخوف، والعيون لا يصيّها السمّ كذلك. مجرد انتعاش وسرور للقلب. إننا جميعاً بحاجة لذلك أحياناً.»

رفعت برونوين نظرها إليه فوجدت أنه يصعب عليها أن توقف في ما بين سلайд الرزين الحالم وبين القوة المحركة الديناميكية التي اعتادت عليها. ويظهر أن هذا الرجل يتمتع بنواح عديدة، فيبدو أحياناً غامضاً كالمياه الخضراء الراكدة.

إلا أنها كانت مسرورة لأنه أتي بها إلى هذا المكان. ولم

تعد تشعر أنها تقف على حافة هاوية وهي على وشك السقوط في المجهول.
ومع ذلك، لم تستطع التخلص من الشعور بأن إبعاد التوتر كان مؤقتاً.

وعادا إلى شقة سلайд، بعد أن قاما بزيارة طويلة إلى مايكل، قبل أن يخطر على بالها أن الدافع من أخذها إلى الحديقة الصينية لم يكن بذلك القدر من البساطة كما تصورت.

إذ إنه قال: «الرجل والمرأة. فيما كينونتان متفصلتان، ومع ذلك جزء من الكمال الطبيعي....»

وكان سلайд يفتح وسط الغرفة زجاجة من الشراب بكفاءة.

فناوله سائلة بعبوس: «سلайд، مازا تفعل؟»
«أنهي اليوم في ما آمل أن يكون احتفالاً رمزاً.» أجابها برفق.

«وكيف ذلك؟» سأله وارتباكها لا يحتاج إلى تعليل.
وعندما انفتحت خياشيم أنفه بتلك الطريقة المرعبة التي أصبحت تعيش معها شكت في أنها سائلة السؤال الخاطئ.
وكان ذلك.

«يا برونوين إفنز.» قال بصوت خاطف: «أعتقد إنني قلت لك من قبل أنتي متعب جداً من معاملتي كهنري الثامن حيال البحث عن زوجة سابعة إلى سريره وقطع....»

«لقد نكرت كاليفولا، في الواقع.» قاطعته: «ولم يقطع هنري إلا رأسى زوجتين.»
«ذلك صبر جميل منه.» تتم سلайд: «وقد بدأت أشعر

بعطف معين تجاه هنري المسكين.» وسكب الشراب في كوب زجاج ضيق وتناولها إياه.
وبعد لحظة تردد، تناولته.

قال وهو يرفع كأسه: «هذا نخب هنري.»
غصت برونوين، وكانت على وشك القاء الشراب. «لا.»
قالت وهي تسترد هدوءها: «بل نخب مايكل وشفائه العاجل.»

همهم، وأطبق جفنيه الثقيلين على عينيه، فأخفيما يجول في أفكاره وقال: «إذا كنت تلحين، فنخب مايكل..»
وأخذها العجب مما إذا كانت لاحظت نغمة التنازل المتجمهم في صوته.

ولم يحاول، لحسن حظها، أن يتناول كأس الشمبانيا بكامله، كما لم يعد يذكر أية إشارة أخرى عن سريره.
وعوضاً عن ذلك، خلع حذاءه وجلس مركزاً على الكلمات المتقاطعة. ومع أنها تنفست بحرية أكثر، إلا أن شعوراً بالاحباط أزعجها.

وأمضيا ما تبقى من المساء جالسين جنباً إلى جنب على الأريكة مع الصحف، في صمت حميم تقريراً، تخلاته محاولات من جانب برونوين من حين لآخر لتعذر حيال قبولها الثياب.

وأكيدت له للمرة الرابعة أنها تنوي ارجاعها، مما دفع سلайд إلى القاء الكلمات المتقاطعة وقال: «صحيح. قد ينفع ذلك.»

«ما بك؟» قالت برونوين لاهثة وهو ينحني نحوها.
توقف ويده فوق ركبته قائلاً: «يبدو لي أنك تشعرين

بحاجة ملحة إلى أن تدفعي مقابل تلك الثياب..» قال ذلك بصوت بعث الرعشة في عمودها الفقري: «فأنا على وشك التفكير بأن تفعلي ذلك..»

الفصل الخامس

«ما... مازا؟» سالت برونوين وهي تتراجع إلى الوراء مستندة إلى الوسادات الخضراء وعيناها الرماديتان تتسعان من الصدمة. «عم تتكلّم، يا سلايد؟»

«إنني أتكلّم عن عادتك التي تبعث الأسى والتي تركzin فيها على موضوع بضعة أثواب... لا تلبسين أيّ منها، حسيبي أن أبین لك..»

«لكنني لا أستطيع لبسها. لقد قلت لك إنني سأرجعها. إنني...» وتوقفت وقالت بحزن: «لقد سمح لك بشرائها لي فقط حتى أساير موقفك لكونك متغطراً مستبداً. إلا أنني أخطأت. إنه عمل طفولي. وكان يجب ألا أقوم بذلك.»

قال: «كلا. ربما لم يكن يتوجب أن تقدمي على ذلك. ولكن، لأنك أقدمت على ذلك، ولأنك تميلين إلى أن تكوني متألقة تماماً حيال ذلك، فقد حان الوقت لتكتشفى إلى أي حد يمكنني أن أكون مستبداً تماماً.»

«ماذا تعني؟» وابعدت شعرها عن عينيها بتوتر، كما تمنت أن يرفع يده عن ركبتها، لأنها جعلتها تشعر بحرارة وارتباك.

«أعني أنك ستدفعين لي مقابل تلك الأثواب..» وتراجع إلى الوراء فجأة، وتمدد على الأريكة قائلاً: «تعالي..» وفتح ذراعيه. «قبليني..»

«كلا بلا شك.» قالت برونوين وهي تستقيم في جلستها:
«قلت لك قبليني..»
«كلا..»

وابتسم ابتسامة طويلة حالمه بعثت غصة في نفسها
وقال: «لكنك ترغبين في ذلك، أليس كذلك؟»
«كلا، دون شك.»
«هل أنت متأكدة؟» ولامس قدمها بقدمه.

لهشت برونوين وقالت: «سلайд، لا تفعل هذا.»
«إذن، أفعلي ما يقال لك، يا آنسة إفنتز..»
«يقال؟» كررت برونوين ببلادة. لم تتمكن من التفكير
جيداً وهو متعدد هناك بادى الرشاقة والجاذبية بقامته
النحيلة وعضلاته الناطقة بالرجولة والحيوية مما ايقظ في
نفسها الرغبة في ...

«يا عزيزتي، برونوين، لا تحمليني على الإثبات لك مدى
غضركستي.» وكان صوته رقيقاً حسيناً ومشمسزاً... ودون أن
تشعر بما كانت تفعل تماماً، رفعت يدها وألقتها على ركبته.
ورأت من خلال عينيه اللتين لم تكونا مركزنات تماماً
سلайд يأخذ نفساً سريعاً، ثم قال بهدوء: «هذا أفضل. والآن،
لو أنك تقتربين قليلاً...»
«قال العنكبوت للذبابة.» همست مرتجة.

ابتسم سلайд وقال: «لست متأكداً من أن التفسير
يعجبني، ولكن، إذا كنت توين أن تصوغيها بهذا
الشكل...» ومرر أصبع قدمه على ساقها مرة ثانية،
فتاؤهت برونوين.

وفي اللحظة التي انحنت فيها نحوه، رفع سلайд ذراعيه

وعانقها. فكان في إمكانها أن تشعر بضربات قلبها عبر
قميصه الحريري الناعم.

همس قائلاً: «قبليني..» وكان صوته أحش. فإستجابت
لطلبه وفعلت ما أمرها به وهي في خضم مشاعر لم
تختبرها من قبل.

شدها بذراعيه، وأحسست بيده تداعبها.
«آه، يا سلайд.» تمنت وهي ترفع رأسها. «أرجوك...»
«قبليني أيضاً.» أمرها بذلك.

لم تكن بحاجة إلى الالجاج. وعندما اقتربت منه تجاوب
معها بعاطفة كانت تدفع بها إلى الصراخ لو أنها كانت قادرة.
وما كادت تدرك فجأة ما حدث حتى وجدت برونوين
نفسها تستقيم. وجلس سلайд أيضاً بوجه كرعد الصيف،
واضعاً مرفقيه على ركبتيه وساندأ جبهته بقبضته. وقال
هادرأ، دون أن ينظر إليها: «تبأ لك ماذا تعتقدين أنك
فاعلة؟»

لم تعرف برونوين ما كانت تفعل. ومهما كان ذلك،
فسلайд هو الذي بدأ، ولم يكن لديه أي تبرير في إلقاء
الملامة عليها الآن. فيذلت جهداً مضنياً لاخماد الحرارة
التي كانت ما زالت تعصف في معدتها وقالت ببرود: «لست
متأكدة مطلقاً، فلا بد أنني تخليت عن مشاعري مؤقتاً...
واعتقد أنه يمكن وضع سؤال معقول أكثر هو، لماذا حنست
بوعدك بعدم التعرض لي؟»

«لم أمسك.»

ورفعت يداً إلى فمها وسألته: «سلайд، كيف يمكنك أن
تجلس هناك وتتفوه بهذه الأكانيب السخيفة؟»

جلس عندئذ، ونظر إليها مباشرة قائلاً: «إنتي لم أفع بشيء لو أنك تذكرين، لقد قلت ذلك لكي أضع حداً لعزمك المستمر على وتر واحد حيال تلك الأثواب التي سأجعلك تسددين ثمنها. وقد فعلت. ولم أمسك، يا برونوين. فأنـتـ التي لمستـنيـ».»

كان ذلك صحيحاً بطريقة ما، غير أنـ آيةـ امرأةـ يمكنـهاـ أنـ تصمدـ إـزـاءـ قـوـةـ سـلـاـيدـ العـاطـفـيـةـ الفـعـالـةـ عـنـدـمـاـ يـخـتـارـ أنـ يـحـولـهاـ إـلـىـ قـوـةـ ضـارـيـةـ؟ـ»

قالـتـ بـغـباءـ: «حسـنـاـ جـداـ، لـقـدـ أـثـبـتـ إـذـنـ آـنـكـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـحـصـلـ عـلـىـ مـبـتـاكـ تـهـامـاـ، إـلـاـ آـنـكـ لـمـ تـحـصـلـ.ـ»

«أـصـحـيـحـ هـذـاـ؟ـ وـكـيـفـ تـعـرـفـيـنـ آـنـنـيـ لـمـ أـحـصـلـ؟ـ»

«حسـنـ...ـ» وـرـطـبـتـ شـفـتيـهاـ. «اعـتـقـدـتـ...ـ» حـاـولـتـ مـرـةـ ثـانـيـةـ.ـ وـقـالـتـ: «هلـ تـخـبـرـنـيـ آـنـكـ صـرـفـتـ كـلـ تـلـكـ الـأـمـوـالـ مـنـ أـجـلـيـ مـقـابـلـ لـأـشـيـاءـ أـكـثـرـ مـنـ قـبـلـةـ؟ـ»

«لـأـشـيـاءـ أـكـثـرـ مـنـ...ـ؟ـ آـهـ، إـنـنـيـ أـفـهـمـ.ـ يـاـ لـكـ مـنـ سـاـخـرـةـ،ـ يـاـ بـرـوـنـوـينـ.ـ وـلـمـسـ خـدـهاـ بـرـفـقـ وـوـقـفـ.ـ «آـلـمـ تـفـكـرـيـ آـنـنـيـ قـدـ أـخـتـارـ أـنـ أـبـتـاعـ لـكـ أـشـيـاءـ دـوـنـ أـيـ دـافـعـ سـوـىـ أـنـ أـرـاـكـ تـبـدـيـنـ جـمـيـلـةـ وـلـائـقـةـ الـمـظـهـرـ فـيـ مـاـ يـتـوقـعـ آـنـ يـكـوـنـ صـيـفـاـ طـوـيلـاـ حـارـاـ؟ـ»

قالـتـ بـرـوـنـوـينـ كـلـاـ: «لمـ أـفـكـرـ.ـ فـلـقـدـ كـنـتـ تـهـتمـ بـنـفـسـكـ دـائـماـ،ـ يـاـ سـلـاـيدـ...ـ وـلـيـسـ مـنـ السـهـلـ تـنـاسـيـ الـعـاـضـيـ.ـ»

فـقـالـ بـخـشـونـةـ: «الـلـعـنـةـ عـلـىـ الـمـاـضـيـ.ـ» مـاـذـاـ تـعـرـفـيـنـ عـنـهـ،ـ يـاـ فـتـاةـ الـقـرـيـةـ الصـغـيرـةـ؟ـ»

تـرـاجـعـتـ بـرـوـنـوـينـ قـلـيـلاـ إـلـىـ الـورـاءـ نـحـوـ ذـرـاعـ الـأـرـيـكةـ مـشـدـوـهـةـ تـجـاهـ الـعـاصـفـةـ الـمـبـاغـتـةـ وـمـذـهـولـةـ مـنـ الغـضـبـ الـقـادـحـ فـيـ عـيـنـيـهـ الـزـرـقاـوـيـنـ.

«ـسـلـاـيدـ،ـ أـرـجـوكـ...ـ»

ـلـكـنـ،ـ لـاـ.ـ» قـالـ وـهـوـ يـشـدـ عـلـىـ أـسـنـانـهـ،ـ وـاضـعـاـ أـصـابـعـ الطـوـيـلـةـ عـلـىـ كـتـفـهاـ،ـ وـمـحـدـقـاـ فـيـهاـ كـنـسـرـ يـحـاـولـ التـهـامـ آـيـةـ قـطـعـةـ مـنـ فـرـيـسـتـهـ أـوـلـاـ.ـ وـعـنـدـمـاـ أـخـدـ اـبـهـامـاـ يـضـغـطـانـ بـقـسـوـةـ قـلـيـلاـ جـفـلـتـ.

ـظـهـرـتـ عـلـىـ قـسـمـاتـ وـجـهـهـ عـلـامـاتـ فـشـلـ ذـرـيعـ،ـ نـوـعـ مـنـ الصـدـ الـيـائـسـ،ـ وـمـاـ لـبـثـ أـنـ تـرـكـهاـ.

ـوـقـالـ بـخـشـونـةـ: «ـآـهـ،ـ اـذـهـبـيـ إـلـىـ السـرـيرـ.ـ»

ـوـعـنـدـمـاـ جـلـسـتـ لـاـقـيـ حـرـاـكـاـ،ـ فـاغـرـةـ فـمـهـاـ تـجـاهـهـ،ـ كـرـرـ: «ـهـيـاـ،ـ اـذـهـبـيـ إـلـىـ السـرـيرـ،ـ لـدـيـ عـلـمـ يـتـعـيـنـ عـلـىـ الـقـيـامـ بـهـ.ـ وـلـاـ تـنـسـيـ آـنـنـيـ أـرـيدـ عـجـةـ بـيـضـ فـيـ الصـبـاحـ.ـ»

ـ«ـوـشـرـائـحـ لـحـمـ.ـ» تـمـقـتـ بـرـوـنـوـينـ بـارـهـاـقـ وـارـتـبـاـكـ.ـ هـلـ تـقـولـ لـهـ أـنـ فـيـ إـمـكـانـهـ أـنـ يـعـدـ نـفـسـهـ مـحـظـوـظـاـ إـذـاـ حـصـلـ عـلـىـ عـصـيـدـةـ مـذـاقـهـاـ سـمـ وـقـطـعـ خـبـزـ مـحـرـوـقـ.ـ كـلـاـ هـذـاـ الـكـلـامـ يـمـكـنـ تـأـجـيلـهـ إـلـىـ الصـبـاحـ.ـ إـنـمـاـ كـانـتـ حـالـيـاـ أـكـثـرـ مـنـ سـعـيـدـةـ فـيـ آـنـ تـذـهـبـ إـلـىـ السـرـيرـ،ـ كـمـ اـقـتـرـحـ،ـ بـشـرـطـ أـلـاـ يـنـوـيـ الـانـضـمامـ إـلـيـهاـ.ـ فـنـظـرـتـ إـلـيـهـ بـشـكـ.

ـوـقـالـ،ـ وـكـانـهـ فـهـمـ أـفـكـارـهـاـ بـيـدـقـةـ: «ـكـلـاـ يـشـرـطـ أـلـاـ أـسـعـ آـيـةـ كـلـمـةـ أـخـرـىـ حـيـالـ تـلـكـ الثـيـابـ،ـ فـأـنـتـ فـيـ أـمـانـ تـامـ.ـ»

ـوـفـكـرـتـ بـقـنـوـطـ وـهـيـ تـلـبـسـ قـمـيـصـ النـومـ الـذـيـ قـالـ عـنـهـ أـنـ مـكـانـهـ الـمـفـضـلـ فـيـ الـمـتـحـفـ.ـ كـيـفـ يـمـكـنـ أـنـ تـكـوـنـ آـمـنـةـ مـعـ سـلـاـيدـ وـهـوـ فـيـ الـغـرـفـةـ الـثـانـيـةـ،ـ يـحـضـرـ بـلـاـشـكـ هـجـمـاتـ أـخـرـىـ عـلـىـ سـلـامـتـهاـ الـنـفـسـيـةـ؟ـ وـالـجـسـدـيـةـ،ـ اـضـافـتـهاـ تـلـكـ الـفـكـرةـ بـسـرـعـةـ.

ـلـمـ تـكـنـ تـتـوقـعـ أـنـ يـكـوـنـ تـأـثـيرـهـ عـلـىـ جـسـدـهاـ تـلـكـ التـأـثـيرـ.

بهذه القوة. إنها رغبة كاسحة لا يمكن الهرب منها. وإن أفضل طريقة للتخلص منها هي في الابتعاد، بقدر الامكان عن مصدرها. إنما ذلك ليس سهلاً، طالما بقي مايكل في المستشفى. صحيح، أنه في الطريق إلى الشفاء، ولكن إلى أن يقف على قدميه لم تكن لديها الرغبة في ترك فانكوفر. رمت برونونين رأسها بإعياء. يمكنها أن تترك شقة سلайд، مع ذلك. وكان البقاء هنا تدبيراً معقولاً من جهة واحدة، ولكن، كما كانت قد اكتشفت، فإن المنطق لا يدخل في الصورة كثيراً عندما يقرر سلайд أن يسلك سبيلاً ما. ذلك يعني أن الحل الوحيد يمكن في الرحيل غداً. حالما يذهب إلى العمل.

قررت ذلك دون أن تنسى، أنه من الأفضل عدم إثارة شكوكه، لذلك عندما سمعت ساعة المنبه تدق السادسة صباحاً، خرجت من السرير بسرعة بالغة. وكان سلайд في غرفة الجلوس يلبس بنطلوناً قصيراً جداً فقط. وقالت لاهثة: «عفوأً وتورد وجهها وتراجعت وهي

تتابع: «كنت... كنت سأقوم بإعداد فطورك، لكن...» «في هذه الحالة، لن أقبل لك عذراً». أجابها فجأة: «اذهبي حالاً لاعدادها». ولم يحاول أن يغطي نفسه في حين مرت برونونين، حاجبة عينيها، بجانبها إلى المطبخ.

«هل يبدو منظري سيناً إلى هذا الحد؟» سمعت صوته يسخر برفق من ورائها. «أعرف أنني لست في أحسن حال في الصباح ولكن...» وانتهت الكلمات بضحك خافتة بينما وضع برونونين مقلاة على الطباخ بطريقة كادت تعطب ابهامها.

وفكرت غاضبة ليس في أحسن حال في الصباح، حقاً، بل كان سعيداً جداً في الصباح. فما من سبب يدعوه إلى أن يجول في المنزل بذلك الشكل.

وانهمكت في إعداد البيض وشرائح اللحم والخبز المحمص، ولم تعر أي انتباه آخر لسلайд إلى أن دخل المطبخ، لابساً بذلة رمادية فظيعة جعلته يبدو بارداً ومنفراً بصورة رهيبة. وقررت برونونين أنها لا تحب أن تكون في الجانب المعارض في أي شيء يتعلق به.

قال وهو يسحب كرسيه ويجلس متترقاً بترقب مفتuel الفطور. «بالمناسبة لا تزعجي نفسك في الاختباء لحظة أديرك فيها ظهري، هل سمعت ذلك؟ لدى مصادر في مستشفى مايكل. وسيكون العثور عليك من السهولة بمكان في حال اختفائك لا.» ورفع يده بينما برونونين ترفع طبقاً من البيض عن الطاولة سديدة بنية واضحة إلى رأسه. «أنا لن أفعل ذلك. إنما أعيد الوجبات - والبيض المتطاير.» قال سلайд لها. وعندما ألقى الطبق أمامه بصوت ظنه صادراً عن اصطكاك أسنان ضحك ومد يده يمسك يدها.

وقال برفق: «لا تعبسـي. فذلك يجعلك تبدين كسمكة (تروت) مروقة. وعلاوة على ذلك، حتى إذا كنت لا تصدقين، فانا أكـن لـمصلحتك كل تقدير فعلـاً. فالـفـنـادـقـ ليست زـهـيدةـ التـكـلـفةـ فيـ فـانـكـوفـرـ.»

فقالت برونونين مقطبة انتي: «لست مفسلة.» «أنا متأكد من أنك لست كذلك. إلا أنه يتغير عليك أن تخري أموالك للحالات الطارئة. فكري في ما كان سيحدث لو أن مايكل أصيب بانتكاسة؟»

عليه. وتتمنى أن اعجب سلايد لم يكن واردأليها، فلبسته. حدقت بنفسها في المرأة. أنيقة. هزت بكتفيها دون ارتياح، وما زالت تشعر أنها وقعت في شرك حملها على الاحتفاظ بهذه الثياب. فقد يتوجب عليها أن تقوم بأي شيء كتعويض لسلايد، سواء أراد ذلك أم لا – ليس لإرضائه، ولكن لإرضاء نفسها.

راحت تجول في أرجاء الشقة لتقوم بالعمل الأفضل، فدخلت الحمام وبدأت في تنظيف المغسلة. ومع أن غرفة الجلوس كانت نظيفة ومرتبة، لاحظت أكوااماً من الثياب الملقة في غرفة النوم، كما كان الحمام بحاجة لتنظيف جيد. وكان ورق الجدار الأخضر المخطط قد أخذ يتقشر. مهمت برونوين، ومدت يدها تنزع الورق فرأته ينثر بسهولة. عجبت لها.

وبعد ساعة كانت تقف على طاولة المطبخ وفي يدها قلم ومسطورة تضع بواسطتها علامات على لفة ورق جدران جديد ومضت ساعة على ذلك، وهي تعمل منهنكة بكل ما أوتيت من طاقة، فلا توقف إلا عندما تكون متزعجة من شيء ما. كانت تخصص الورق على جدار غرفة الحمام بكفاءة.

عندما لم يبق إلا بضع أقدام لتنطفيتها، توقفت عن العمل تتفحص الوقت. شيء مزعج. لا بد أن تنتهي العمل في وقت لاحق، فقد يكون مايكيل متقدراً زيارتها الآن.

تأخرت، لذلك طلبت رقم سيارة التاكسي التي تركها سلايد لها. وذهلت عندما أخبرها السائق أن الأجرة قد دفعت. وفكرت من أن سلايد فعل ذلك مرة ثانية، ولم تكن متأكدة

لم تفكر بذلك. فقد تركت بيتها على عجلة كبيرة لم تتمكنها من تخطيط طويل الأمد. وكان سلايد يعاملها معاملة حسنة عوضاً عن ذلك. ولو أنه يبقى على ذلك الشكل، عوضاً عن بقائه متسلطاً ومستبداً و – لا مفر من ذلك – مثيراً عاطفياً.

«عديني أنك لن تسبني لي كل أنواع المشكلات غير الضرورية بهربك.» قال مبتسماً ابتسامة اقناع مغربية جعلتها تنسى سبب رغبتها في الهرب في المقام الأول. «واعديني أنك لن تتقوّي بأية كلمة حيال تلك الثياب..» «نعم.» قالت وهي تقاوم احساساً يفقدان القوة في رجليها. «أعدك.»

«هذا حسن.» وربت على مؤخرة ثوبها، وأكمل تناول فطوره.

اعتبرت برونوين رجفة وأسرعت عائدها إلى المطبخ. «رجل لا يرحم.» قالت بصوت مرتفع لحظة إغلاق الباب وراءه.

نادراً ما كانت برونوين تشتم، وفي الواقع لم يكن سلايد بلا رحمة هذا الصباح خاصة، إلا أنها كانت مرتبكة، غير واثقة من نفسها، كما كان الإرباك يجعلها دائماً سريعة الغضب. فنظرت إلى الساعة المعلقة في المطبخ، فوجدت أن الوقت لم يتعذر الثامنة صباحاً. فما زال الوقت باكراً جداً للقيام بزيارة مايكيل. عبست، وسارت بخطى وئيدة إلى غرفة النوم وأخذت تفضي العلب التي جاءت بها البارحة.

قررت أن تفضي العلبة التي تحتوي على الثوب الأزرق الشاحب اللون الذي ألحّ فاليري على أن سلايد قد يوافق

ما إذا كان ينبغي عليها أن تكون ممتنة أو مستاءة من تحكمه.

«و، و.» صرخ مايكل حالما دخلت الجناح. «ماذا أصابك يا برون؟ إنك تبدين كقطعة نقد من فئة المليون دولار..» قالت برونوين مبتسمة: «أشكرك.» كذلك أنت لا تبدو سيئاً. فالضمادات تتسم بشيء مؤثر جداً.

فقال بمرح: «لقد اكتشفت ذلك.» «إنها تُظهر الغريزة الواقانية في النساء.»

وقالت برونوين بقساوة مايكل: «لقد حان الوقت لكي تتوقف عن القاء النظارات الغرامية وتستقر..» سألها وهو يبتسم ابتسامة عريضة: «لماذا؟»

«لأنك كبرت كثيراً وما زلت تتصرف كما يتصرف مراهق أحمق، ذلك هو السبب. ومع ذلك، لماذا يجب على أية امرأة أن تتحملك. لا يمكنني أن أفكر بذلك.»

قال: «لقد حدث ذلك مرة واحدة.» دون أن يتوقع منها ذلك. قالت برونوين بدھشة: «أصحيح هذا؟» «هم. منذ وقت طويل..»

قالت باشمئزاز: «واعتربت قدميك ببرودة وهررت..» «ليس ذلك بالضبط. فقد قررت أن تغيرن بشخص آخر.» حدقت به برونوين. وكان في صوته شيء ما أقنعها أن أخاها قد لحق به أذى من جراء ذلك الرفض القديم. فلربما لم يكن عديم التفكير وسطحياً يقدر ما تصورت.

إلا أنه غير الموضوع وعاد إليها.

«ماذا عن هذا الثوب الجميل، يا برون؟ فهل أخذ المحل القديم يدر عليك في النهاية ثروة؟»

ضحك بخجل وقالت: «لا، مجرد معيشة كافية.» ثم همّشت قائلة: «سلايد هو الذي اشتري الثوب..» «سلايد!» قال بتعجب وعيناه تضيقان: «علامً ماذا تراهنين، يا شقيقتي الصغيرة؟» «لا أراهن على أي شيء..» قالت مدافعة: «فقد كان سلايد لطيفاً جداً، ذلك كل ما في الأمر..» «أي لطف هذا؟» سالها مايكل وهو يرسم إشارة شك خالية من الاطراء.

«حسناً... لقد سمح لي بالبقاء في شقته وطاف بي حول فانکوفر» وتقوّقت في زاوية من غطاء سريره. «وقد اشتري لي أيضاً بعض الثياب لأنّه، حسب قوله، لم أكن أرتدي ثياباً لاتقة تتناسب مع... الطقس..» «اللعنة على الطقس..» أجاب مايكل: «فهل خالجتك أية فكرة، يا برون، بما أنت بسبيله؟» تنهدت وقالت: «لا، ليس في الواقع، لكن... إذن، هل سلايد خليع لهذه الدرجة، يا مايكل؟» ولم تكن متاكدة أنها تود أن تسمع جواباً.

«خليع؟» وضحك ضحكة استنكار وقال: «هذه كلمة لا أكاد أستعملها. ولكن، بما أنك سالت، أظن أنه كذلك بشكل ما. فهناك نساء يركضن لاهثات دائمًا وراءه. يا له من شيطان محظوظ. غير أنتي لا أعتقد أنه يهتم كثيراً بهن. وعندما يحظى بأية واحدة... شبه دائمة، فينبغي أن أقر أنه يقوم بلعب دور منصف.»

«ولكن...» همت بالكلام وهي تشعر بغصة، ولكنها أعادت ابتلاع الكلمات التي كانت تود أن تنطق بها. ولم يكن

هناك أي دافع لاسترجاع موضوع جيني برايس... التي لم يعاملها معاملة منصفة. من المحتمل أن مايك لم يدر بجيني، ومن غير اللائق أن تحطم أو هامه حيال صديقه. وانتقل إلى أحاديث مشحونة قليلاً، ولم يذكر سلайд مرة ثانية إلى أن تعمم مايك بصورة غير مباشرة وهي تغادر: «احذرى، يا برونون، لقد كسر صديقى القديم قلوبأ كثيرة في زمانه.»

«حسناً، لن يكسر قلبي.» قالت برونوين وهي تتحقق به. همهم مايك مبتسمًا بطريقة تنم عن إدراك، فتحول تحديقها إلى عبوس.

وكانت ما زالت عابسة وهي تترجل من الباص، بعد أن رفضت عرض سائق التاكسي نقلها. وقبل أن تصل ردهة البناء الذي يسكن فيه سلайд كانت شديدة الانزعاج من إشارات وتلميحات مايك حتى أنها لم تلاحظ المرأة الصغيرة التي كانت تروي النباتات إلى أن كادت تصطدم بها.

«آه، آسفة.» قالت لاهثة وهي تمد يدها لتشد المرأة أكبر سنًا.

«لا بأس، يا عزيزتي.» ونظرت إليها المرأة نظرة تخمين سريعة وأضافت: «إنها ليست الحادثة الوحيدة التي ألتقاها اليوم. فقد صدمت سيارة متوقفة قبل دقائق قليلة مخفف الصدمات في سيارتي بينما كنت أحاول أن أتجنب أحد المشاة... وصدم طرف مقدمة سيارتي هذا الصباح أحد أضواء الشوارع المتنقلة الذي كان آتياً باتجاهي مباشرة.» «آه، يا عزيزتي.» قالت برونوين بتردد: «إنتي آسفة جداً.

فلم أتعد أن أصدق...» لا. لا، انتظري دقيقة. لم تتمكن من الاعتذار لصدماها هذه السيدة الصغيرة الحجم. وهمهم، ثم راحت تمشي منحرفة إلى اليسار.

«أنت آنسة سلайд الجديدة، ألسْت كذلك؟» قالت المرأة وهي تخطو برشاقة أمامها.

قالت برونوين: «كلاً أنتي مجرد صديقة. فكيف عرفتني إبني باقية...؟»

«آه، أنا أعرف دائمًا ماذا يجري في هذا البناء، يا عزيزتي. أنا السيدة بيكرسلي، وأنا معروفة بصفتي ملمة بأحوال الناس. والناس، كما ترين، ممتعون أكثر بكثير من الأشياء..»

وانبسطت أساريرها تجاه برونوين، التي تسائلت إذا كانت صديقتها الجديدة تتوقع وساماً لأنجاماسها في التسلية بشؤون الآخرين.

همهمت السيدة العجوز وقالت دون أن تكون متأكدة: «ذلك جميل.»

ولاحظت السيدة بيكرسلي عدم ارتياحها، ولمعت عيناهما الشبيهتان بأعين العصافير وقالت: «أرى أنك في سرعة من أمريك، أليس كذلك، يا عزيزتي؟ وهل سيكون السيد سلайд في انتظارك؟»

«آه، لا أتوقع ذلك.» قالت برونوين بسرعة، ووضعت يداً على زر المصعد قائلة: «هل قلت السيد سلайд؟»

طبعاً، نعم، يا عزيزتي. فذلك اسمه، أليس كذلك؟ ولكن ربما كان لديك اسمًا شخصياً للرجل العزيز.»

«كلا.» قالت برونوين بسرعة: «كلا، ليس لدي..»

وضغطت على الزر وانتظرت قدوم المصعد وعقلها يعلم بسرعة.

سلايد كان له اسم غير سلايد. لا بد أن الأمر كذلك وكم هو غريب ألا يخطر ذلك بيالها من قبل. إلا أنه كان دائمًا سلايد. مجرد سلايد. ولا شيء آخر... حتى في المدرسة، حسب عملها، لا بد أن تسأله...

وصل المصعد، فدلفت إلى داخله بسرعة. وعندما أغلق وصل المصعد، سمعت السيدة بيكرسلி تصيح في أثرها: «هيا تمتعا أيها الشابان العابثان».» جفلت برونوين. وفي الوقت الذي فتحت فيه باب شقة سلايد كانت غاضبة تماماً لدرجة أنها تركت معها الباب يرتطم بالجدار.

وتمتمت: «اللعنة على تلك المرأة. كيف تتجرأ؟» ألقت بحقيتها أرضًا، وسارعت غاضبة نحو الطاولة وتناولت قطعة جديدة من ورق الجدران.

قال سلايد صارخاً وهو يلقي بحقيبته الصغيرة على الطاولة قبل أن ينزع عنه سترته ويلقيها على كرسي: «يا للجحيم، مازا يجري هنا؟» ونقل انتظاره بين قسمات الورق المقصوص الملقي على أرض المطبخ والمقص والمقص والأدوات الأخرى على الطاولة ونادى: «برونوين. أين أنت؟»

أجابت برونوين من الحمام: «هنا، في الداخل.» لاحظ سلايد أن صوتها الرقيق كان عادة يتسم بحدة من طبعها، فابتسم متوجهًا وهو يخطو نحو الباب المفتوح. كانت برونوين تقف على كرسي تمسح باسفنجية شريحة

ورق جدران، رسمت عليها مجموعة من السفن الشراعية التاريخية تشق طريقها عبر بحر نقى. وكانت بزتها الزرقاء ملطخة بالماء ومعجون التلصيق. «ماذا تظننين أنك تفعلين؟» سألها سلايد.

فقالت: «أضع ورق الجدران.» وتابعت عملها. «إنتي أرى، ذلك. إنما دعني أأسأك لماذا اخترت إزالة الورق الذي انتقليه شخصياً واستبدلته بنسخة بيت حسانة؟»

نزلت برونوين من على الكرسي وكادت تسقط لو لم يبادر إلى الأمساك بها. «ألا يعجبك ذلك؟» سألته وهي تثبت نفسها باتجاه الجدار وتتملص من قبضته المثيرة. «اعتقدت أنها تعجبك. فقد القيت نظرة على رفوف الكتب لديك فشاهدت فيها جميع أنواع الكتب التي تتحدث عن الابحار...»

«إن استمتعتني بالابحار. لا يعني أنه يسرني أن يعاد زخرفة شقتي.»

«آه.» قالت برونوين. وكان يمكنها أن تشعر بالطاقة، الجنونية، التي جعلتها تستمر طيلة اليوم تقريباً، قد أخذت تتبدد وهي تتكلم. «كان يجب علي أن أفكر، على ما أظن، ولكنني أردت أن أفعل شيئاً ما... لتسوية الحساب مقابل الشياب...»

«آه لقد سويته جيداً.»

واجبرت برونوين نفسها على لجم مزاجها. «وكما كنت أقول... أو أحاول... كان الورق القديم يتقشر، وكنت قد لاحظت متجر الدهان حول الزاوية...»

«وأنت كنت في مزاج سيء للغاية وأردت أن تقومي ببعض العمل للتخلص منه». كان صوته صارماً رهيباً وغير موافق، لكن لم تكن هناك نقطة جوهيرية في استنكاره. وقد عرف جميع أهالي بونتغلاس أنه عندما تكون برونوين إفنتز في مزاج سيء، والذي لا يحدث، لحسن الحظ، غالباً، فإنها كانت تصرف نقودها على ورق الجدران وتشريع في إعادة لصق الورق على جدران غرفتها.

«هل هناك أي سبب خاص يحدوك للصق الورق مقلوبة رأساً على عقب؟» سأله سلайд وهو يمرر أصبعه برفق على الشق...»

وبدا السؤال عرضياً تماماً، إلا أن صوته لم يكن مستقراراً...»

«إنها ليست...» بدأت بالقول، ثم توقفت. «آه، يا الله. إنها فعلاً كذلك.»

ولم يكن ثمة سبب. فالسفن التاريخية فوق النافذة كانت تبحر حالماء عبر سماء زرقاء متماوجة بهدوء.

قال سلaid: «لا بد أنك كنت منزعجة. فهل كان السبب شيئاً مما قلتني؟»

نظرت برونوين إليه لأول مرة منذ دخولها الحمام، ولم يكن ما قرأتة فوق التواء شفته الرقيقة أو على قوس حاجبيه عدم استحسان. كانت ملهاة سخرية وملهاة مؤازرة. وكانت القشة الأخيرة. قامت بمحاولة حقيقية لتتسدي إليه معروفاً، وكان كل ما فعلته هو منحه سبب ليهزأ منها. وفوق تحذيرات مايكيل والتلميح الذي كشفت عنه

السيدة بيكرسلி وارباكها العقلى الخاص، كان ذلك كافياً. «أرجو المعذرة.» قالت وهي تقفز إلى الأرض وتسرع نحو المخرج منكسة الرأس منكس. فاقتفتها ذراع سلайд التي كانت تعترض الباب حتى تمنعها من الخروج. وسألها بتحدي: «وإلى أين تظندين أنك خارجة.»

«لا أعرف. إلى أي مكان، بعيداً من هنا.» «لماذا؟ لأنني زجرتك حيال ورق الجدران؟»

«كلا، ليس مجرد ذلك.» وحدقت بالباب المذهب وقالت: «إنه جزء من ذلك فقط.»

«ذلك ما افترضته. أما الآن فأخبريني ما الذي أثارك في المقام الأول؟»

ما كانت لتخبره أنه أثارها بقبلاته وجسده الذهبي الجميل، الذي لا يمكن أن يكون ملكها أبداً، ولأنه، مقابل كل لطفه غير المصطنع نحوها، كان لديها سبب تعرف به أنه لم يكن أهلاً للثقة.

«كان مايكيل.» قالت، وهي تقر أن جزءاً من الحقيقة أفضل من عدمها مطلقاً. «وذلك المرأة. فكلامها يظننا أنني... أنك... حسن، أنا...»

قال سلaid، وهو يضع يده على فمه لوقفها عن كشف أشياء أخرى مبهمة: كفى أعتقد أنه أفضل لك أن تجلس بيده سأسكب لك كأساً ونغوص بعد ذلك إلى قاع هذه الثرثرة الفارغة. عند ذاك سأشعر أنني سأكون الشخص الذي يحتاج إلى انتعاش.» وهكذا أخذ هذا الأمر يتبلور ليكون نهاية يوم جميل.

رفعت برونوين نظرها إليه بشك. لم يبد أنه كان

متغطراً أو مستبداً، ولكن... هو سلايد. فرأت أن وجهه بدا مغضناً وكانت تحت عينيه خطوط عميقة من التعب.
«هل صادفك يوم سيءٌ إلى ذلك الحد؟» سألته ممتعضة.
«يمكنتك أن تقولي ذلك. كان لا بد من طرد موظفين انتهوا فرصة غيابي للراحة، مما يعني، طبعاً، مزيداً من العمل لكل شخص آخر.»

فسألته: «هل تعين عليك أن تصرفهما؟ ألم يكن في أماكنك منحهما فرصة أخرى؟»

فقال وهو يقودها نحو الأريكة: «كلا لم أتفكر. إننا نوسع العمل بسرعة، وليس لدى أي وقت أضيعه على غير الأكفاء. وللحقيقة قد استبدلتها بشخص تعرفينه.»
«ولكنني لا أعرف أحداً في فانكوفر.»

«لقد التقىت هذا الشخص. أتذكرين ذلك الجائع الملتحي الذي حاول الدخول عنوة إلى سيارتي؟ ففاجأته بعرض العمل عليه. أعتقد أنه يمكن أن يعمل جيداً.»

هزمت برونوين رأسها. عرفت دائماً أن سلايد قد يكون عديم الرحمة، ولكن صعب عليها أن تجمع بين ذلك الرجل العنيد وسلايد هذا الغريب المثالي الذي حول أطفال الشارع إلى رجال أعمال محترمين. إنه يتمتع بعدة نواح طيبة من شخصيته تركتها في حيرة من أمره.

«أجلسي.» أمرها، بذلك وهو يغير الموضوع فجأة.
«سأتحقق بك خلال برهة. وبالمناسبة، ذلك الثوب الأزرق الذي ترتدينه يقدم تعويضاً فعلياً ليومي المرضني. إنه فاتن للغاية.»
«ليس القصد منه أن يعني ذلك.» قالت برونوين بسرعة وهو يبتعد.

«كنت خائفاً من أنه ليس كذلك.» ونظر إلى البزة الزرقاء نظرة تخمين ايحائية عابرة لا تخطئ، ودخل المطبخ. هزمت برونوين رأسها. وتصورت أن فاليري كانت قد قالت إن سلايد يعجبه هذا الثوب، إلا أنها لم تتأكد من ذلك تماماً...»

ولم يكن لديها وقت لانتهاء التفكير بذلك قبل أن يعود حاملاً بين يديه كأسين طويلين فيهما شراب لم تذق مثله من قبل، ومهما كان ذلك الشراب، فقد ساعدتها على الاسترخاء.

قال سلايد، وهو يجلس على كرسي بذراعين ويضع رجلاً فوق رجل دون اكتتراث: «والآن، دعينا نسوى الأمر. كنت غاضبة مني بسبب مبادئه عامة بلا شك، لذلك بادرت إلى العمل في لصق أوراق الجدران...»

«شيء من هذا القبيل.»

«اعتقدت ذلك. وكنت بعدئذ مضطربة نظراً لأنني لم أكن مجذوناً حيال قلب غرفة حمامي رأساً على عقب...»
«لم أقبلها كلها على ذلك النحو.»

«صحيح. فقط الجزء الصغير قرب النافذة.»

حدقت به برونوين. وكان يتكئ إلى الوراء على الكرسي وازرار ياقة قميصه مفتوحة وربطة عنقه كذلك، مما جعله يبدو بصورة اللامبالاة بأحد في العالم. وكان يغض على شفته كأنه يحاول كتم ضحكة.

ابتسمت ابتسامة صغيرة مغرية وقالت متنهدة: «آسفه لذلك. سأعمل على تغييره إلى ما كان عليه في السابق...»
أضاع مزيداً من الورق المقلم الأخضر.»

«لا أريد منك أن تضعي مزيداً من ذلك. فالسفن التي اخترتها تعجبني.»

«قلت إنها نسخة عن بيت حضانة.»

«وهي كذلك. وأنا لا أحب أن تتولى الفتيات الغبيات تزيين ما يتعلق بي. ومن ناحية أخرى، لم يكن لدى بيت حضانة مطلقاً، لذلك هي تمنعني فرصة لأنذكر طفولتي.»

وراحت برونوين تحدق به مليأً كأنها تدرس شخصيته. فهل كان يهزاً بها أو أنه يبحث عن الشفقة؟ لا هذا ولا ذاك، وقررت في النهاية أنه كان يوضح واقعاً وينهي موضوعاً أخذ يضجره.

فقالت مؤكدة: «لن أعيد التزيين أكثر من هذا. «كلا، يا آنسة إفنس، لن تفعلني. والآن، ما تلك الثرثرة التي لا معنى لها التي كنت تتحدثين بها عن مايكل وثمة امرأة بلهاء؟»

«آه.» قالت برونوين وهي تترنح ولم تشا أن تفصح، لكن هناك بعض الفائدة من الدوران حول الموضوع. «اعتقد مايكل أنه يجدر بي عدم البقاء هنا.» وضمت يديها في حضنها بإحكام. «وثرثرت هذه المرأة الصغيرة العجوز في الردهة...»

«آه، يا للسماء.» قال سلайд: «ألم تكن السيدة بيكرسلி؟» حدقت برونوين به وسألته: «كيف عرفت؟»

«صدقيني، إن أي شخص يمكنه هذا المبني أكثر من يومين يعرف كل شيء عن السيدة بيكرسلி. فإذا لم تقو على نبش فضائح حسية مناسبة أو نشاط اجرامي أو عنف

محلي للصقها بالمقيمين، فسرعان ما تتذير الأمر وتلتصقها بسياراتهم.»

قالت برونوين متعجبة ونور الصباح ينبلج. «لقد قالت أيضاً شيئاً عن تخطي أحد المارة وعن سيارة متوقفة صدمت مقدمتها أعتقد على الأقل ذلك أن ما قالته.» «ذلك ممكـن.» لا يمر يوم للسيدة بيكرسلـي دون أن تصيب نصف دزينة من الأهداف.»

ووضعت برونوين يدها فوق فمهما، لتكشف أن مشاعرها في تحسن، إلى أن تذكرت أن مايكل قد تخطى الحدود في استنتاجاته.

«ليست السيدة بيكرسلـي فقط على كل حال.» قالت موضحة، وهي تتناول رشقة من كأسها. «فمايكل لا يوافق أيضاً على وجودي هنا. فلا بد من الانتقال إلى الخارج، يا سلـайд.»

«الذي لا بد من أن تفعليه، يا فتاتي، هو أن تتوقفـي عن القلق حيال آراء الآخرين، بما في ذلك رأـي أخيك، وانـهي كأسـك، وبعد ذلك أصـحبك إلى تناول العشاء.»

«وإذا لم أـشأـ أن أـقبلـ نصـيـحتـكـ؟» وكانت عيناها وهي تقول ذلك ثائـرتـين. «حاولي ذلك وستـرينـ.»

قال ذلك بابتهاج، إلا أنه كان يبدو بارداً ومتاهباً وهو متـمددـ على الكرسيـ الكبيرـ، راسـماً صورةـ عنـ سـلـطةـ مـحدـدةـ، مماـ حـداـ بهاـ إـلـىـ تـقـرـيرـ إـرجـاءـ مـحاـولةـ الـقـيـامـ بـأـيـ شـيءـ حـالـياًـ. بـالـاضـافـةـ، إـلـىـ أـنـهاـ قدـ صـرـفتـ مـعـظـمـ طـاقـتهاـ المـتوـفـرةـ عـلـىـ وـرـقـ الجـدرـانـ...ـ التـيـ لاـ بدـ منـ اـعادـتهاـ غـداًـ.

وفي النهاية، أخذها وخرجًا ليتناول العشاء كما قرر، ونعم كلاهما بأمسية جميلة بصورة مفاجئة. وظلت أن ذلك كان من ناحية لأنها كانت أكثر تعباً من أن تورط نفسها في جدل، ومن ناحية أخرى لأن سلайд خرج عن طبيعته ليكون مضيفاً فاتناً ومتاهباً للخدمة.

في وقت لاحق، عندما رجع بها إلى البيت ودفعها برفق باتجاه غرفة النوم وقد ربت فوق خدتها بطريقة أخيه بسيطة. راحت تفكر في أنه يمكن، بعد كل ذلك، أن تبني علاقة حب فعلية تجاه سلайд. لو أنه فقط... ولكن الأماني أحلام عقيمة، والماضي لا يمكن إعادة مطلقاً.

ولم تتنكر، حتى أغلقت باب غرفة النوم، أن السيدة بيكرسلي قد قالت شيئاً ما.

نادت وهي تخطو حافية القادمين عائدة إلى غرفة الجلوس. «سلайд، ما هو اسمك؟»

«ماذا؟» وكان يستبدل زجاجة في خزانة المشروبات، ونظر إليها كأنه يشك في سلامتها عقلها وسألها: «بالمناسبة، هل أسرفت في الشراب؟»

«كلا، طبعاً. إن السيدة بيكرسلي... «إلى الجحيم بها».

«حسناً، نعم، ذلك يجوز أن يكون قدرها تماماً. وعلى كل حال، دعك السيد سلайд.»

«لقد أطلق على أبغض الأوصاف. وقال عامل صرفته اليوم إنني...»

فقالت: «سلайд، توقف عن ذلك. فما هو اسمك الأول؟»

همهم سلайд وقال: «أخشى أن لي اسمًا فعلاً.» ودفع باب الخزانة بشدة.

«حسناً، ما هو إذن؟»

تنهد وقال: «هو أملين... اسم لا أحبه. وإذا ناديتني بأي اسم آخر غير سلайд، ستكونين مسؤولة من النتائج.»

فقالت ساخرة: «التي أظن ستكون سريعة وبعيدة عن اللياقة.»

«بالتأكيد. وتذكرني أن البناء شاهقة العلو..»

«هل من فرق في ذلك؟»

يجوز. فالذراريين حول الشرفات متذمرين بصورة مفيدة.»

«أصحيح ذلك؟» قالت برونونين باهتمام: «سأحاول أن أتنكر، طاب مساواك، يا أملين.» حيث وهي تضحك ضحكة كبيرة ساخرة. وعادت إلى غرفة النوم وأوصدت الباب وراءها.

وراحت تسترق السمع بشغف لغضبه الراءد من الناحية الأخرى، عندما قال: «افتحي هذا الباب، يا سيدة، وأعدك بآلام تخفي ليلة هائلة.» فانفجرت ضاحكة.

كانت عيناً سلайд، عندما نهضت لتتمم واجباتها في الصباح، حالمتين. وبدا وكأنه لم يتوصل بعد إلى اتخاذ أي قرار بشأنها.

وفي نهاية المطاف، أكد شكوكها عندما أشارت إلى أن اضطراره للعمل اليوم شيء غير ضروري.

«لست مضطراً لذلك.» قال باقتضاب: «ومع ذلك، إنه يوم نشتغل فيه أكثر من باقي الأيام وأفضل أن أراقب الأشياء...»

عندما يكون ذلك ملائماً. في الواقع، قد لا يكون ذلك هذا النهار اذ لم أقرر بعد ما إذا كان ينبغي علي أن أتعامل معك الآن أم في وقت لاحق.»

«تعامل معي؟» سألته وهي تدعى الذهول.

همهم قائلًا: «أخبرتك أنك لن تحبِي النتائج إذا ما ناديتني بأي اسم غير سلайд.»

قالت برونوين، غير وجلة. «من الأفضل أن تفعل ذلك في وقت لاحق، إذن. فإذا ألمت بي من الشرفة الآن توجب عليك أن تقوم بإعداد فطورك بنفسك.»

فقال موافقاً: «هذه نقطة جيدة جداً. فسيترتب علىي أن أعيد التفكير في الوضع، على الأقل إلى أن ترجع السيدة دويل.»

«يا له من تحرر.» تعممت برونوين وهي تضع طبقاً من البيض أمامه وتبتعد.

قال وهو يمسك بمعصمهما فيما هي تبتعد، ويرفعها بإتجاه ركبته. «بإمكانك أن تكتفي بمصافحة.»

فقالت هازئة: «يا لك من رجل عنيف.» وانفلتت طلقة راجعة إلى المطبخ. «ستكون السيدة بيكرسلي مسورة إذا أمكنها أن تسمعك.»

«لن تكون السيدة بيكرسلي هي التي تستقبل.» أجاب سلайд ساخراً.

لم تجب برونوين. وعندما رحل بعد عشرين دقيقة تقريباً، وبعد أن طبع على شفتيها قبلة غير متوقعة، كانت ما تزال غير متأكدة مما إذا كان يتسلى أم أنه يعني فعلًا أن يفرض نوعاً من العقاب عند رجوعه.

وصرفت باقي الصباح تغسل أكواخ ثياب سلайд وترتبت الشقة وتزيل أوراق الجدران المقلوبة رأساً على عقب وتستبدلها بلوح زجاج جديد تنظر من النافذة الواسعة إلى منظر الخليج والجبال المدهشة، التي كانت صافية في بادئ الأمر، ثم غمرها ضباب دخاني خفيف. وفي وقت لاحق، عندما خرجت إلى العراء، لاحظت أن الطقس قد أصبح حاراً ثقيلاً لا يتحمل.

وفي الوقت الذي رجعت فيه من زيارتها الأخوية لمايكل، كان سلайд قد سبقها إلى الشقة، وتحول منظر الجبال إلى منظر قاتم.

أنت الرعدة الأولى عندما ألت حقبيتها.

«الا تحيبين الرعد؟» سألهما سلайд عندما رآها تقفز. وكان متراخيأً على الكرسي الكبيرة مرة ثانية، بادياً عليه الإسترخاء وهو مرتب بمنظلوнаً رماديًّا غير رسمي وقميصاً أزرق.

فأجابت برونوين: «إنه لا يهمني. لقد فاجأني، ذلك كل ما في الأمر.» ثم نظرت إلى النافذة وأضافت بشك: «يبدو أن الظلام قد انتشر.»

«أجل، أتصور أننا دخلنا في عاصفة.»

كان في إمكان برونوين أن ترفسه لكونه بدا غير مهم كثيراً حيال العاصفة. وهي لم تكرر بها أيضاً، إلا أن الغرفة بدأت تظلم.

قال سلайд بعد نظرة قصيرة تأملية إلى وجهها: «سأضيء بعض الأنوار.»

لم يقترح أن يخرجها هذا المساء، وكانت ممتنة لذلك.

ودون أن يطلب منها، دخلت المطبخ لتسخن وجبة أخرى من وجبات السيدة دوويل. حتى أنها كانت مسروقة، لأن سلايد لم يقترح مساعدتها وذلك تمشياً مع طبعه. وشعرت بالارتياح لوجود شيء تقوم به. يعرف أنها ترتجف حينما ينفجر الرعد ويأخذ الشفق الأصفر الشاحب بإلقاء ظلال ممتدة في الغرفة.

تناول الطعام في صمت إلى حد ما، ولم تتمكن برونونين بعد ذلك من أن تتذكر ما كانت قد قدمت. كانت شاعرة تماماً بتهذيد لم يصدر ولو مرة من سلايد. وعرفت أنه كان مدركاً عدم ارتياحها، لأنه بقي يسترق النظر نحوها ويتذكر من ثم بعيداً مقطب الوجه.

وبعد أن انتهيا من تناول الطعام، نهض وأسدل ستائر الرمادية الشفافة المطرزة على النوافذ.
فسألته: «لماذا فعلت ذلك؟ إنك لا تسأل ستائر أبداً.»
«اسألك عندياً عندما يكون رفيقي متواتر الأعصاب إلى حد ينسى فيه إعداد القهوة.»
ايقظها هذا القول من قلقها غير المعقول. «الآن جاء دورك، فقد أعددت العشاء..»
«كانت السيدة دوويل تعد ذلك فعلاً.»
«وعلى الرغم من ذلك...»

«وعلى الرغم من ذلك، لقد قررت أن تتدخلني. ولكنك ستكونين سعيدة جداً إذا ما بقيت منشغلة، أليس كذلك؟»
وجلس مرأة ثانية، شابكاً ذراعيه، وابتسم باعتداد يبعث على الغيظ.

فهمت برونونين أنه كان على صواب أزاء حاجتها إلى

البقاء منشغلاً، وبعد أن حدق بطريقة كانت ستحطم رجلاً إلا سلايد، نهضت وتوجهت لأعداد القهوة.

عندما رجعت كان قد أضاء جميع الأنوار في الشقة مما جعل الغرفة الباردة تبدو دافئة أكثر من العادة... حتى الساعة التاسعة مساء، عندما انفجر رعد بدا قريباً فوق رأسهما.

بعد خمس دقائق من ومض البرق في الناحية الأخرى من ستائر، انطفأت جميع الأنوار في البناء.

تنهنت برونونين بحزن، فقام سلايد وانتقل إلى المطبخ دون أن يخطئ سبيله، ورجع يحمل مشعلاً.

وقال سلايد وهو يدور حول الطاولة ليقف قربها عمدأً. «هذا يكفي، تعالى، إنك ذاهبة رأساً إلى السرير، حيث يمكنك أن تنطفلي إلى فوق أذنيك وتتظاهرى بأنها ليلة عادية كأية ليلة أخرى تماماً. ذلك ما تفعلينه عادة، أليس كذلك؟ وستمضيين عدة ساعات، إذا كانت الخبرة السابقة شيئاً نستطيع الإستفادة منه، فستمضي ساعات، قبل أن يعود التيار.»

أصرت برونونين وهي تتمسك بكلتا يديها بالطاولة:

«إنني بخير.»

فقال: «لست بخير. فأنت خائفة جداً.»

«لا، أبداً...»

قال، محافظاً على صوته منخفضاً بصعوبة: «كفى عن الجدل. لست في مزاج لأتحمل البطولات الزائفة، لا سيما عندما تكون زائفة بوضوح . وإنني أعرف كل شيء عن مزحة مايكل الصغيرة عندما كنت طفلة. نكريني لأنزع

جلدة رأسه مقابل ذلك عندما يتحسن. غير أننا في الوقت الحاضر سنركز عليك. فأنت ستذهبين إلى السرير حيث تشعرين بالأمان والدفء وحيث لن يكون للظلام بعد الآن تأثير. هيا.»

«لا، أنا...»

«قلت، هيا واذهبني.»

«سلايد، توقف عن محاولة السيطرة قلت لك إنني بخير.»
«وأنا أقول لك إنك لست بخير. وما هو أكثر من ذلك، إذا لم تتحركي في هذه اللحظة سأفعل أكثر من السيطرة عليك. سأنزع ثيابك وأضرك في الفراش بنفسي.»
رمقته بنظرة قلقة عبر أجفانها فرأى شيئاً في خط شفتيه الرقيقتين أقنعها أنه يعني ما يقول. لم تكن متأكدة من كفة التهديد الأكبر... سلايد أم الظلام.

وعندما مد يده وفك زر بلوزتها العالي بحركة من أصابعه كان عقلها قد قرر بسرعة.

قالت بسرعة: «أبعد يديك عنّي. إنّي ذاهبة.»

«حقاً، سأطّي وأضرك بداخله بنفسي.»

«إنّي لست طفلة، وأنت لست أبي.» قالت باقتضاب وهي تتعرّض نحو غرفة النوم عندما ضرب رعد آخر البناء. فتمتم سلايد: «أنت على صواب بالتأكيد حيال النقطة الأخيرة.» ثم قال: «هذا هو المصباح، تناوليه. وأتى من خلفها ووضعه في يدها.»

فهمست: «وماذا بشأنك؟»

«يمكّنني أن أرى في الظلام.» أجابها بجفاء.
لن تمر بالقرب منه، فكرت والـ، يطفى مؤقتاً على

قلقاً. فقد كان هناك ثمة شيء في شخص يشبهه فقط. أسرعت إلى غرفة النوم وهي تتناول المصباح دون أن تتكلم، خلعت ثيابها وغاصت بجنون في الفراش.

نفذت نصيحة سلايد وطمّرت رأسها تحت الأغطية، ولم تذكر إلا عندما بدأت تترافق، في دثارها الشرقي أنها نسيت أن تلبس قميص نومها. قد يستحسن سلايد ذلك. ليس ذلك ما يهم، لأن سلايد لن يكتشف الأمر. الغريب في الأمر أنه يعلم بأنها دائماً تخفيه في تلك المناسبات النادرة في الفراش عندما كان عليها أن تتغلب على الظلام غير المتوقع، ربما كان ما يأكل هو الذي أطلعه على ذلك...
واخترقـت ومضة برق أخرى شقا في الستائر، فرفعت رأسها. كانت الغرفة مخلمة كالحبر الأسود. ومن المضحـك أن الظلمـة لم تمنعـها قـطـ من النـومـ، وكانت مـنـذـ مـدةـ طـوـيـلةـ قد تـغلـبتـ عـلـىـ نـورـ الـلـيلـ.ـ وـرـبـماـ أـكـثـرـ مـاـ أـرـعـبـهاـ كـانـ فـكـرـةـ أـنـهاـ لاـ تـمـكـنـ مـنـ النـومـ فـيـ غـرـفـةـ غـيـرـ مـنـارـةـ...ـ

تلمسـتـ المصـبـاحـ،ـ فـلـمـ تـجـدـهـ،ـ فـأـطـلـقـتـ صـيـحةـ ذـعـرـ خـافـتـةـ.ـ كانـ سـلاـيدـ يـقـفـ إـمـامـ النـافـذـةـ الـكـبـيرـةـ وـيـدـاهـ فـيـ جـيـبـيهـ.ـ وـكـانـ الـسـتـائـرـ مـفـتوـحـةـ عـلـىـ الـلـيلـ.ـ رـمـىـ بـرـأسـهـ إـلـىـ الـورـاءـ بـسـرـعـةـ،ـ جـذـلـاـ بـتـلـاعـبـ النـورـ وـالـظـلـامـ فـوـقـ الـخـلـيـجـ مـسـتـمـتـعاـ إـلـىـ أـقـصـىـ جـدـ.ـ إـنـهـ الـعـاصـفـةـ،ـ وـالـأـصـابـعـ الـذـهـبـيـةـ الـخـطـرـةـ تـشقـ طـرـيقـهاـ مـنـ السـمـاءـ.ـ وـابـتـسـمـ مـبـتـهـجاـ.ـ

في تلك اللحظـةـ سـمعـ صـرـخـةـ بـرـونـوـينـ.
تجـمـدـ وـاسـتـدارـ مـصـغـيـاـ،ـ فـسـمـعـهـ مـرـةـ ثـانـيـةـ.ـ أـسـرـعـ يـخـطـوـ وهوـ يـلـقـيـ نـظـرـةـ نـدـمـ عـلـىـ الـعـنـاـصـرـ الـمـتـحـارـبـةـ فـيـ الـخـارـجـ بـصـورـةـ فـظـيـعـةـ إـلـىـ بـابـ غـرـفـةـ النـومـ وـطـرـقـهـ.

نادى بحدة: برونونين، ماذَا فِي الْأَمْرِ؟
«لَا شَيْءٌ.» أجبت بصوت مختنق.
«هَلْ مازلت خائفة؟»
«كُل... لَا.»

آه، بالتأكيد، فكر سلайд بغيظ، وهو يسمع رجفة غير واضحة في صوتها كفارة حاصلتها هرة في زاوية.
ونادى بهدوء: «برونونين، افتحي الباب.»
«إنه موصد.» أجبت.

«قد يكون. لا بأس، تمسكي.»
وكان برونونين تتمسك... بجذع السرير، وعندما أضاءت ومضة البرق التالية الغرفة، لاحظت أن المقابض يتلوى وسلайд يدخل ويتجه نحوها... ليجلس على حافة السرير...

«إنني بخير، فعلًا.» قالت وهي تحاول اقناع نفسها بقدر ما تريده اقناعه.

«إنني أرى ذلك.» أجاب وهو يزيل أصابعها الممسكة بجذع السرير بصبر ويمسك كلتا يديها بيديه. «لا داعي للذعر، يا برونونين. فأنت في أمان تام.»

«نعم، أعرف ذلك.» همست: «إنني آسفة، ليس العاصفة بل الظلام. لم أتمكن من العثور على المصباح.»

«إنه هنا.» وسحبه من فوق الطاولة بجانب السرير وأضاءه. «هل تعرفيين أن اسمه في هذه القارة الضوء الوامض؟»

«أصحيح ذلك؟» لم تكتثر لإسمه طالما أنه يعمل.
ونظر إلى الجزء المكشوف من جلدتها، بين عنقها

وأعلى الأغطية، وقطب جبينه. «ستتحسنين الآن،» قال وهو ينزل يديها فجأة. «حاولي أن تحصلني على بعض النوم.»

«سلайд، أرجوك...»

«ما خطبك؟»

كان صوته خشنًا، غير صبور، كما كان يبدو من قبل. وبدأ تواقاً إلى الابتعاد عنها. إلا أنها لم تود أن يبتعد. والمدهش في الأمر أنها لم تعد خائفة بعد الآن كالم يكن لذلك علاقة بالمصباح. إنه سلайд الذي جعلها تشعر بالأمان وهو يجلس هنا بقربها... على فراشها. كلا، بل على فراشه، ألم يكن ذلك فراشها؟ ولم تكن ترتدي أية ثياب. ومررت يدها فوق جبينها، وهي تعتنى بالأغطية. هل فقدت عقلها؟ كيف يمكنها أن تشعر بالأمان مع سلайд، بين كل الناس؟

وقف سلайд، وتوجه نحو الباب، سواء كان لذلك معنى أم لا، عرفت أنها لن تقوى على تحمل ذلك إذا ما تركها.

«لا ترحل.» همست: «أرجوك لا ترحل.»

توقف ويده على إطار الباب. «هل لديك أية فكرة عما تطلبين؟» سألتها وهو ما زال يدير لها ظهره.

«إنني....» وتردلت: «إنني أطلب منك البقاء معي، يا سلайд إنك... إنك تجعلني أشعر بالأمان..»

«أمان!» قال متعجبًا وهو يدور على نفسه ويتكئ على إطار الباب، حتى تتمكن من رؤية الظلال تتلاعب عبر قسماته عندما أضاءت ومضة من النافذة شعره البراق. «برونونين، بحق السماء، وفي حال لم تلاحظي، إنني رجل، وإن لم أكن

مخطئاً كثيراً، أنت عارية. حتى إن لم تكوني، فلا يوجد إلا سرير واحد في هذه الغرفة. أو ربما تتصورين أنني سأنام على الأرض.»

«إنني... إنني لاحظت أنك رجل.» تتممت.

شتم، باقتضاب وثقة، وبصوت جعلها تدرك أنه يعني كل كلمة. وعندما توقف قالت: «إنني آسفة، لم أقصد...»

«ماذا تعنين، يا برونوين؟» سأل بصوت أخش: «إنه ينبغي علي أن أصرف الليل في فراشك محافظاً على صحبتك؟» وسكب ثروة من التعنيف في الكلمة. «الآن تدركين؟»

أدركت برونوين فجأة أنها كانت فعلاً تطلب من هذا الرجل القوي تمضية الليل معها... لأنها كانت خائفة وحضوره يمنحها الراحة. ولكن إذا اكتثرت لالتماسها فمن الجائز أن يكون لديها أكثر من الظلام لتخاف منه. فقط... كان الشيء الغريب أنها لم تكن خائفة مطلقاً. بخلاف ذلك تماماً.

وهدى الرعد من جديد، وحدقت إثر الوميض وقالت ببطء: «سلайд، لا أود أن تركني. أرجوك أن تبقى.»

الفصل السادس

لم يقل سلайд كلمة للحظة، إلا أنه وقف كصخرة منحوتة إزاء الباب. ثم نطق بعبارة مقتضبة جداً وهو يقترب من السرير.

مدت برونوين ذراعيها فتلقفهما وجلس بقربها.
ـ «برونوين». قال بصوت أخش: «ألا تعرفين أنك تسعين وراء المتابعي؟ أو أنك بريئة لدرجة تمنعك من إدراك المشكلة حتى مواجهتها؟»

ـ «ليس عندما تأتي بساقيين طويلتين وعينين زرقاويتين وابتسمامة قد تدفع أية فتاة للتضحية من أجلها». إنني أعرف هذا النوع من المتابعي..»
ـ «إذاً، لماذا؟»

ـ «لقد أخبرتك. إنك تجعلنيأشعر بالأمان.»
ـ همم، وضغط كلتا قبضتيه فوق الإغطية بجانب منكبيها. وتلاقت عيونهما مظلمة ومبهمة في النور الظليل وأرخي سلайд ذراعيه تدريجياً وعائقها.

ـ لم يكن تصرف سلайд كما توقعت. ليس متربداً، ولا خططاً صادر عن نفاد صبره. كان بدلاً من ذلك هادئاً ولطيفاً، وكأنه بداية شيء جميل قد يدور أبداً.
ـ دام، في الواقع، نحو ثلاثين ثانية قبل أن يئن سلайд مرة ثانية ويرفع رأسه.

ـ «طابت ليلىتك، يا برونوين.» قال وهو يهم بالنهوض.

«لا». ومدت يدها وأمسكت بمعصميه. «لا تذهب.»
«إذا لم أذهب.» قال بصوت مقتضب شبه غاضب. «فمن
الراجح أن يصاب كلانا بالندم.»

عرفت ماذا يعني، إلا أن الخطر لم يكن إلى حد ما
 حقيقياً. فإن كل ما كان حقيقياً هو وجود سلайд المريخ،
 جسده الفارع الطول الذي يبدو مرتفعاً في الظلال فوقها...
 والظلام الدامس الذي سيطبق عليها إن هو غادر الغرفة.
 «ضمني..» همست: «أرجوك يا سلайд. للحظة واحدة
 فقط.»

«إنني لست جليداً. إنك تطلبين مني الكثير، يا برونوين..»
 «الكثير؟ لأنني طلبت منك أن تضمني؟»

التقط سلайд المصباح، وصوبه إلى وجهها، فشاهد
 عينيها الرماديتين الكبیرتين مثبتتين عليه، واسعتين
 متواستتين. هز برأسه غير مصدق. أيمكن أن تكون امرأة
 شابة عصرية على هذه الدرجة من البراءة؟ طبعاً ليس عندما
 تكون مستقلة من دون أية ثياب. لا يمكن أن تتوقع منه أن
 يلعب دور الشخصي. فهل في إمكانها ذلك؟ فكر لبرهة قبل أن
 يتوصل إلى الاستنتاج الممکن فقط. يمكن لامرأة تبلغ
 السادسة والعشرين من عمرها أن تكون تلك السانجحة. ففتاته
 الخجول القادمة من تلك القرية الصغيرة لم تكن عديمة
 الخبرة بقدر ما كان يفكر.

Ubس، وضغط شفتيه بخط مسطح لم تتمكن برونوين من
 رؤيته. ثم غاص في الفراش وجذبها بين ذراعيه وكان
 الغطاء ما زال ملتفاً حول عنقها بصورة محتشمة.

شعرت به يتقلص. هاجمتها شعور بالدفء... شعور

أصبح تدريجياً رغبة نابضة وملحة. خلصت ذراعيها من
 الغطاء ولفتها حول عنقه، ملقية خدما على كتفه.

وفي الحال رفع سلайд يديه ليخلص قبضتها، وأبعدها
 عنه وهو يحدق في عينيها عندما أضاء وميض برق آخر
 الغرفة.

«قطعت لك وعداً.» قال بصوت أحش.
 «أي وعد؟» وكانت فعلاً مذهولة.

«على أن أبقى يدي بعيدتين عنك. أعرف أنني لم أحافظ
 من جانبني على الاتفاق بأكمله، إلا أنني بدأت أفكراً بأن ذلك
 ربما لأنك لم تردي الحفاظ عليه..»
 «أردت...»

«وهل أردت فعلاءً، والآن؟ إنني لست ملجاً مناسباً من
 الظلام، يا برونوين، إلا أنني أعتقد أنك تعرفيين ذلك.»
 أجل، إنها تعرف. ومع ذلك، في هذا الوقت الذي يحاكي
 الحلم والذي يبدو أن لا ماضي أو مستقبل له، فالشيء
 الوحيد الذي يهم هو أن سلайд كان هنا، معها، دون أن يكون
 ساخراً ولا ذرعاً بعد الآن، بل لطيف نوعاً ما. رفعت ذراعيها
 مرة أخرى مبتسمة وطوقت بهما عنقه. فانزلق الغطاء حتى
 خصرها.

تمتم سلайд شيئاً ما في صدره ودفعها إلى الوراء
 بخشونة على الوسادات.

«لم تحظى بكثير من التمارين في هذا المضمار، أليس
 كذلك؟» تمتم بعد دقيقة قريباً من خدما.

«ليس كثيراً.» همست.

«ولكن بما فيه الكفاية.» وكان لصوته نغمة قاسية.

لم تعارضه برونوين، ومررت يديها باغراء على ظهره وقالت: «أحس بك كما كنت أظن تماماً». همست وهي تتبع استكشافها.

«وكيف ذلك؟» كان في سؤاله ضحك وراح يعانقها بلطف.

«ثابتًا وقوياً ورقيقاً...» وضحك بصوت عالي

«يا إلهي..» قال بصوت مختنق: «وفكرت...» وتوقف فجأة لاسكات ضحكتها المزعجة بعناقه.

«سلايد..» قالت لا هثة عندما رفع رأسه: «سلايد، أرجوك، أريد...»

«أعرف كذلك أريد أنا فعلًا، يا برونوين، يا للسماء، أريد أنا أيضًا.»

وابتدأ الرعد في هذه الأونة يتبعه مختنقًا بدقائق قلبها. أو هل كان قلبه؟ لم تعرف ولم تكترث. فالملهم أن سلايد لم يوقف ملاطفته لها.

لكن سلايد توقف وقال وهو يسند جسده على مرافقه: «برونوين، هل تعرفي ما أنت تفعلين؟ وهل أنت متأكدة؟» لم تكن برونوين متأكدة من أي شيء، لكنها هزت برأسها، لأنها عرفت أن ما ابتدأت به يجب أن ينهى. ولن تكون قادرة على تحمله إذا لم يكن كذلك.

كان الرعد يتفجر بعيدًا في الجبال، ولم يكن البرق هو الذي أضاء عالمها. إن ومضة الذهب التي أضاءت السماء كانت سلايد... وعرفت، حتى وهي تكتب صرخة ألم بأن الأرض بالنسبة لها لا يمكن أن تكون هي نفسها مرة أخرى أبداً. ذلك أنها ستتلذلان الأن، وإلى الأبد، بمعرفة الحب.

«برونوين؟» لم يصدر هذا النداء إلا بعد دقائق قليلة، إلا أن الغرفة كانت مظلمة لأن المصباح انطفأ فجأة. ومرة أخرى نادى: «برونوين مازا، بحق الجحيم...؟» كان مستلقياً بجانبها دون حراك فمدت يدها ولمسته فوق خده فجفل وابتعد عنها.

سألته مذهلة: «ما خطبك؟» كانت تشعر بسعادة وأمان وغير خائفة إطلاقاً، مع أن الغرفة كانت مظلمة. كانت تشعر أن الظلام قد تلاشى إلى الأبد.

وكان واضحًا أنه لم يشاركها شعورها.
«أيتها البهاء الصغيرة..» قال بوحشية: «لماذا لم تخبريني؟»
«أخبرك مازا؟»

«أنتي كنت الأول. يا للجحيم، يا برونوين، هل تعتقدين للحظة أنتي كنت لمستك لو كنت على معرفة؟»
خالج برونوين شعور وهي تعيد النظر إليه أنها كانت تعرف تماماً أنه لن يلمسها. غير أنها كانت تود أن يقدم على ذلك... .

«لا..» قالت بصوت رقيق وهي تحدق بجانب شكله الباهت. «لا، لم أعتقد ذلك..»
«إذن مازا...؟»

«أردت أن تلمسني..» قالت ببساطة.
فأخذ سلايد يشتمن.

«ليس من داع لذلك..» قالت له بشيء من الحدة.
«هناك داع..»
«آه، ألم... ألم أكن أنا...؟»

«كنت رائعة. رائعة بصورة لا تصدق.» صمت هنيهة، ثم استدار على جنبه ومر بأصابعه عبر شعرها.

ابتسمت في الظلام وسألت: «إذن لماذا...؟»

«برونوين.» قال: «برونوين كنت قبل دقائق قليلة بريئة طيبة مثيرة وغبية إلى حد بعيد كما أظن. فلو كنت مدركاً...» وتوقف. «ألم يخبرك أي شخص أبداً كيف يأتي الأطفال؟» دفعها عدم صبره المؤنث إلى الشعور بالرعب فأجابت باندفاع وهي تتذكر بمرارة: «نعم، الآن بما أنك ذكرت ذلك، أخبرتني جيني برايس مرة،» ملء صوت أنفاسه جو الغرفة الراكد وشاهدت أصابعه تتناثر على الغطاء.

«طبعاً، نسيت لبرهه.» قال بصوت كثيف.

لقد نسيت برونوين أيضاً. فقد أصبح الماضي ميتاً بسبب تلك اللحظات الوجيبة الرائعة، بسبب الظلمة وقرب سلايد و... يجب أن تعرف... بسبب جوعها العميق الذي لم تكن تعرف بوجوده.

غير أنه لم يعد ميتاً. وكان سلايد على صواب حيال شيء واحد. كانت غبية بصورة لا تصدق. كانت قد دعته فعلاً إلى سريرها ولم تhattاط على الاطلاق. فلم تفكر بأنها قد تحتاج إلى ذلك. كان من الطبيعي أن يفترض أنها تعرف ما كانت تقدم عليه. فقد سلّهـا عما إذا كانت تعرف ما تفعل.

وقالت لنفسها مجتهمة: «والآن، يا برونوين إفنز، أنت المسؤولة عن تصرفاتك.»

«حسن جداً.» قالت للرجل المتمدد بجانبها بشكل متصلب: «لا داعي لقلقك، فلن أحملك المسؤلية.»

«ربما لن تفعلـي، يا شقيقة مايكـل، إلا أنتـي سأ فعلـ...» وكانت على وشك أن تجيب، عندما شاهـدت ومضـة ضـوء تحت الباب. أرـخي سـلايد قـدمـيه إـلى الأرض ووقفـ وارتـدي بنـطلـونـه. «عادـ التـيارـ الكـهـربـائيـ.» قالـ باقتـسابـ، وأـضاءـ الغـرـفةـ بالـأنـوارـ.

طرفتـ بـرونـوـينـ عـينـيـهاـ وـقـالتـ موـافـقةـ. «ـنـعـمـ.ـ سـأـكـونـ بـخـيرـ تـامـاـ الـآنـ.ـ أـشـكـرـكـ يـاـ سـلاـيدـ.ـ»

«ـنـطـقـتـ كـدوـقةـ حـقـيقـيـةـ.ـ قـالـ هـازـئـاـ:ـ «ـولـكـنـ بـماـ أـنـتـيـ لـسـتـ خـادـمـكـ لـتـصـرـفـيـ لـدـىـ اـنجـازـ الـعـمـلـ.ـ فـلـنـ أـرـحـلـ إـلـىـ أـنـكـ جـاهـزاـ.ـ»ـ

حركـتـ رـأسـهاـ عـلـىـ الـوسـادـةـ.ـ مـاـ الـذـيـ بـحـقـ السـمـاءـ يـحدـثـ لـهـاـ وـلـسـلاـيدـ؟ـ فـمـنـذـ فـتـرـةـ وـجـيـزةـ كـانـاـ حـبـيـيـنـ.ـ أـمـاـ الـآنـ فـإـنـهـمـاـ يـتـحـادـثـانـ كـشـخـصـيـنـ يـكـرـهـانـ بـعـضـهـمـاـ الـبعـضـ مـنـ كـلـ قـلـبـهـمـاـ.ـ وـلـكـنـهـاـ هـيـ لـاـ تـكـرـهـهـ..ـ لـيـسـ بـعـدـ الـآنـ.ـ حـتـىـ عـنـدـمـاـ كـانـتـ تـفـكـرـ بـجـيـنـيـ بـرـايـسـ.ـ وـأـطـلـقـتـ عـلـىـ الـأـثـرـ أـنـتـهـ رـقـيـقـةـ دـوـنـ تـعـمـدـ وـأـغـمـضـتـ عـينـيـهاـ.ـ كـانـتـ تـعـرـفـ مـاـ يـعـنـيـ ذـلـكـ.ـ فـلـوـ كـانـ فـيـ اـمـكـانـهـاـ أـنـ تـغـفـرـ لـسـلاـيدـ بـالـنـيـابـةـ عـنـ جـيـنـيـ فـقـيـ اـمـكـانـهـاـ أـنـ تـغـفـرـ لـهـ كـلـ شـيـءـ.ـ لـأـنـهـاـ مـغـرـمـةـ بـهـ وـرـبـماـ دـوـنـ أـنـ تـعـرـفـ ذـلـكـ.ـ كـانـتـ دـائـماـ تـحـبـهـ.ـ

فتحـتـ عـينـيـهاـ وـرـأـتـ نـظـرـاتـهـ الـزـرـقـاءـ مـحـدـقـةـ بـهـاـ بـثـبـاتـ.

«ـسـنـتـزـوـجـ بـأـسـرـعـ مـاـ يـمـكـنـ.ـ»ـ قـالـ صـرـاحـةـ.

فـغـرـتـ بـرونـوـينـ فـمـهـاـ وـسـأـلـتـ:ـ «ـسـنـفـعـلـ مـاـذاـ؟ـ»ـ

«ـسـنـتـزـوـجـ بـأـسـرـعـ مـاـ يـمـكـنـ.ـ»ـ وـتـنـاـولـ قـمـيـصـهـ وـأـلـقـىـ بهـ فوقـ كـتـفـهـ وـهـوـ يـقـولـ:ـ «ـسـأـنـظـرـ فـيـ التـفـاصـيلـ غـداـ.ـ أـمـاـ فـيـ الـوقـتـ الـراـهنـ،ـ فـإـنـاـ سـنـتـقـيـدـ بـتـدـابـيرـ النـومـ الـقـديـمةـ،ـ

هل ذلك ممكّن؟ وأعتقد أنّني قمت ب مهمتي هذه الليلة.» فتحت برونوين فمها وأغلقته وهي تحاول الكلام. وفي النهاية تمكنت من أن تنطق اسمه فقالت: «سلايد إنك مضحك. أنا لا أتوقع، بالطبع أن تتزوجني..»

«ربما لا. إلا أنّني سأفعل ذلك، على كل حال..» «كلا.» وحاولت النهوض من السرير وهي تطوي الغطاء فوق صدرها وقالت: «لا... لا أريد أن أتزوجك.»

«ذلك سيء جدًا، أليس كذلك؟» وأدار لها ظهره ومد يده يمسك مقبض الباب. رضخت برونوين في النهاية للإلحاح الذي كانت تكتبه منذ أن التقت بسلايد للمرة الثانية. وبحركة سريعة تناولت أقرب مخدة وصوبتها إلى رأسه عمدًا فأصابته إصابة قوية.

«أشعررين بالتحسن الآن؟» سألها وهو يستدير على عقبيه رافعًا حاجبيه دون مبالغة بصورة لا تصدق. فانحنى وتناول الوسادة وألقى بها دون اكتراث على السرير، فأصاب وجهاًها مباشرة.

وفي الوقت الذي كانت تحاول فيه أن تبتعد عن هذه القذيفة العائدة كان سلايد قد خرج. «اللعنة عليه.» تمقمت وهي تتناول قميص نومها الشفاف من ورائها، فارتديه عابسة.

وكانت قد اشتربت من فاليري تحت اصرار سلايد ثوبين حريرين هزيلين ولكن لم تقو على ارتداء واحد منها، نظراً لأنّه لم يعجبها طرازهما إلى حد ما. فالثوب الأبيض القديم أعجبها وأضفى عليها هذه الليلة راحة كصديق قديم. كانت

بحاجة إلى الراحة، لأن السرير الكبير كان قد أصبح واسعاً وموحشاً.

عادت وتمددت على الوسادات وأغلقت عينيها وهي تتنفسن عودة الارتباك القديم. والمشكلة كانت أنها لم تعد مرتبكة مطلقاً. وأدركت ما حدث تماماً. فقد وقعت في غرام سلايد على رغم اعتقادها أنه كان نوعاً من الرجال يستحيل الوقوع في حبه. لذلك السبب أقدمت على فعل شيء بعيد عن الأخلاق مثل الانتقال للسكن مع رجل لا تثق بأخلاقه. ولذلك السبب أيضاً كانتا حبيبين في هذه الليلة. ولم يكن للأمر علاقة بخوفها من الظلام، بل للحالة التي شعرت بها حيال سلايد، والتي لم تشبه أي شيء حلمت به على الاطلاق... غير أنه لا يحبها بالطبع. عرفت ذلك وقد انتابها شعور من القنوط المقلق. أخبرها، فجأة، أنهما سيتزوجان إلا أن ذلك لا بد أن يقال، لأنّه كان يعاني من وخذ ضميره.

حركت رأسها على الوسادة بقلق إنه أمر غريب بشكل ما. لم يظهر أي عطف من ضميره تجاه جيني التي كانت أم طفله. فقطبت برونوين حاجبيها. قد لا يكون الأمر غريباً. لقد دعاها شقيقة مايكل مرة ثانية، ربما شعر بولاء تجاه صديقة ولم يكن قادرًا على أن يشعر به تجاه امرأة كان قد أحبها مرة ثم تركها.

واكتفت نفسها لا يهم أي شيء من ذلك. الكآبة، لا شيء في العالم يبرر زواجهما من سلايد. فهي لا تؤمن بزواج لا يقترب بالحب... ومع أنه ربما كان هناك نوع من العطف من نحوها، فليس هناك أي مجال لأي شيء آخر. وإذا هي قبلت بعرضه العرضي، فإنها لا تسعى إلا لانكسار قلبها فقط.

أغمضت عينيها وهي تمني أن تنام، فلا فائدة ترجى من هذا التحليل الذاتي كله. غفت في النهاية عند بزوغ الفجر لتحلم بذراعي سلайд يطوقانها ولمساته القوية تغطيانها... عندما استيقظت برونوين كانت السماء زرقاء صافية خارج نافذتها ولم يكن سلайд موجوداً. وبعد بحث وجيز في الشقة علمت أنه غادر المكان. فنظرت إلى ساعتها وكانت تشير إلى الحادية عشر قبل الظهر. لا بد أنه كان في العمل. دخلت المطبخ تلقى نظرة على حوض الغسيل، لتجد مجموعة من الأطباق المستعملة المنتشرة يغطيها بعض فتات الخبز المحمص المحروق. ابتسمت بتوجههم. وفكرت بأن ليلة شفف وإثارة وهيام لم تساعد على تحسين الأسلوب الذي يطهو به سلайд. إلا أنه على كل حال، قدر راعى راحتها تماماً بسماحه لها بالنوم.

سمعت مقبض الباب يتحرك، فأغلقت الحنفيه، سرعان ما كان سلaid يملاً بوجوده الغرفة كان مدهشاً كم بدت الغرفة وهو فيها صغيرة.

ألقت عليه التحية وشعرت فجأة بخجل لا يوصف. هز رأسه وهو يرد التحية وقال: «لقد سوي كل شيء». سألته بشعور خال من الارتياح وهي تدرك أنها عرفت الجواب مقدماً: «ما الذي سوي؟»

«الزفاف. لقد حددت موعده يوم الجمعة القادمة.» توقفت برونوين عن الشعور بالخجل وقالت: «لن أتزوجك، يا سلaid.» قالت ذلك من خلال أسنانها وهي تحاول جاهدة لا تطحناها.

نزع سلайд ستنته الداكنة الجميلة وألقى بها فوق كرسي. «لقد قلت ذلك ليلة البارحة. لكن، لو توقفت ونظرت مليأً في الأمر، لكنت أدركت أنه الحل المعقول.» «لقد فكرت في الأمر مليأً ولا أرى أي شيء معقولاً حياله.»

أرخي سلайд ربطة عنقه وقال: «يجب عليك. إن في ذلك فوائد معينة.»

«مثيل ماذ؟» ووضعت يديها على وركيها وحدقت به. إلا أنه كان عليها أن تجاهد وهو يقف باسمها بطريقة مثيرة لا تخطئه ناظراً إليها وكأنه يعربيها بعينيه.

وقال: «حسناً، الفراش، مثلاً. لا أعرف رأيك أنت، أما أنا فأجاده مرضياً بصورة استثنائية.»

وفكرت حانقة: كان يعرف رأيها فعلاً، كان يعرف أنها تجده أكثر من مرض. «الزواج يقتضي أكثر من ذلك بكثير..» قالت له ذلك بشموخ.

همهم قائلة: «ذلك ما قيل لي. فلا يسعني أن أنتظر لأكتشف بنفسي..»

فردت قائلة: «حسن، لا بد من الانتظار.»

«نعم، حتى يوم الجمعة.»

هرت على أسنانها هذه المرة فعلاً. «سلайд، ماذا ينبغي علي أن أفعل لأنك؟ لن أتزوج منك حتى ولو...»

«حتى ولو كنت الرجل الأخير الذي بقي في العالم؟ هل هذه العبارة المبهمة إلى حد ما هي التي كانت في ذهنك؟ فلم لا، يا برونوين؟ إنك لم تعترضي على إقامة علاقة معى الليلة الماضية.»

«ذلك كان مختلفاً».

«هل كان مختلفاً؟ وهل أنت من ذلك النوع الذي يؤمن بقول أجفهم ثم دعهم؟»

قالت باقتضاب: «كلا، لست من ذلك النوع».

«آه..» قال وهو يعبر إلى النافذة: «لقد بدأت أفهم. تعتقدين أنني أنا من ذلك النوع، أليس كذلك؟»
«كيف يمكنني أن أفكر بأي شيء آخر؟ وماذا بشأن جيني؟ لقد تخليت عنها».

«هل هذا صحيح؟» ذكرها فمه فجأة كمحضدة فولاذية.

«لقد تخليت عنها، طبعاً ولم تطلب منها أن تتزوجك.»
قال صراحة كلا: «لأنني لم أود أن أتزوج جيني برايس أكثر مما كانت تود هي. ومع ذلك، أريد أن أتزوجك فعلاً، يا عزيزتي».

«لماذا؟ إنك لا تحبني..»

«اتظنين ذلك حقاً؟» كان صوته صارماً كوجهه، ولم تستطع برونوين، التي كانت تراقبه، أن تصدق أنه قد يطرح ذلك السؤال.

فقالت: «طبعاً... لتشعر بكلة تسد حلتها وتمتن من كل قلبها ألا يكون ذلك صحيحاً.»
سألها وهو ينفض غباراً عن كمه. «هل إذا قلت إيني أحبك يساعدك ذلك على التغلب على وساوسك؟»

«كلا.» قالت وهي تتنهد: «لن أصدقك.»
«لم أفك بأنك ستصدقيني. فمن هذه الناحية، سأتوقف عن الكلام. والآن من ناحية يوم الجمعة...»
توقفت برونوين إذ لم يكن هناك فائدة ترجى من الجدل

معه فهو عندما يضم على أمر يكون كقطيعة تشق طريقاً عبر الأدغال. ما عدا أنه لا يعترف بوجود الأدغال تنكرت أنه كان دائمًا على ذلك الغرار، على كل حال الشيء الوحيد الذي يمكنها القيام به الآن هو أن تنتظر بالموافقة ومن ثم تقوم بتخطيط أمورها الخاصة بنفسها وبهدوء.

أصغت دون اكتتراث وهو يخبرها عن الكنيسة التي اختارها والقس الذي طلب منه أن يقوم بالاحتفال شارحاً لها أنه لن يكون هناك وقت كافٍ لإقامة حفل استقبال كبير، إلا أنها سيعيمان حفلًا عندما يعودان من شهر العسل.

ورددت برونوين بصورة خافتة: «شهر العسل؟»
همهم سلайд قائلًا: «اليونان، أعتقد، ألا تعتقدين كذلك؟»
حتى رأسها بغموض. كان في امكانه أن يقترح المريخ أو نبتون، دون أن تكرث، لأنها لن تذهب إلى أي مكان مع سلайд.

«ينبغي أن أعود إلى العمل، فسأراجع هذا المساء أية تفاصيل أخرى. أعلميني إذا كنت تعتقدين أنني نسيت أي شيء آخر.»

لم تجب برونوين، فضاقت عيناه، ولاحظ ذلك بقوله: «إنك التزمت الصمت فجأة..»
فأجابـت بصدق: «لقد فاجأـتني..»

فابتسم قائلًا: «حسناً. إنك أقل تسبباً للمتابـع عندما لا تنفسـين.» وانتقل نحوها، ووضع ذراعاً حول خصرـها وشـدها إليه برغبة بمثل رغبـته لتجـد نفسها، تستجيبـ لعنـاقـه.

«احسنـي السـلوكـ في غـيابـي.» قال وهو يربـت بـخفـة على

و جنتيها . ثم تناول سترته و ربطه عنقه و خرج من الباب وهو يصفر من بين أسنانه .

واختالت برونونين راجعة إلى غرفة النوم و راحت تسوي الفراش . لترتدي بعد ذلك ، بصورة آلية ، تنورتها الخضراء و قميصاً صوفياً ، وهي تتحقق طوال الوقت في أنحاء الغرفة حيث تعرفت إلى تلك البهجة غير المتوقعة . و وقع نظرها على أمتعتها المحطمـة التي أودعـتها إحدـى الزوايا بـجانـب النـافـذـة .

وبعد نصف ساعة كانت قد حزمـت أمتعتها بـاتقـان ، إنـما ثيابـها التي كانت جـلبـتها مـعـها فـقط . حدقت للحظـة ، باسـيـ بالـثـوبـ القـشـدـيـ وـالـذـهـبـيـ الذـيـ كانـ سـلـاـيدـ شـدـيدـ الـاعـجـابـ بهـ أـغـلـقـتـ بـعـدـ تـرـدـدـ بـسـيـطـ ، بـابـ الـخـزانـةـ بـإـحـكـامـ وـذـهـبـتـ تـجـريـ فـحـصـاـ سـرـيـعاـ أـخـيرـاـ لـلـمـكـانـ .

كـانـتـ الأـطـبـاقـ التيـ خـلـفـهـاـ سـلـاـيدـ وـرـاءـهـ مـلـقاـةـ فيـ حـوـضـ الغـسـيلـ فـيـ المـطـبـخـ .

توقفـتـ وـهـيـ تـبـذـلـ جـهـداـ فـيـ تـجـاهـلـهـاـ ، وـقـرـرـتـ ، فـيـ النـهـاـيـةـ ، أـنـ لـاـ يـمـكـنـهـاـ أـنـ تـرـضـيـ بـذـلـكـ . وـعـلـىـ أـيـةـ حـالـ ، يـجـوزـ أـنـ يـكـونـ غـسـلـ أـطـبـاقـهـ الـوـسـخـةـ الشـيـءـ الـأـخـيـرـ الذـيـ تـقـومـ بـعـلـهـ لـسـلـاـيدـ .

قبلـ أـنـ تـنـتـهـيـ مـنـ اـفـرـاغـ المـاءـ كانـ قـدـ اـخـتـلطـ بـدـمـوعـهـاـ التـيـ لمـ تـمـكـنـ مـنـ كـبـحـهـاـ . فالـحـيـاةـ مـعـ سـلـاـيدـ قـدـ تـكـوـنـ مـسـتـحـيـلـةـ ، إنـماـ الـحـيـاةـ دـوـنـهـ سـتـكـونـ مـكـفـهـرـةـ وـجـافـةـ كـالـصـحـراءـ .

فيـماـ هيـ تـمـسـحـ عـيـنـيهـاـ بـيـدـهـاـ ؛ اـعـتـدـلـتـ فـيـ وـقـفـتـهـاـ بـتـحـديـ وـفـكـرـتـ بـأـنـ حـيـاتـهـاـ لـنـ تـكـوـنـ مـكـفـهـرـةـ وـجـافـةـ ، إـذـ كـانـتـ سـعـيـدةـ قـبـلـ أـنـ تـغـادـرـ وـأـيـلـازـ وـسـتـعـودـ سـعـيـدةـ مـرـةـ أـخـرىـ . وـلـنـ يـكـونـ

هـنـاكـ رـجـلـ أـشـقـرـ بـابـتـسـامـةـ مـغـنـطـيـسـيـةـ مـغـرـيـةـ يـسـتـطـيـعـ حرـمانـهـاـ سـعـادـهـاـ لـمـدةـ طـوـيـلـةـ . لـنـ تـتـبـعـ الفـرـصـةـ لـذـلـكـ أـبـدـاـ . رـفـضـتـ بـرـونـونـينـ وـهـيـ تـتـنـاـولـ أـمـتـعـتـهـاـ وـتـغـلـقـ الـبـابـ خـلـفـهـاـ ، أـنـ تـلـقـيـ نـظـرـةـ إـلـىـ الـوـرـاءـ ... إـلـىـ أـنـ فـتحـ مـزـلاـجـ الـرـافـعـةـ فـيـ الطـابـقـ الـأـرـضـيـ . وـقـبـلـ أـنـ يـحـيـنـ ذـلـكـ الـوـقـتـ كـانـ قـدـ فـاتـ الـأـوـانـ .

كـانـتـ السـيـدـةـ بـيـكـرـسـلـيـ تـقـفـ فـيـ الـبـهـوـ وـهـيـ تـلـوحـ بـعـلـبةـ الـرـيـ فـوقـ بـقـعـةـ عـلـىـ السـجـادـةـ .

وـقـالـتـ بـمـرـحـ : «ـآـهـ ، يـاـ عـزـيزـتـيـ ، كـنـتـ أـفـكـرـ بـكـ..ـ» سـأـلـتـهـاـ بـرـونـونـينـ بـحـدـدـ كـانـتـ عـادـةـ تـحـفـظـ بـهـاـ لـلـنـشـالـيـنـ وـالـزـبـائـنـ الـذـيـنـ لـاـ يـدـفـعـونـ فـوـاتـيرـهـمـ فـيـ الـمـحـلـ : «ـهـلـ تـقـومـيـنـ بـرـيـ الـأـرـضـ ، يـاـ سـيـدـةـ بـيـكـرـسـلـيـ؟ـ»

أـجـابـتـ جـارـةـ سـلـاـيدـ بـابـتـسـامـةـ مـهـذـبـةـ : «ـمـاـذاـ؟ـ آـهـ ، كـلاـ ، يـاـ عـزـيزـتـيـ . فـقـدـ نـزـلتـ لـرـيـ الـنـبـاتـاتـ .ـ»

لـقـدـ اـتـلـفـ عـمـالـ الصـيـانـةـ أـمـسـ الـنـبـاتـاتـ .ـ» ذـكـرـتـهـاـ بـرـونـونـينـ بـجـفـاءـ .

«ـهـلـ أـقـدـمـواـ عـلـىـ ذـلـكـ ، يـاـ عـزـيزـتـيـ؟ـ فـيـ الـوـاقـعـ لـمـ أـلـاحـظـ تـخـيـلـيـ ذـلـكـ ، الـآنـ .ـ»

تـسـتـطـيـعـ بـرـونـونـينـ أـنـ تـخـيـلـ ذـلـكـ جـيـداـ .ـ إـنـ سـاـكـنـةـ الـمـبـنـىـ الـمـهـتـمـةـ بـأـعـمـالـ الـأـخـرـيـنـ لـمـ تـفـكـرـ بـسـبـبـ أـكـثـرـ مـلـائـمـةـ مـنـ الـنـبـاتـاتـ لـتـحـتلـ مـرـكـزـهـاـ فـيـ الـبـهـوـ .ـ

وـسـأـلـتـهـاـ بـيـنـمـاـ كـانـتـ بـرـونـونـينـ تـنـقـلـ أـمـتـعـتـهـاـ إـلـىـ الـبـابـ : «ـهـلـ أـنـتـ رـاحـلـةـ ، يـاـ عـزـيزـتـيـ؟ـ»

قاـومـتـ بـرـونـونـينـ اـنـدـفـاعـهـاـ بـسـؤـالـ : «ـكـيـفـ يـبـدوـ ذـلـكـ؟ـ» وـأـجـابـتـهـاـ بـأـيـجازـ : «ـنـعـمـ .ـ»

«حقاً؟ آه، يا عزيزتي سيدتي سلайд بخيبة أمل، فهل يعرف؟»

إذا لم يكن على معرفة، فإنه سرعان ما سيعرف، فكانت برونونين... وقبل أن يقرأ الرقة التي تركتها بوقت طويل تكون هي قد رحلت.

أجبت بتبرم: «أتوقع ذلك..».

التعنت عيناً السيدة بيكرسللي اللتان تشبهان عيني العصافير وقالت بلهجة ملتوية: «لقد شعرت بالضياع، أليس كذلك؟ يمكنني أن أتنبأ، لأنني ألم بأحوال الناس. كنت أقوم بمعالجة النفوس الواقعية في مشكلات كمتطوعة، غير أنهم قالوا لي إنهم لن يكونوا بحاجة إلى بعد أن حاول أحد الموظفين أن يقتلني. وذلك كان عملاً غير منصف لأنه بقي في عمله، بل انه رقي في وظيفته». وتنهدت. «كنت استمتع بذلك العمل..».

فقالت برونونين: «آه، إنني آسفة». قد تقع في إن هي لم تعتد كبعض جماح ضحكتها. وكان كل ما تاقت إليه اليوم هو أن تتجوّل بجلدها. واستدارت نحو الباب الزجاجي الثقيل بسرعة.

ولكن السيدة بيكرسللي لم تستسلم بسهولة. «لم تجربيني، يا عزيزتي». «لقد شعرت بالضياع، أليس كذلك؟» فأجابت برونونين باقتضاب: «نعم إلى اللقاء، يا سيدة بيكرسللي..».

«آه، لكن...»

لم تسمع برونونين الباقي، إذ كانت مشغولة بنقل أمتعتها عبر الباب. وعندما ألقت نظرة إلى الوراء وشاهدت المرأة

على وشك اللحاق بها إلى الخارج، راحت ترکض نحو الباص.

كان الباص متوجهاً إلى قلب المدينة، فترجلت في مركز منطقة الفنادق. وكان سلайд قد أقنعها أنه من غير الحكمة أن تعود أذهار دوار الشمس أكلة الرجال.

تأوهت وفكرت بأن الفنادق الممتازة مرتفعة التكاليف. غير أنه لم يكن لديها أي خيار آخر.

ووجدت في النهاية غرفة صغيرة جداً في شارع روبينسن لم تبد لها سيدة، ورتبت أمرها على أن تمضي الليلة فيها، بينما تقرر ما الذي ستقوم به.

كانت متمددة في الحمام تحدق في جرح كبير أصابها في ركبتيها من حافة الحقيقة عندما سمعت جرس رنين الهاتف فتجاهله. كي لا يعرف أحد أنها هنا، لذلك لا بد أن يكون الرقم خاطئاً. ورن مرتين آخريتين. لا يوجد أي متكلم يعترف بأخطائه بسهولة، فكانت بذلك غاضبة لم تكن في حالة نفسية تتبع لها إجراء حديث هاتفي مع أي كان. من الصعب جداً محاولة اتخاذ قرار عندما يشعر المرء بأن لا شيء يهم بعد الآن. فالهاتف المزعج يكاد يشكل تدخلاً لا يحتمل.

انقطع رنين الهاتف فجأة. وبعد خمس عشرة دقيقة، بينما كانت ترتدي قميصها القصير الأزرق سمعت قرعًا غير متوقع على الباب.

«من هناك؟»

أجاب صوت قوي من ممر القاعة: «عربيك المنبوذ افتحي حالاً أو سأفتحه بدلاً منك..».

الفصل السابع

أغمضت برونوين عينيها وسألته بجفاء: «ماذا تريده؟»
«أريدك أنت، مع جميع الأشياء. قلت لك افتحي..»
«كلا..»

«قد يأخذ الفندق نظرة سريعة إذا ما كسرت الباب وفتحته،
يا برونوين، ولكن أعدك أن ذلك لن يثنيني..»
كلا، افترضت أن ذلك لن يحصل. إذ لا شيء يقف في طريق
سلайд إن هو قرر أن يسلك طريقاً ما. مع ذلك فهو لا يمكن
من الاقتران بأمرأة رفضت أن تنطق بعبارة القبول.

مشت ببطء نحو الباب وهي تسرح شعرها الرطب إلى
الوراء. فلم يكن في طلب النجدة من الفندق أي معنى. حتى
وإن أبعد مكبلاً بالقيود، فإن سلайд سيجد سبيلاً ما ليحصل
على ما يريد.

«لملمة الأخيرة، هل تسمحين لي بالدخول؟» طلب منها
بصوت تجلى فيه تهديد بتصرف مباشر.

فتحت الباب وسألته وهي تدعى عدم مبالاة مزعجة لم
تشعر بها. «هل ينبغي أن تنفذ مبتغاك دائمًا؟»

«دون شك.» قال، وهو يعبر عنية الباب أمسك بمنكبها
وجذبها نحو صدره سائلاً: «وهل ينبغي أن تتسببي
بالمتابعة دائمًا على هذا النحو؟ لدىأشياء أخرى أفعلها
أكثر من مطاردتك عبر نصف المدينة.» وكان في صوته نبرة
فولازية وفي عينيه وميض دافق.

واعتبرتها رجفة مباشرة، ولكن عندما أخذت أصابعه تشد
على منكبها رفعت رأسها وقالت بقسوة: «لماذا لم تقم
بها، إذن؟ لم أطلب منك أن تطاردني، يا سلайд.» وقطبت
جيبيها وهي تتساءل: «كيف اكتشفت أنني هنا؟»
«السيدة بيكرسلி.» قال بحزن.

هزت نفسها متخرجة من قبضته وقالت: «آه، لكنها لم
تعرف...»

«آه، بلـى، لقد عرفت بالفعل. فعندما يلاحق كلب الجيران
بأنفه رائحة ما فهو لا يستسلم حتى يقع ما يبحث عنه في
الزاوية. فقد استعملت فضولها، يا حلوتي. ذهبت في أثرك،
مما وفر على قدرًا كبيراً من الوقت.»
«ولكن كيف...؟»

«ليس لدى أية فكرة. كما أن ذلك لا يهم. فقد أسرعت لتقديم
إلى الأخبار السارة..»

«آسفة للصدمة ولكن، في ما يتعلق بالباقي...»
«في ما يتعلق بالباقي، فأنت راجعة معي مباشرة إلى
شقتى، وإذا كنت صاحبة حظ كبير يجوز أن أعدل عن لفك
ببقايا أوراق الجدران اللعينة وشحنك إلى البيت في
بونتغلاس.»
قالت برونوين بجفاء: «يمكنني أن أفكر بما هو أكثر
سوءاً.»

«وكلناك أستطيع أنا. فلا تدفعيني لذلك.»
«سلайд، لست قادرة على الرجوع معك، ولن أتزوجك
و...»
«إنني أفهم أفترض أنك تعتقدين أنني أحد تلك الأقدار

السيئة.» وكانت النظرة التي سددها إليها قاسية ومرهقة على غير عادته.

«لا. نعم. لست أدربي...»

«حاولي أن تقرري..»

«لقد قررت. لن أتزوجك. فلن تحصل على مبتغاك هذه المرة.»

«سني. وأنت في الوقت الراهن آتية معي إلى البيت. فقد تقييت مكالمة من مايكل عندما وجد أنه لم يتمكن من الاتصال بك. فقد أخلى المستشفى سبيله، وقد جئت به للإقامة في شقتي حتى يتعافي. فهو يحتاج إلى العناية به، يا برونوين... وحسبما فهمت، هذا هو السبب الكامن وراء مجيئك إلى فانكوفر.» وشعت عيناه الزرقاوأن تأكيداً بارداً على أن هذا كان جدلاً عرف أنه لا يمكن أن يخسره. ولم يخسره.

فقالت بصوت متعب: «حسناً أنت الرابع من أجل خاطر مايكل.»

«إنني أربع غالباً.» وشعرت أنه كان يقول الحقيقة. وعادا بسيارة سلайд صامتين إلى شقته. وشعرت برونوين أنها تشبه طالبة متهربة تعاد إلى المدرسة توأ. أما شعور سلайд، فلم تكن مقاومة منه ولكن، من التواطء فمه كانت واثقة من أنه راضٍ... مما لم يفهم بشيء في تحسين وضعها النفسي.

و جداً مايكل متمدداً على الأريكة الخضراء يمثل دور بطل جريج. وعندما تقدمت برونوين نحوه ابتسمل لها ابتسامة لطيفة وقال: «لقد أطلق سراحه من السجن.» ولم يبد عليه المرح.

فأجابـت وهي تلمس بيـدها جـبينـه بـرقـة: «أـقدم إـلـيكـ تعـازـيـ الـحـارـةـ.»
سـأـلـ وـبـدـاـ مـدـهـوـشـاـ: «ـمـاـذاـ؟ـ»
ـلـنـ يـكـونـ هـنـاكـ مـسـاعـدـاتـ فـاتـنـاتـ فـيـ خـدـمـتـكـ.ـ عـلـلـ ذـكـ لـهـ بـابـتـسـامـةـ أـخـوـيـةـ.
ـفـعـبـسـ قـائـلـاـ: «ـلـاـ بـأـسـ،ـ فـأـنـتـ تـكـفـيـنـيـ لـذـكـ...ـ إـلـىـ أـنـ أـعـودـ وـأـقـفـ عـلـىـ الـأـقـلـ عـلـىـ قـدـمـيـ.ـ»

ـأـطـلـقـ سـلـاـيدـ مـنـ وـرـائـهـ صـوتـاـ رـبـماـ كـانـ شـخـيرـاـ مـزـدـرـيـاـ
ـوـقـالـ: «ـأـتـمـنـىـ لـكـ حـظـاـ سـعـيـدـاـ.ـ»
ـأـسـتـدـارـتـ بـرـوـنـوـيـنـ وـقـالـتـ باـقـتـصـابـ: «ـفـقـدـ طـهـوـتـ وـجـبـاتـ
ـوـغـسـلـتـ ثـيـابـكـ وـ...ـ» تـوقـفتـ فـجـأـةـ وـهـيـ تـشـاهـدـ حاجـبـيـهـ
ـيـقـلـصـانـ بـزاـويـةـ غـيـرـ مـعـهـودـةـ.

ـأـجـلـ؟ـ كـانـتـ كـلـمـتـهـ مـتـرـعـةـ بـفـيـضـ منـ الـمعـانـيـ.
ـتـنـحـنـحـ مـاـيـكـلـ بـشـكـلـ لـاـ يـعـنـيـ الـمـوـافـقـةـ،ـ وـقـالـ وـهـوـ يـحـاـولـ
ـأـنـ يـبـدـوـ أـبـوـيـاـ: «ـلـكـنـهـ لـمـ يـفـلـحـ،ـ يـاـ شـقـيقـتـيـ بـرـوـنـ،ـ سـلـاـيدـ إـذـاـ
ـكـانـ لـدـيـكـ...ـ»

ـفـقـالـ سـلـاـيدـ: «ـلـيـسـ لـدـيـ،ـ وـفـيـ وـاقـعـ الـأـمـرـ،ـ أـرـيدـ أـنـ أـتـزـوـجـ
ـمـنـ شـقـيقـتـكـ.ـ وـأـعـتـقـدـ أـنـ ذـلـكـ كـانـ سـبـبـ هـرـبـهـاـ.ـ»
ـنـظـرـ إـلـيـهـ مـاـيـكـلـ وـقـالـ بـتـعـجـبـ: «ـتـوـدـ فـعـلـاـ أـنـ تـتـزـوـجـ!ـ»
ـوـمـرـرـ يـدـاـ عـبـرـ شـعـرـهـ بـصـورـةـ عـابـثـةـ وـأـرـدـفـ سـائـلـاـ: «ـمـنـ
ـبـرـوـنـوـيـنـ؟ـ هـلـ أـنـتـ جـادـ يـاـ سـلـاـيدـ،ـ أـوـ...ـ؟ـ»
ـآـهـ،ـ نـعـمـ.ـ إـنـتـيـ جـادـ.ـ وـلـكـنـ،ـ إـذـاـ كـنـتـ تـشـكـ فـيـ أـنـتـيـ أـعـانـيـ
ـمـنـ آـثـارـ شـمـسـ غـيـرـ مـنـتـظـرـةـ،ـ يـجـبـ أـنـ أـوـفـقـ عـلـىـ أـنـ الـأـمـرـ
ـيـبـدـوـ كـذـلـكـ.ـ»

ـوـقـالـتـ بـرـوـنـوـيـنـ: «ـإـذـاـ اـنـتـهـيـتـاـ أـنـتـمـاـ الـاثـنـانـ مـنـ التـحدـثـ

عني كلّياً.» «فربما يمكننا أن نطرق الموضوع مباشرةً.» وضع سلайд يديه في جيبي بنطلونه الرمادي واستند إلى الجدار قرب الباب وقال بجفاء: «أظن الاقتراح ليس وجيهًا كما يبدو. بماذا تفكرين، يا عزيزتي؟»

أخذت نفساً عميقاً وأجبت وهي تتحقق في بلاطة أرضية خضراء بدت أشد اخضراراً من الآخريات وقالت: «تدابير المنامة.»

قال سلайд: «حسناً لقد أكد لي مايكيل أنه مرتاح تماماً على الأريكة، التي تخلف...» «لا.» قالت برونوين وهي تحاول الجلوس في أقرب كرسي.

فحدق بها مايكيل وقال بتrepid: «برون إذا كنت أنت وسلайд ستتزوجان...» فقالت برونوين وهي تلفظ كل كلمة بوضوح: «سلайд وأنا لن نتزوج..»

«آه، بلـى، سنتزوج.» ناقضها برقة: «ولكن بما أنك تصررين على تعقيد القضية، فإبني سأنحنـي أمام وسادتك البريئة واتخذ إقامة مؤقتة لي مع السيدة بيكرسلـي، فهل ذلك يعجبك؟» وحدق في السقف بصورة لا معنى لها.

«لا تكون أخرـق.» رأت برونوين التي لم تكترث للطريقة الساخرـة التي نطقـت بها شفتـاه عندما أشار لوساوسـها بعبارة بـريـئة.

ابتسم سلـايد بطـريقة مستـنفرـة. «هـذا حـسنـ، إذا كانتـ تلكـ الفـكرةـ لا تـؤثـرـ بـكـ، فـكيفـ إذاـ اـنـتـقلـتـ إـلـىـ مـسـكـنـيـ الـرـيفـيـ...ـ إلىـ أـنـ نـتـزـوـجـ، طـبـعـاـ؟ـ»

«ليس لديك مسكن في الريف.» فقاطعها مايكـلـ: «طـبـيـهـ عـشـرـةـ فـدـادـيـنـ قـرـبـ بـحـيرـةـ الـكـويـتـ...ـ وهوـ مـكـانـ يـضـمـ مـزـرـعـةـ مـوـلـفـةـ مـنـ خـمـسـ عـشـرـةـ غـرـفـةـ.ـ وبـحـيرـةـ سـبـاحـةـ.ـ»

شبـكتـ بـرـوـنـوـينـ أـصـابـعـهاـ بـسـاعـدـ الـكـرـسـيـ وـحـدـقـتـ بـسـلـاـيدـ بشـكـ وـقـالـتـ: «لمـ تـأتـ عـلـىـ ذـكـرـ ذـلـكـ مـطـلـقاـ.ـ»

«أـلـمـ أـذـكـرـ ذـلـكـ؟ـ رـبـماـ لـمـ أـفـكـرـ بـأـنـ ذـلـكـ يـهـمـكـ.ـ» «ـكـانـ يـمـكـنـيـ أـنـ أـقـيمـ فـيـهـ...ـ»

«ـبـعـيـدـاـ عـنـ الذـئـبـ اللـعـيـنـ الـكـبـيرـ؟ـ لـكـنـ فـكـرـيـ كـمـ كـانـ سـيـكـونـ مـقـفـراـ.ـ وـلـيـسـ مـلـائـمـاـ عـلـىـ الـأـقـلـ.ـ»

«ـلـيـ أـلـكـ؟ـ سـأـلـتـهـ دـوـنـ اـسـتـسـلـامـ.ـ لـكـلـاـنـاـ،ـ كـمـ يـجـبـ أـنـ أـظـنـ.ـ بـعـيـدـاـ عـنـ أـيـةـ اـعـتـبـارـاتـ أـخـرـىـ،ـ وـمـعـ أـنـهـ رـبـماـ فـاتـكـ الـانتـباـهـ،ـ لـسـتـ سـائـقـ سـيـارـةـ تـاكـسـيـ خـاصـةـ،ـ يـاـ آـنـسـةـ إـفـنـزـ.ـ»

«ـمـاـذـاـ تـعـنـىـ؟ـ»

«ـأـعـنـاـ مـسـافـةـ طـوـيـلـةـ بـيـنـ مـنـزـلـيـ وـالـمـسـتـشـفـىـ.ـ أـنـكـ كـنـتـ تـتـوقـعـيـنـ سـيـارـةـ لـيـمـوزـيـنـ؟ـ»

«ـكـلـاـ،ـ طـبـعـاـ لـاـ.ـ»

ـهـنـ مـنـكـبـيـهـ قـائـلـاـ:ـ «ـكـانـ بـاـمـكـانـيـ أـنـ أـقـدـمـ وـاـحـدـةـ،ـ طـبـعـاـ،ـ إـلـاـ أـنـتـيـ لـمـ أـرـقـائـدـةـ فـيـ ذـلـكـ.ـ»

ـفـكـرـتـ بـرـوـنـوـينـ فـيـ أـنـ ذـلـكـ لـمـ يـكـنـ فـيـ اـمـكـانـهـ إـلـاـ أـنـهـ الـمـنـاـهـ.ـ تـقـلـ شـيـئـاـ.ـ»

ـوـابـتـدـأـ سـلـاـيدـ يـعـتـبـرـ المـوـضـوـعـ مـنـتـهـيـاـ،ـ وـعـنـدـمـاـ اـسـتـمـرـ فـيـ النـظـرـ إـلـيـهـ مـنـ عـيـنـيـنـ شـبـهـ مـغـلـقـتـيـنـ وـجـدـتـ نـفـسـهـ تـسـأـلـ بـاـمـتـعـاضـ:ـ «ـإـذـاـ كـانـ بـلـوـغـ مـنـزـلـكـ وـالـعـودـةـ مـنـهـ يـشـكـلـ

هذه المعضلة، فلماذا تعرض على الذهاب إلى هناك؟»
فقال وهو يدير كتفيه: «لأنه يؤثر بي إنه، إذا لم أعرض
ذلك، فمع إقتراب يوم زواجنا لربما أقدم على قتل عروسي
الخجول. أو أنغمس على الأقل في بعض العنف العلاجي
القابل للتسامح..».

«ليس ثمة تسامح في العنف أبداً. ليس ذلك لأننا لن
نحظى بيوم زواج..»

«ذلك ما تستمرين في قوله. وإنني ابتدأت أتعب فعلاً.
قال سلайд ذلك وهو يتکئ إلى الجدار كأنه كان يقصد أن
يمضي المساء في الحديث عنه.

قال مايكيل فجأة وكانت نظراته القوية تتنقل بينهما
باهتمام زائد: «لا بد أن ترضخي، يا برونونين، لأن سلайд لن
يقدم على ذلك..»

أحنى سلайд رأسه بتأثير ورزانة وقال لصديقه: «شكراً لك
أقدر لك توصيتك..»

وقررت برونونين ربما يكون مايكيل على صواب تماماً
حيال تقديم نصيحة بالرضوخ. على الأقل حالياً.

«حسناً تماماً.» قالت برونونين لسلайд ببرود: «سأقبل
عرضك..»

فسألها بابتسامة عنت لها أنه فهم تماماً ما تعنيه:
«للزواج؟»

فقالت ممنزعة: «لا، طبعاً، ليس للزواج. بل كنت أتكلم
عن موضوع عرضك على الانتقال إلى... إلى...»

فأكمل لها: «المكان في الريف. إنه ليس حفرة أشواق
خاصة، إذا كان ذلك هو ما تفكرين فيه..»

كانت تلك الفكرة في مؤخرة ذهنها، إلا أنها سوف لن
تدفعه يعرف ذلك وقالت: «طبعاً لا..» وهي تحاول أن تبدو
متعالية.

قهقهة مايكيل وقال مؤكداً تلك الحقيقة: «إذ أنتي لم أعرف
أن سلайд أخذ أية امرأة إلى هناك..».

«ربما..» قالت برونونين التي لم تحب تغيير الحديث:
«فسلайд يود أن يذهب بنفسه إلى هناك. ويفضل ذلك حالاً..»
قال موافقاً: «ذلك جائز. وبشرط أن ألتقي تقديرأ
 المناسباً..»

«أيني شاكرة..» قالت برونونين في محاولة منها لتأكيد
عاداتها الحسنة وأمتنانها المناسب بدلأ من رغبتها العادبة
في عودته لماضيه... أو، إن فشلت في ذلك، مباراته الحب.
حاول سلайд، وهو يراقبها مقاومة الرغبة في عناقها...
أو إذا فشل في ذلك، أن يأخذها بكتفيها ويهزها هزاً.

«أريني امتنانك..» أمرها بقوله وهو ينشر نراعيه متهدياً
إياها هيا... أريني امتنانك: «قبليني، يا برونونين..»
وبكلت هي شفتتها بلسانها عجزاً. وقد بدا أخذاً بقامته
الفارغة المنتشرة كالنسر إزاء الجدار، وعرفت أنه لو لم
يكن مايكيل موجوداً هناك لكان ألقمت على أكثر من مجرد
تقبيله..

وعلى كل حال، نهضت واقفة ببطء وسارت نحوه. فلم
يتحرك. وفي النهاية، وضعت يديها على منكبيه وقبلته
بقدر ما يمكنها من اللامبالاة لأن الأمر يبدو أقل مذلة من
انتظاره ليقوم بالخطوة الأولى..
وللحال طوقها بذراعيه بقوة وأدارها نحو الحائط. لم

يتمكن مايكيل من تلك الزاوية من مشاهدة ما كانت يداه تفعلان... وها تحولان مداعبته الخفيفة إلى تمرين عاطفي.

«نعم.» قال عندما انتهى: «أعتقد أن ذلك كافٍ حالياً. ويمكنك أن تشكريني أكثر يوم الجمعة. فسأكون هنا ظهراً تقريباً لأحملك.»

كانت برونوين تحاول جاهدة إلتقاط أنفاسها وعواطفها، فلم تجده.

دخل سلايد إلى غرفة النوم ورجع يحمل سترته ويسير هادئاً نحو الباب.

«أهتمي بمايكيل.» قال بخفة. وتنسى لها أحلام ليلة هانة.

أغلقت عينيها، وعندما فتحتها كان قد خرج.

«إنه لرجل مريع، أنا مغرور بصورة تدعوه للإشمئزاز.» قالت باقتضاب وهي تتحقق في المكان الذي كان يقف فيه. «كيف يمكنك تحمل اتخاذ صديقاً، يا مايكيل؟»

قال بلطف: «ولكنك بذوق طيبة معه للغاية أنت نفسك. إنك تدهشيني يا شقيقتي الصغيرة.»

أدانت برونوين زراً في ثوبها واستدارت ببطء معرفة: «إنه جذاب. فلم أدرك قطكم كان من قبل جذاباً تماماً. إلا أنه ما زال أنا نانياً لا يتحمل.»

قال مايكيل وعيناه السودوان تسبحان في حلم غريب:

«لذلك، لن تتزوجيه؟»

«هل تظن ذلك؟»

«كلا. لكنني لم أرك من قبل قط متنزعجة على هذا النحو.»

«تلك دلالة تساعد على القبول بالزفاف.»

«لقد ازداد النعش في وجهك.» قال ذلك دون ترابط منطقى.

«ما علاقة ذلك بأي شيء آخر؟»

«لا أعرف. اعتقدت أن لذلك علاقة بسلайд..»

«حقاً، يا مايكيل. بإمكان سلايد أن يسبب مزيداً من الأسى أكثر من أي رجل أعرفه، ومع ذلك لا يمكنه أن يصنع بقع نعش.» وجلست على يد الأريكة وحدقت بكاءة فوق رأس أخيها إلى طائر بحري حط على الدرابزين.

رفع مايكيل بصره إليها عابساً بطريقة صبيانية وسأل: «ما لديك ضد سلايد؟ فهو ليس أنا نانياً كما تظنين. فقد بذل على مر السنين الكثير من أجلني. وانظري كم هو ملزم الآن... متىحاً لنا الإقامة في شقته متكتباً الكثير لأجلنا.» فقالت بعناد: «إنه للتزام خططله. فهو يريد شيئاً ما.» «نعم. أنت. هو الذي قال ذلك. صدقيني، يا شقيقتي الحلوة الصغيرة. إن سلايد لا يفعل أي شيء لا يريد. أقل ما في ذلك أن يتزوج صهباء منمشة عنيدة..»

«إنه يجب أن يحقق مقاصده بطريقته الخاصة تماماً.» أصرت برونوين على القول. وسقط الزر الذي كانت تلعب به في يدها فوضعته في جيبها.

«لا تكوني سخيفة. لماذا يتزوجك أو يتزوج أية واحدة أخرى لسبب واحد مثل ذلك؟»

«لا أعرف.» وتتابع نظرها خط تحليق طائر البحر وهو يهم برفع جناحيه وينطلق محلقاً في الجو.

ضاقت عينا مايكل وقال: «أنت مغفرة به، أليس كذلك؟ يمكنني معرفة ذلك.»
 «وماذا تعرف عن الغرام؟ لا أظنك جربته في حياتك قط.»
 ولدهشتها، لم يضحك أو ينفي التهمة.
 «يمكن أن تكوني على صواب.» قال ببطء: «إلا أنتي لا أعتقد ذلك.»

«هذا جيد، لقد جربته أذن؟»

«أجل، إلا أن ذلك كان قبل سنتين. ومنذ ذلك الحين لم يكن هناك فعلًا أية واحدة بصورة جديدة.»
 قالت برونوين بلهجة تهكم: «إذن ذلك لا يكاد يجعلك خبيراً على الأقل في الحب.»
 «ربما لا. إلا أنتي ما زلت أعتقد أنك تودين الزواج من سلайд.»

«يجوز ذلك.» قالت موافقة على ذلك بتذمر: «لكن لا أستطيع. فهو ليس... من النوع الذي يتزوج.»
 «يبدو أنه يعتقد أنه من ذلك النوع. وإذا ما توصل إلى قرار...»

«مايكل إفنتز.» قالت برونوين وقد نفذ صبرها وقفزت واقفة على رجليها متبايعة: «لن أتزوج سلайд لمجرد أنه توصل إلى اتخاذ قرار. فقد اتخذت أنا قراراً أيضاً. وهو أنه ليس... ليس مناسباً.»

فقال ساخراً: «يا لسذاجتي. إنها تنتظر أوناسيسيس.»
 أجبت برونوين باقتضاب: «لقد توفي؟»
 «وكان ذلك أنت رسمياً.»
 «ليس بعد..»

«حسناً.» قال مايكل: «لأن ذلك يعني أنك تستطعين أن تأتي لي بما يمكنني أن أتناوله.»
 نظرت برونونين إلى الساعة، فاعتبرت أنه كان على حق، فقد فات وقت العشاء.

وراحت تهيء الطعام بسرعة، إلا أن أفكارها كانت مشغولة بشيء آخر. لقد أصر مايكل، الذي عرف سلайд كأي شخص آخر، على أن صديقه لم يكن أنانينا، وإذا قال إنه يريد الزواج منها فإنه يقصد ذلك فعلًا. لكن ذلك لم يغير شيئاً في الموضوع، وكسرت بيضة في الوعاء بسرعة خاطفة. مهما أحبته، فلا يمكنها أن تتزوج رجلاً كان قد هجر فتاة صبية حملت منه وترك رجلاً آخر يربى طفله. قد يكون سلайд الذي عرفته كبر وأصبح ناضجاً قد يتصرف بصورة مختلفة. ومع ذلك، فلا يمكن أن تقوى على نسيان اهماله القاسي لجيئني وأبنها الطفل. وفي النهاية سيدخل الإثنان بينها وبين أية علاقة حميمة وصحيحة بسلайд، لأن بذرة عدم الثقة قد زرعت، وستبقى وتتنمو هناك دائمًا وتفسد حبهما.

علاوة على ذلك، لم تكن مقتنعة بأية حال أن سلайд يكن لها شعوراً أكثر من مجرد عاطفة معتدلة وانجذاب جسدي قوي.

توقفت عن الحلم وأنهت إعداد فطورها واتخذت قراراً بالزواج من سلайд.» قال مايكل مفاجئاً إياها وهي مستترقة في تأملها: «فإذا أنت استمررت في كسر البيض في الحوض، يا برون، سأعود إلى المستشفى لأنتناول الطعام.» وابتسم مبتهجاً، ثم تابع: «فهناك ممرضة في الجناح أظن أنها، لكن...»

لم تكن برونوين تهتم بعمر صحته. وهي تحدق مشدودة بالنهر الأصفر اللامع الذي كان يسيل لزجاً اللعنة. إذ كانت تعتز دائمًا بشيء فهو مهارتها في الطبخ... حتماً ليس لسلайд تأثير في ذلك.

طبعاً كان له تأثيره.

مر اليومان التاليان في انشغالها بالتسوق والظهور والإعتناء بمايكل وهي تحاول أن تشيح تفكيرها عن يوم الجمعة حينما وعدها سلайд بالرجوع. لم تكن على يقين مما إذا كانت تخاف ذلك اليوم أو تتطلع إليه. لكنها كانت على يقين تماماً أنها وجدت غيابه لا يحتمل. فهو لم يقم بإجراء أية مكالمة هاتفية أو الاتصال بهما على الإطلاق. لقد افتقدته بصورة فظيعة.

ظلت أنه صدق ما قالته وألغى خططه بقصد الزفاف... وذلك ما كانت توده تماماً دون شك، أو أنها حاولت أن تقنع نفسها بذلك.

جاء يوم الجمعة، وكان يوماً ممطرأً، مما لم يكن يبشر بالخير.

خرجت برونوين لفترة وجيزة لشراء بعض الحاجيات وتركت مايكل مستلقياً على الأريكة. وعندما رجعت، بعد الثانية عشرة بقليل، كان سلайд قد عاد إلى الشقة وكان جالساً في كرسي إلى جانب شقيقها العليل يضحك. كان يرتدي بزة داكنة وربطة عنق قرمزية، لكن دون قرنفلة قرمزية لسعادتها.

بادرها قائلاً: «لقد تأخرت.»

ونزعت معطفها الذي كان الماء يقطر منه وعلقته

في الخزانة بجانب الباب: «لماذا تعتبرني متاخرة؟»

«لا تقولي لي إن ذاكرتك ضعيفة إلى هذه الدرجة. ستنزوج اليوم، أتذكري؟ وأو ما بيده إلى كرسي منتقل كان مهياً بجانب الأريكة وقال: «لقد جئت بوسيلة نقل لمايكل..»

وقال أخوها: «بيدو أتنني ساكون العراب..» انهارت برونوين واتكأت إلى الجدار ومرت بيد مضطربة في شعرها الأحمر الرطب، وقالت بهدوء تام: «سلайд لا أعرف كيف يمكنني أن أوضّح أكثر من ذي قبل، فقد أخبرتك عدة مرات على الأقل أتنني لن أتزوجك...»

«أعرف ذلك. لقد أصبح ذلك الموضوع مملأ لدرجة أتنني قررت البقاء بعيداً لأيام قليلة». نهض وانتقل بسرعة نحوها وقال: «لا..» وراح يضع يديه فوق منكبها وهو مسترسل في تفكيره يتأمل جسدها المتشبع بلباس محتشم أنيق. أضاف: «إن ارتداءك ثوب ربة بيت لن يكون كافياً. فالقشدة والذهب، أعتقد..» وأنحنى رأسه. «أجل، بالتأكيد، القشدة والذهب هيا اذهبني..»

نظرت إليه فاغرة فمها، لا تقوى على تصديق مدى الجد في حديثه، وقبل أن تدرك ما جرى، راح يديها بسرعة ويدفعها برقعة نحو غرفة النوم.

وقفت مولية ظهرها له وكبلت قبضتيها إلى جانبها وهي تحاول يائسة أن تتحكم بمزاجها... الذي بدا منسجماً مع لون شعرها فقط منذ عودة سلайд للظهور في حياتها من جديد. وقررت في النهاية أنها لن تجني أية فائدة من إبقاء

الموضوع هادئاً. فلربما نوبة غضب من الطراز القديم قد تفضي إلى اجتذاب انتباهه وتكون الشيء الوحيد الذي يلاوي غروره.

نظرت حولها لتجد شيئاً ما تلقيه به، فوق نظرها على وسادة حrirية زرقاء. فالقطتها ورفعت بها فوق رأسها وللحال قال سلайд: «لن أحاول ذلك. فهدفي أفضل من هدفك فعلاً.»

تذكرت أن ذلك كان صحيحاً. ولم تكن من النوع الذي يدوس على الأقدام. وبيدو، من ناحية أخرى، أن المنطق لم ينجح مع سلайд... .

عادت وألقت بالوسادة في مكانها على الكرسي وقالت: «حسن جداً. لقد حاولت أن أقول لا، وأن ألقى بأشياء وأن أقول لا أريد الزواج منك. مما ينبغي علي أن أفعل لأحملك على الاقتناع بأنني أعني كل ذلك؟»

«آه، إبني على اقتناع تام أنك تعنيني، أو تظنين أنك تقصدين ما تعنيني.»

هزت برأسها بعجز وقالت: «لا يمكنني، يا سلайд، أن أمنعك من اختطافي وإلقاءي فوق كتفيك والزامي على الذهاب معك إلى مذبح الكنيسة، إلا أني أستطيع وسأرفض أن أقول كلمة القبول عندما أصل إلى هناك.» وحدقت في عينيه الزرقاءين الباردتين مباشرةً، وكانت لا تعيان عن شيء وقالت: «إن كنت لا تريدين أن تسبب الارتباط للكثيرين، فاقتراح أن تأخذ كلامي بالإعتبار.»

حيرتها ردة فعله. إذ لم يحاول أن يؤكّد سلطته فوراً بإلقاءها فعلاً فوق كتفيه، مع أنه بدا، للحظة، كما لو أنه يود

ذلك. كما أنه لم يتاجهـل كلماتها تماماً ويتصـرف كأنـها لم تقل شيئاً. وبـدلـاً من ذلك، أغـمض عـينـيه قـليـلاً، وعـندـما فـتحـهـما مـرة ثـانـيـة، ظـنـتـ أنها شـاهـدتـ الـمـاـفـيـهـماـ وـنـوـعـاـ مـنـ الـيـأسـ الـمـوـلـمـ. إـلاـ أـنـ انـطـبـاعـهـاـ انـحـسـرـ بـسـرـعـةـ وـعـادـتـ نـظـرـاتـهـ الـبـارـدـةـ تـرـمـقـهـاـ.

«أنت صغيرة عنيـدةـ، أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟» قالـ وهوـ يـضعـ يـديـهـ فيـ جـيـبـيهـ وـيـتـرـاجـعـ إـلـىـ الـورـاءـ عـلـىـ عـقـبـيـ قـدـميـهـ.

وقـالـ مـايـكـلـ مـنـ مـكـانـهـ عـلـىـ الـأـرـيـكـةـ: «كـانـتـ دـائـمـاـ كـذـلـكـ تـحـتـ ذـلـكـ القـنـاعـ الـمـرـنـ الطـيـبـ كـمـاـ هـيـ الـآنـ.»

همـمـ سـلـاـيدـ قـائـلـاـ: «إـذـنـ أـصـبـحـ أـدـرـكـ فـحـالـمـاـ تـنـشـبـ مـخـالـبـهـاـ فـيـ مـكـانـ مـعـيـنـ، فـإـنـهـاـ تـحـتـاجـ إـلـىـ كـثـيرـ مـنـ التـهـيـدـ لـتـرـيـلـهـاـ حـتـىـ عـنـدـمـاـ يـكـونـ الـأـمـرـ فـيـ صـالـحـهـاـ إـلـىـ حدـ بـعـيدـ.» تـدـخـلـتـ بـرـوـنـوـيـنـ قـائـلـةـ بـغـضـبـ: «أـرـجـوكـمـاـ أـنـتـمـ الـاثـنـيـنـ أـنـ تـنـوـقـفـاـ عـنـ التـحـدـثـ عـنـيـ كـمـاـ لـوـ كـنـتـ صـمـاءـ تـمـامـاـ. أـفـضـلـ لـكـ، يـاـ سـلـاـيدـ، أـنـ تـلـغـيـ ذـلـكـ الرـزـفـافـ.»

وـهـمـتـ بـالـخـرـوجـ، إـلـاـ أـنـهـاـ وـجـدـتـ نـفـسـهـاـ مـسـمـرـةـ بـعـينـيهـ، كـانـتـ زـرـقاـوـيـنـ وـقـاسـيـتـيـنـ. وـبـدـتـاـ وـكـانـهـماـ كـانـتـاـ تـخـترـقـانـهـاـ. فـقـالـ لـهـاـ بـهـدوـءـ: «الـاسـتـعـطـاءـ لـيـسـ عـادـتـيـ، يـاـ بـرـوـنـوـيـنـ، فـإـنـاـ كـانـ ذـلـكـ مـاـ تـرـيـدـيـنـ. أـخـشـ أـنـكـ سـتـصـابـيـنـ بـخـيـةـ أـمـلـ. لـكـ ذـلـكـ مـاـ لـاـ تـرـيـدـيـنـ، أـلـيـسـ صـحـيـحاـ؟» هـزـتـ رـأـسـهـاـ.

«مـايـكـلـ.» قـالـ سـلـاـيدـ مـنـ فـوـقـ كـتـفـيـهـ. «لـاـ تـزـدـ فـيـ ذـبـبـاتـكـ الـأـخـوـيـةـ، فـإـنـتـيـ وـشـقـيقـتـكـ سـنـدـخـلـ إـلـىـ غـرـفـةـ النـوـمـ.» وـتـنـاـولـ بـرـوـنـوـيـنـ مـنـ ذـرـاعـهـاـ بـرـفقـ وـقـادـهـاـ بـقـوـةـ أـمـامـهـ. «أـرـيدـ أـنـ تـحـدـثـ إـلـيـهـاـ عـلـىـ اـنـفـرـادـ.»

فصرخت برونونين. «مايكلا لا تدعه...»
قال مايكلا: «لا يمكنني أن أفعل شيئاً حيال ذلك، لا
تقلقي، يا برونونين، فلن يلتهمك.»
لم تكن برونونين قلقة من التهامها. اذ لم تكن تعتقد أن
التمام لحم البشر كان إحدى عادات سلайд المولع بها.
«والآن.» قال سلайд وهو يغلق الباب ويتكل على
بذراعيه المطويتين. «أود منك أن تجبيبني، بصدق.»
لم يكن ذلك ما كانت تتوقعه، وسألته بقلق: «ماذا تريد أن
تعرف؟»
«هل تكرهيني؟»
«لا، طبعاً لا.»
«لكنك لا تحبوني؟»

فأنسئت عينيها لأنها لم تتمكن من احتمال تحديقه
الكثيف النافذ، كما أنها لم تتمكن من إيجاد جواب أيضاً.
فإن هي باحت له بالحقيقة فيمكن أن تحملها قوة شخصيته
إلى مذبح الكنيسة.

«إنني أدرك.» قال سلайд بتمهل: «أعتقد أن ذلك يجب
على سؤالي.»

رفعت عينيها ونظرت إليه بدھة فرأت شفتـيـه ملتوـيـتين
بتـلـك الابتسامة الساخـرـة المعـهـودـة.
«ليس ذلك على الاطلاق، أليس كذلك؟» قال بدقة متناهية:
«إن سبب عدم رغبتك في الزواج مني هو شيء وقع قبل زمن
طويل جداً وتعتقدـينـ أنـتـيـ كنت مسؤولاً عنه.»

وازدررتـ رـيقـهاـ. «أـلمـ تـكـنـ؟» سـأـلـتـهـ والأـمـلـ يـنـهـضـ فـيـهاـ
دونـ أنـ تـمـكـنـ مـنـ كـبـتـهـ. إذاـ أـنـكـ نـلـكـ،ـ رـأـيـاـ عـنـدـنـ يـمـكـنـهاـ أـنـ

تنزوجه... حتى ولو لم يكن يحبها بالفعل. فحبها سيكون
كافياً لكليهما.

غير أنه لم ينكر ذلك. وبدلأً من ذلك رفع يده وطوى خصلة
شعر من شعرها وقال بحدة: «أيمكنك الوثوق بي، يا
برونونين؟ لقد شاطرتنـي بيـتيـ وـفـراـشـيـ وـغـرـفـتـيـ منـذـ سنـنـ

عـديدةـ...»

أجل، لقد كانت تعرفـهـ. عـرـفـتـ ذـلـكـ الشـابـ المـتـهـورـ،ـ صـدـيقـ
أخـيهـ،ـ وـحـبـبـيـاهـ هيـ.ـ لـكـ لـوـ مـكـنـ مـسـؤـولـاـ عـنـ مـحـنةـ
جيـنيـ لـكـانـ عـلـيـهـ عـنـدـنـ أـنـ يـقـولـ ذـلـكـ فـقـطـ.ـ وـلـكـنـهـ لـمـ يـشـأـ ذـلـكـ.
«كـلاـ.»ـ قـالـتـ وـهـيـ تـهـزـ رـأـسـهـ وـتـحـدـقـ بـرـبـطـةـ عـنـقـهـ
الـقـرـمـزـيـةـ.ـ «كـيـفـ يـمـكـنـيـ أـنـ أـثـقـ بـكـ،ـ يـاـ سـلـاـيدـ؟ـ إـنـكـ لـاـ تـرـيـدـ أـنـ
تـنـكـرـ مـاـ حـدـثـ.»ـ

وـشـاهـدـتـ صـدـرهـ يـرـتفـعـ تـحـتـ القـمـاشـ الدـاـكـنـ وـقـالـ:
«حـسـنـاـ.»ـ وـكـانـ الـخـشـونـةـ فـيـ صـوـتـهـ تـدـفعـهـ إـلـىـ اـزـدـرـادـ
رـيـقـهـ.ـ «ثـمـ مـاـذـاـلوـ اـعـتـرـفـتـ أـنـتـيـ مـذـنـبـ كـمـاـ اـتـهـمـتـ؟ـ ذـلـكـ حـدـثـ
قـبـلـ زـمـنـ طـوـيلـ.ـ لـقـدـ اـنـتـهـىـ.ـ أـمـاـ الزـوـاجـ مـنـكـ،ـ يـاـ بـرـونـونـينـ،ـ
الـآنـ.»ـ

«لـمـاذـ؟ـ»ـ سـأـلـتـهـ وـهـيـ تـنـظـرـ فـيـ وجـهـهـ مـبـاـشـرـةـ.
«ـيـاـ لـلـسـماءـ،ـ يـاـ اـمـرـأـ،ـ أـلـاـ تـعـرـفـنـ؟ـ»ـ وـاـشـتـدـتـ قـبـضـتـهـ عـلـىـ
شـعـرـهـ وـقـبـضـ عـلـيـهـ وـأـدـارـهـ إـلـىـ وـرـاءـ عـنـقـهـ.
رـطـبـتـ شـفـتـيـهـ،ـ مـاـ دـفـعـ بـسـلـاـيدـ إـلـىـ التـنـفـسـ بـعـمقـ:ـ «إـنـكـ
لـنـ تـقـولـ لـيـ إـنـكـ تـحـبـنـيـ؟ـ»ـ سـأـلـتـهـ وـهـيـ تـفـتـحـ عـيـنـيـهـ وـاسـعـتـيـنـ
جـداـ.ـ

«ـلـاـ،ـ لـنـ أـقـولـ.ـ لـأـنـ قـلـتـ لـيـ مـرـةـ إـنـكـ لـنـ تـصـدـقـيـنـيـ إـذـاـ قـلـتـ
ذـلـكـ.ـ»ـ

كان ذلك صحيحاً. وتنهدت وهي تبحث في وجهه عن شيء لم يكن موجوداً فيه. شيء يمكن أن يجib عن الأسئلة التي رفض الإجابة عنها. لكن لم يكن هناك أي شيء غير فك شرس وأنف معقوف وعينين زرقاويين تلمعان لا تعبر أن عن شيء.

«انتهى كل شيء، يا سلайд». قالت بعد صمت قاطن طويل. «أنا... أنا آسفة. أشكرك تجاه كل... تجاه كل شيء..» وأدت بحركات مبهمة وهي تمشي في الغرفة. «سأنتقل مع مايكل خارجاً لتمكن من استعادة شقتك...» «لن تقومي بأي شيء من هذا القبيل. فمصلحة مايكل تكمن في البقاء حيث هو حتى يتتعافى. وهو بحاجة إليك للإعتماد عليه». وتحول سلайд فجأة إلى وضع جدي الآن.

قالت برونوين بتعباسة: «نعم مايكل بحاجة إلى طبعاً. إلا أنني لا يمكن أن أستمر في قبول ضيافتك بعد...» «يمكنك و يجب ذلك. فمايكل يجب أن يقف على قدميه من جديد في مدة ستة إلى ثمانية أسابيع. ففي إمكانك أن تذهب إلى البيت بعد ذلك... إلى مكان وجودك الصالحة تدريين المحل في ونغلاس..»

قالت برونوين: «لا تسخر، يا سلайд. فلا يمكنني أن أتحمل أكثر من ذلك.» لم تلن ملامحه تماماً، إلا أنه وضع يده وراء رأسها وضغط بوجهها على كتفه. وبعد برهة وضع اصبعه تحت نفقها ورفعه إلى أعلى.

حدقت به دون أن تتبس ببنت شفة. كانت عيناه زرقاويين بصورة لا تصدق. وكانتا تلمعان ببريق غريب. فابتسم لها

ابتسامة واهية. وشد بذراعه حولها قليلاً، ثم قال بصوت أخش: «يمكنك أن تنشب في أظافرك الآن، أيتها الهرة الصغيرة. فلن أزعجك مرة أخرى، إلا لأن الشخص مايكل من فترة إلى أخرى. فهو في يد أمينة.»

أغلق الباب وراءه بإحكام، كأنه عرف أنها بحاجة إلى أن تكون وحدها.

«من أجل السماء، يا برونوين كفى عن الحلم في غرفة الحمام وتعالي النظري إلى السماء، فقد تحولت قرمذية اللون ومحملة و...»

فقالت برونوين: «كذلك الرضوض. ولست أحلم. إنني أمرض.»

«أوه.» همهم مايكل، وأصفع لسعال شقيقته وعجب إذ كان يتبعين عليه أن يقوم بعمل أي شيء وقال: «ماذا وقع؟ لقد سمعت أنك متيمة، لكن...»

«لست متيمة.» قالت برونوين ودخلت الغرفة كان وجهها شاحباً وأردفت: «إنني مريضة.»

«أوه.» قال مايكل مرة ثانية: «هذه هي المرة الثانية اليوم. فهل أصبحت بزكام قوي؟»

«لا أعرف ما بي، غير أنتي أتمنى أن لا أكون قد أصبحت بزكام.» وهرولت متداعية وسقطت جالسة في إحدى الكراسي. «كنت مريضة البارحة أيضاً.»

همهم مايكل وقال: «سأجلب لك كوب شاي، فربما ينبعي عليك أن تستشيري طبيباً.» ووقف وسار ببطء إلى المطبخ. حدقت برونوين وراءه وهي تفكّر كم أصبح أقوى في

الأسابيع الأربع الماضية. فما برح يتتجنب القيام بحركة مباغطة وثقيلة، عندما خرج من المستشفى كان لا يكاد يقوى على السير. وهو الآن يجلب لها قدحاً من الشاي. ويبدو من ناحية أخرى أن صحتها قد تدهورت بصورة ملموسة. وكانت تشعر في اليومين الماضيين بالتعب وبالالم في معدتها. ابتسمت ابتسامة شاحبة. لقد افتقدت وجود سلايد افتقاداً غريباً، وعلى رغم أنها اتخذت القرار الصحيح، فلم تستطع شيئاً حيال الندم على ما تخلت عنه... والأسف أيضاً أنها كانت في لياليها وحيدة ومستوحشة. إلا أنها لم تعتقد أن الحب هو الذي أدى بها إلى تلك الوضع. صحيح أنها كانت حزينة و Yasmeen، ولكن لم تكن مريضة. «إن سلايد سيعرج هذا المساء إلى هنا». قال مايكيل وهو ينالها شيئاً أعده للتو: «ربما يمكنه أن يأخذك إلى طبيب». فأجابـت: «لست بحاجة إلى طبيب».

«بل أنت بحاجة. تلك البشرة الجافة لا تناسبك..» «أظن ذلك». ورشفت رشفة شاي، دون أن تغير اهتماماً ببشرتها. وإذا كان سلايد سيعرج هذا المساء إلى هنا، فيينبغـي عليها أن تستعد للرحيل. إلا أنها لم تشعر في هذه اللحظة أنها على استعداد لذلك. كان في الأسابيع الماضية يقوم بزياراتهما مرات عديدة لمشاهدة مايكيل وللسؤال عما إذا كانوا بحاجة إلى أي شيء. وكانت متأكدة أنه كان مصدر الصناديق الغامضة من الحاجيات التي استمرت في الوصول إليهما، وهو رأي أثبتته السيدة بيكرسلـي التي احتفظت بقائمة كاملة بكل بما تتسلمه.

وفي الأيام التي كانت تتوقع زيارة من سلايد، كانت عادة، تجد الأعذار للخروج. ولكنـه فاجأها في مناسبتين أو ثلاث فلم يكنـ في إمكانها إلا أن تتحمل صحبته. وكانت قد توقـعت أن أي اجتماع يعقد بينهما سيكون مربكاً ومحرجاً إن حدث أن التقىـ فإنـها ستكون هي الملامـة حيـال النتيـجة بصـورة كـاملـة. وكان سـلايد يأخذ حرـيته ويعـاملـها معـاملـة رـاقـية وـمـهـذـبة... وكـانـها لم تـعدـ بالـنـسـبةـ إـلـيـهـ أـكـثـرـ مـنـ شـقـيقـةـ صـدـيقـةـ الفتـوةـ.

شهدـتـ مـرـةـ وـحـيدـةـ سـقوـطـ القـنـاعـ،ـ عـنـدـمـاـ كـانـتـ تـناـولـهـ كـوبـ قـهـوةـ وـتـلـامـسـتـ أـصـابـعـهـماـ،ـ الشـرارـةـ التـيـ تـأـجـجـتـ فـيـ ماـ بـيـنـهـماـ كـانـتـ سـرـيعـةـ وـمـعـناـهاـ وـاضـعـ بـدـتـ عـيـنـاهـ كـانـهـماـ تـظـلـمـانـ،ـ وـظـلـنـتـ أـنـهـارـاتـ فـيـ زـرـقـتـهـماـ العـمـيقـةـ أـسـفـاـ يـمـزـقـهـ ثـمـ تـرـاـخـتـ أـسـارـيرـهـ وـرـاحـ يـبـتـهـذـبـ عـنـدـمـاـ بـادـرـ إـلـىـ شـكـرـهـ.ـ «ـأـلـفـضـلـ لـيـ الخـروـجـ».ـ قـالـتـ بـرـونـوـينـ لـمـاـيـكـلـ الـذـيـ كـانـ يـتـنـمـرـ فـيـماـ هـيـ تـرـتـشـفـ الشـايـ الـذـيـ قـدـمـهـ لـهـ.

أـجـابـهاـ مـنـاقـضاـ قولـهاـ:ـ «ـأـلـفـضـلـ أـنـ تـبـقـىـ هـنـاـ.ـ فـانتـ لـاـ تـبـدـيـنـ بـحـالـةـ جـيـدةـ كـافـيـةـ لـتـمـشـيـ».ـ

وـفـكـرـتـ فـيـ أـنـهـ عـلـىـ صـوـابـ.ـ فـلـمـ تـشـعـرـ بـحـالـةـ جـيـدةـ كـافـيـةـ لـتـمـشـيـ.

وـقـبـلـ أـنـ يـدـخـلـ سـلاـيدـ فـيـ السـاعـةـ الـخـامـسـةـ،ـ كـانـتـ قدـ أـخـذـتـ تـشـعـرـ أـنـهـ أـصـبـحـتـ أـفـضـلـ بـكـثـيرـ مـنـ ذـيـ قـبـلـ.

«ـبـرـونـوـينـ مـرـيـضـةـ».ـ أـنـبـاـ مـاـيـكـلـ سـلاـيدـ لـدـىـ دـخـولـ صـديـقهـ الـبـابـ.ـ «ـإـنـهـ بـحـاجـةـ لـطـبـيـبـ».ـ

«ـلـسـتـ مـرـيـضـةـ،ـ وـلـسـتـ بـحـاجـةـ لـطـبـيـبـ».ـ اـعـتـرـضـتـ بـرـونـوـينـ بـسـرـعةـ.

تجاهلها سلايد وتمشى عبر الغرفة يتحسس جبينها: «لا توجد حرارة.» صرخ بحذر.
 «طبعاً لا. إنني بحالة ممتازة..»
 «كلا، ليست كذلك.» قال مايك. «فقد كانت هذا الصباح تبدو شاحبة شحوباً فظيعاً... وكانت مريضة.»
 همهم سلايد، وتناول الهاتف وطلب رقمأ.
 «ماذا تفعل؟» صرخت به برونوين.

لم يجبها، غير أنها سمعته بعد لحظة يتحدث بصوت مقتضب، وعندما وضع سماعة الهاتف واستدار كان قد حدد موعداً.

«سيراك دكتور سوائل في غضون ساعة..»
 «لكنني لا أريد... لست... سلايد، الأطباء لا يستقبلون المرضى في ساعة متأخرة كهذه. إلا إذا كانوا بحالة سيئة فعلاً.»

«دكتور سوائل يفعل، إذا طلبت منه ذلك.»
 «آه، ولكنني لست بحاجة لطبيب.»

نظر سلايد إلى الساعة وقال بأنه لم يسمعها تتكلم: «سأقلك بسيارتي في مدة خمس وأربعين دقيقة.» واستدار نحو مايك وسأله: «كيف حالك؟ إنني أرى أنك أكثر حرقة هذه الأيام..»

تمددت برونوين في كرسيها إلى الوراء وهي تصر على أسنانها وتعتقد أن سلايد يسيطر على حياتها مرة ثانية، وشعرت ذلك اليوم أنه يمكنها مواجهته.

لم تكن كذلك عندما ألقى نظرة على ساعته وأخذها من كرسيها وحملها إلى الباب كأنها لم تكن أثقل من خبوط

عنكبوت فلم تبد أية حركة إلا قولها بغموض. «لا، انتظر لحظة...» قبل أن ينزلها في المصعد ومن ثم إلى الباب وحملها أمام عيني السيدة بيكرسلي المحملقتين إلى سيارة البورش.

«شكراً للسماء.» قال سلايد: «إنها في مركز قيادتها آمنة وليست في الخارج ترشق سيارتي..»
 ابتسمت برونوين، وشعرت فعلاً لأول مرة منذ أسابيع أنها تحب أن تضحك. ربما كان وجهها شاحباً ومعدتها تؤلمها، إلا أنها كانت آمنة وراضية هنا وذراعاً سلايد تطوقانها.

وضعها برفق في المقعد، وعندما توقف ليغطي ركبتيها بذرئار شعرت أنها عادت في النهاية إلى البيت. ذلك لن يدوم، طبعاً. وكيف يمكن أن يدوم؟ ومع ذلك... كان سلايد لطيفاً، يهتم بها... وكان يضحكها. فهل يمكن أن يكون فعلاً ذلك الذي هجر جيني وولده؟

هزت رأسها. وكان كل ذلك كثيراً عليها حالياً... وكان على كل حال قد توقفا خارج بناية بيضاء مؤلفة من طابقين في شارع غرب برودوبي. حاولت جاهدة أن تخرج من السيارة، لكن سلايد جاء حالاً وفتح لها الباب وحملها وصعد بها الدرج.

كان الدكتور سوائل رجلاً صغير الحجم ذا عينين سوداويين تشبهان عيون جراء الكلاب. وبعد أن أجرى فحصاً لبرونوين وأعلن أنه ليس هناك أي شيء خطير، طوى أصابعه تحت نفقته وسأل بسرعة: «هل هناك أي احتمال في أن تكوني حاملاً؟» وألقى بنظره ثاقبة نحو الباب الذي كان

من خلفه يستطيع أن يسمع طرقات سلايد على ذراع الكرسي وهو ناقد الصبر.

«آه.» قالت برونوين. وتابعت وهي تشعر باللون يفر من وجهها، ردت: «آه، يا دكتور! لا!»

الفصل الثامن

«أفهم.» قال دكتور سوويل وهو يحنّي رأسه: «اعتبر ذلك يعني إيجاباً؟»

«لم يحدث ذلك إلا مرة واحدة.» همست برونوين.

«أخشى أن ذلك كل ما يحتاج له الأمر..»

أجل، كانت تعرف ذلك، ولكن...

«الأفضل أن نجري بعض الفحوصن.» قال الطبيب الذي يؤمن بمواجهة الحقائق. «سأكتب كتاب توصية للعيادة..» وكتب شيئاً بسرعة بينما كانت برونوين تحاول أن تستجمع أفكارها المشتتة.

والآن وقد دون الطبيب كتابه بالفعل، تأكّدت أن الفحوص ستثبت أنه على حق تقريباً. كانت في الأيام الأولى على كل حال، بالطبع، إلا أنها عرفت أن بعض النساء يعانين من عوارض باكرة فعلاً. وشعرت أن صدرها أصبح ثقيلاً مؤخراً على غير عادته...»

وسأل سلايد حالها مارجاً إلى السيارة. «حسن؟ ما هو التشخيص؟»
«لابد أن أجري بعض الفحوصن.» أجابت متكلّمة.

«حسن. سأصطحبك. متى؟ غداً؟»

أحنت رأسها، وانطلقا دون أن يتحدثا بأي شيء آخر، مع أن برونوين كانت تدرك أن عيني سلايد بقيتا تنحرفان تجاهها، كأنه كان يحاول أن يسأل شيئاً ما لكنه كان يتربّد في ذلك.

غادر بعد ما أوصلها إلى البيت، ووعد بالعودة في اليوم التالي.

أمضت ليلة قلقة وهي تترنح أماماً وخلفاً، تارة ساخنة جداً وطوراً باردة جداً، تستمع إلى نقر المطر فوق السطح دون كلل. فتجده صدئ في رأسها. هذا بينما عقلها كان يوقع ذهاباً إياها على الخط نفسه.

كانت في ظروف أخرى ستجد سعادة في الحمل بطفل سلайд، فكرت بحزن. لكن مهما كانت الحال... اغلقت عينيها بشدة.

في النهاية، قد لا يكون ذلك صحيحاً. وربما أصيّبت برشح قوي فعلاً.

لكن عندما استيقظت في الصباح التالي وشعرت بالغثيان لدى استنشاقها قهوة مايكيل، عرفت أنه لم يكن هناك مجال للوهم. وبإضافة إلى ذلك، لقد فكرت بالأمر الآن... راحت تعدد الأيام على أصابعها.

«أجل، كان تماماً كما أوجست.

جلست برونوين إلى مائدة الإفطار وركزت نظرات غائمة على الخبز المحمص الذي أعده لها شقيقها مايكيل القلق.

«لن تغض». أكد لها: «إنني أعرف أنها تبدو لينة قليلاً، ولكن...»

«ليس ذلك. فلا أشعر أنني بحال جيدة تماماً». وكان الأمر صحيحاً في أكثر من مجال. لقد شعرت أنها مريضة جسدياً، بالطبع، لكن لم يكن وضعها العقلي بحالة أفضل.

ماذا يجب أن تفعل بحق السماء.

كانت ما تزال تصارع المشكلة عندما وصل سلайд ليأخذها لإجراء فحوصها الطبية، ولم تكن قد وصلت إلى أي حل عندما أعادها إلى البيت مرة ثانية وأصر على الصعود معها إلى ما كان، شقته الخاصة.

وقالت مؤكدة: «إنني بخير الآن، وأشعر بحالة أفضل بكثير».

فقال: «يجوز ذلك. إلا أنني مازلت أفكّر بأنه يتوجب عليك أن تذهب إلى فراشك».

أجابت دون أن توقف لتفكير: «إنك عنيد». تعمت سلайд شيئاً لم تستطع سماعه. وقال بحدة: «أخشى أن لدى اعتباراتي الخاصة. فاشتهاء الجيف ليس ردئلاً من ردئي، وإنك تبددين الآن بعيدة قدر قدم عن القبر».

«أشكرك على هذه الكلمات المواسية. وفي هذه الحال، لا بد أن صحتي قد تحسنت كثيراً منذ أن أعلن في باديء الأمر أنني توفيت لدى وصولي...» حاولت برونوين أن تتبع كلامها سريعة، لكنها فقدت توازنها وانتهت بين ذراعيه. وصرخت «مايكيل». وهي تنظر حولها طالبة نجدة بقلق.

قال سلайд: «أقدم لك خدمة ممتازة لكونك وقحة. وقد رحل مايكيل لاجراء فحصيه المعتاد، ألا تذكرينه؟»

آه. أجل، طبعاً تذكر ذلك. فقد ذهب بسيارة أجرة وهو يصر أنه يقدر تماماً أن يتذرّب بنفسه أمر الرحلة القصيرة. كانت ذراعاً سلайд ما برحتا تطوقانها، إلا أنه لم يحاول أن يستفيد من ضعفها الحالي. فقال: «تعالي، ينبغي عليك أن تستريحي». وأدارها باتجاه غرفة النوم.

«لا»، صرخت برونوين وهي تحاول أن تقاوم. «سلايد، ليس في أي عيب إبني... إبني...» ووضعت يدها على فمهما. وكانت على وشك أن تقول لا شيء لا يمكن أن تشفيه تسعه شهور.

«كان لا بد أن تتنطق بذلك.» قال سلايد وهو يحول اتجاهه ويساعدها نحو الأريكة.

غضت وهي تسأله: «أقول ماذا؟» «ألم توشكي على القول إنه ليس فيك أي خطب على أن غيابي من حياتك لا يمكن أن يؤدي إلى حالة أفضل؟» «كلام أنا...»

يا إلهي، ما يجب أن تفعل؟ هل تود أن تتزوجه بعد كل هذا؟ وإذا ما أخبرته، هل هو ما يرجو يريد أن ينفذه ذلك؟ إنه لم يتزوج جيني عندما كانت حامل بطفله.

قست ملامحها دون أن تشعر فلم يكن من الصواب أن يتهرب سلايد من مسؤولياته، ليس مرة واحدة فقط، بل مرتين. فقط... لم يكن صواباً أن تتزوج دون حب أيضاً. ووضعت مرفيقيها على ركبتيها وأسندت رأسها بين يديها. وكانت تدرك أن سلايد يجلس إلى جانبيها.

«ما خطبك، يا برونوين؟» سألها وكان صوته خفيفاً وأسرأ، صوت رجل يعني أنه يريد جواباً. كان لا بد أن تطلعه. وكان يحق له أن يعرف. وإن لابنه الحق بأبوته. وعرفت بصورة ما أن سلايد يمكن أن يكون أبواً إذا هو ألقى على عاتقه المسئولية... ولم يكن لشعورها الخاص أية أهمية بعد الآن.

رفعت رأسها دون أن تعرف أنها كانت تحمل تعابير

شهيدة تصعد إلى المشنقة. وقالت بصوت واضح، بصوت يعبر عن حقيقة واقعة: «إنتي انتظار طفل، يا سلايد. ومع إنتي لم أتلقي نتيجة الفحوص حتى الآن، بالطبع، لكن ليس هناك من شك. كنت على صواب عندما أطلقت علي بريئة غبية. والآن سأدفع لقاء غبائي.»

ولم يبُد على وجه سلايد أي شعور، إلا أنها رأت نبضاً ينبع فوق خط فكه تماماً. «إنتي أفهم. هل أنا محق في الافتراض بأن الجزء من الدفع سيكون بالزواج من والد طفلك؟ نظراً إلى حقيقة أنه طلب منك وليس من عادته أن يعود عن كلمته؟»

غضت برونوين بريقيها وهي تحدق في وجهه لم يكن مسروراً. إلا أنه ما برح يود الزواج منها.

قالت بصوت مختلف. «نعم، سأتزوجك، يا سلايد. من أجل الطفل.»

خفض رأسه وقال: «من أجل الطفل. أجل، طبيعي. سأرتب ذلك.»

لا عاطفة ولا إشارة تدل على أنه الرجل الذي ضمها وأحبها لفترة وجيزة ذات ليلة ساحرة لقد بدا الآن مجرد رجل يقوم بإجراءات ترتيبات ملائمة.

ألقت برونوين رأسها مرة ثانية بين يديها وحاولت أن توقف كتفيها من الارتفاع. ظلت وكأنها في حلم، إنها تشعر بسلايد يلمسها. لكن ربما كان ذلك وهما فقط... فقد فقدت في الأسابيع القليلة الماضية كثيراً من الأوهام.

«لا تقليقي.» قال لها بصوت بارد سمعته عبر ضباب من التهاسة: «سأتزوج، ولكن ليس بالمعنى الكامل لهذه الكلمة.

ومع أنه كان هناك حين من الوقت اعتقدت بأننا أنا وأنت...» وتوقف ففكرة هي بأنها سمعته يتنهد، ومن ثم قررت أن لا بد من أن يكون ذلك وهمأً أيضاً. وعندما تكلم مرة أخرى كان صوته أكثر جفاء من أي وقت آخر. «لاتبالي. يمكنك أن تكوني متأكدة من أنني لن أحق بك أي ازعاج.» «از عاج...؟»

رفعت رأسها ونظرت إليه، إلا أنه كان قد سبقها إلى الوقوف على قدميه. «اعتنى بنفسك، يا برونوين.» قال بلطف: «سأدعك تعلمين حالما تستقر الأمور.» وبعد أن ذهب جلست تحدق لمدة طويلة تحت الباب. وبعده دخلت إلى غرفة النوم لتنام في الفراش الكبير وتحدق في السقف.

إذن، وبعد كل شيء، ستتزوج سلايد لشعورها بواجب رئيسى تجاه طفلها. وكان ذلك غريباً بطريقة ما، لأنه هو يتزوج أيضاً لشعوره بالواجب. وقد بدا ذلك في كل خط من خطوط وجهه... كلا. وعبست. ربما لم يكن غريباً بهذا القدر. لقد أصبح سلايد رجلاً الآن، ولم يعد ذلك الشاب غير المبالى الذي كان قبل ثمان سنوات، وكانت هي، من بين كل الناس، مدركة بأنه يستطيع أن يكون لطيفاً ومحترماً ووفياً لاصدقائه. إلا أنه ليس سعيداً بزواجه منها. كان ذلك واضحاً من الطريقة التي قال فيها أنه ليس بالضرورة أن يكون زواجاً حقيقياً.

وضغطت بمقابل أصابعها على عينيها. ألم يعرف أنها تريد زواجاً كاملاً؟ وأن اللحظات التي أنت بها إلى هذا المأزق كانت أسعد لحظات في حياتها تنهدت وحدقت

بالسقف الأبيض العالى. ولو عرف فعلاً، فيبدو أنه لا يكترث بعد الآن.

فتح الباب الخارجي، ودخل مايكل وبدأ يصفر مرحاً. ونهضت لتتأكد له الخبر.

وبعد خمسة أيام كان سلايد وبرونوين قد تزوجا. وكان مايكل، الذي قارب على الشفاء، العراب. أما برونوين، التي لم تعرف أحداً يمكنها الطلب منه أن يقف بجانبها، فكانت شاكرة عندما عرضت سكرتيرة سلايد اللطيفة أن تكون الشاهد الآخر. وقد اتفقا على إجراء احتفال قصير في كنيسة صغيرة في ريتشموند تقع وسط حديقة من الزهور. أو كان سلايد، بالأحرى، هو الذي قرر ذلك، ووافقت برونوين دون أن يكون لها أدنى رغبة في ذلك.

وتردلت عندما أتت اللحظة التي تقول فيها: «أقبل..». ولكنها قالتها في النهاية بهدوء تام. فنظر إليها سلايد ورفع حاجبيه، إلا أن جوابه دوى خارجاً بقوة ووضوح.

وما أن انتهت المراسم مباشرة حتى قدم لعروسه المساعدة على الركوب في سيارة البورش، وشكر مايكل والسكرتيرة اللطيفة وانطلق بسيارته بسرعة فائقة.

«أين نحن ذاهبان؟» سألته برونوين التي لم تكترث أن تسأل من قبل: «إلى منزلي الريفي لليوم أو يومين. أعتقد أن اليونان قد تكون في هذه الظرف مناسبة.» وكان صوته جافاً خالياً من الرغبة. ثم تابع يقول: «رجعت السيدة دويل، التي تعتنى بيمنزلي، من إجازتها، وهي الآن هناك تنظم

الأمور. بالمناسبة، وقبل أن يحين موعد توجهنا إلى المدينة مرة ثانية، يقول مايكل إنه قد يكون ترك شقتي وانتقل إلى شقته الخاصة.»

«نعم.» قالت برونوين وهي تتمى عدم سماع قول ذلك بصورة باردة وخلالية من الاكتراش. «لقد أخبرني هو ذلك أيضاً.»

«وهل أخبرك أيضاً أنه سيعود إلى البيت في وايلز عندما تنتهي محاكمة مهاجمه؟»

فقالت بسرعة: «نعم، ولكن ليقوم ببيع المحل نيابة عني فقط. ولن يبقى هناك.»

«لا تكوني متاكدة كثيراً من ذلك.» وأدار سلайд السيارة بمهارة حول منعطف حاد وأضاف دون مبالغة بادية: «لم يعرف أن برايس باركر توفي إلى أن أخبرته.»

«ألم يكن يعلم؟» قالت برونوين متعجبة من علاقة زوج جيني في أي أمر. «أظن أنني نسيت أن أذكر له ذلك.»

همهم سلайд وقال: «أعتقد ذلك.» واستدارت تنظر إليه، إلا أن منظر وجهه الجانبي المحير لم يعبر عن أي شيء، وبدا أنه يركز نظراته على الطريق.

بعد ساعتين، بعد نزهة جميلة تخللتها إشارات مهذبة إلى شروع الشمس وسهول الريف وإمكانية تساقط المطر، توقفا في نهاية أحد المعابر حيث كان يقوم بيت على طراز بيوت أصحاب المزارع الكبيرة في وسط غابة من الأشجار. وكانت تمتد أمامه أرض خضراء، وبدا البيت واسعاً ومريحاً وباهظ التكاليف، كان صاحبه تكبد متابع جمة من أجل أن يجعل محبيه متناسباً.

سأله سلайд عرضياً عندما وقع بصره على وجهها المدهوش: «هل يعجبك؟»

«نعم، إنه جميل. توقعت شيئاً... مختلفاً.»

«قصر قوطى ضخم، كما أظن، بسلال وقلاء وأشباح ومرارات خفية وحدائق بورود مهملة أطمر فيها كل من يشك.»

«ربما.» قالت برونوين بقلق وقد أزعجها تهكمه كما أنها كانت أيضاً متاثرة فلم تفكر بجواب حاد.

«بيت لائق في مكانه، دون شك، إلا أنه ليس حسب ذوقى..» وتوقف سلайд، ثم قال: «إضافة إلى ذلك أفضل الزهور البرية على الورود..»

«والنساء البريات.» قالت برونوين، وتمنت بسرعة لو أنها فكرت بابتلاع لسانها.

«كذلك لائقات في مكانهن.» قال سلайд موافقاً بجفاء. أجبرت برونوين نفسها على لا ترفسه على ساقه، ومن ثم أخذها العجب مما إذا كان يجب أن تفعل ذلك. كان سيرد الضريبة، طبعاً، ولكن أي شيء كان أفضل من السلوك البارد الذي عاملها به منذ اللحظة التي أخبرته فيها عن الطفل.

فتحت السيدة دويل الباب الأمامي. وكانت امرأة ضخمة ذات وجه قرمزي ترتدي رداءً رياضياً جعلها تبدو امرأة محبوبة، ولكن بطيئة الحركة.

«استقبلتهما بوجه باش مرحبة: أهلاً بالزوجين السعيدين.» قالت بصوت خافت ملوءة الدهشة: «لقد حان الوقت ليقوم شخص ما بحمل هذا الوغد الشاب على أن يكون رجلاً شريفاً.»

وَغَدْ شَاب؟ أَلْقَتْ بِرُونُوينِ نَظِيرَةً سَرِيعَةً عَلَى سَلَايِدِ وِبِنْلَتْ جَهْدًا مُوفَقًا لِكِي لَا تَخْتَنِق. لَمْ تَطْرُفْ لَهُ عَيْنَهُ، «لَا تَظْنَ بِرُونُوينِ أَنْتِي رَجُلٌ شَرِيفٌ أَبْدًا». قَالَ لِلْسَّيْدَةِ دَوِيلِ مُتَثَاقِلَةً، نَظَارًا لِضَخَامَتِهَا، لِتَحْدِقَ بِالْعَرُوسِ وَقَالَتْ بَعْدَ بِرَهَةٍ: «لَا أَصْدِقُ أَنْ فَتَاهَ عَقْلَهَا سَلِيمٌ يُمْكِنُ أَنْ تَزْوِجْ شَيْطَانًا شَابًا مِثْكَ إِذَا لَمْ تَكُنْ تَقْنَقْ بِهِ. يُمْكِنُكَ أَنْ تَقْنَقْ مِنْ ذَلِكَ».

أَحْسَتْ بِرُونُوينِ بِوْجَهِهَا يَحْمِنَ وَقَالَتْ: «إِنْ سَلَايِدَ غَيْرَ مُقْتَنِعٌ أَنْتِي بِعَقْلِ سَلِيمٍ، عَلَى كُلِّ حَالٍ». قَالَتْ ذَلِكَ وَهِيَ تَتَصَوَّرُ إِذَا كَانَتِ السَّيْدَةِ دَوِيلِ تَلِكَ الْمَرْأَةُ الْذَّكِيَّةُ دَائِمًا. كَانَتْ ذَكِيَّةً. «إِذْنَ فَهُوَ مُخْبُولٌ. وَكَنْتُ أَشْكُ فِي ذَلِكَ دَائِمًا. فَلَا يَأْسٌ، فَهُوَ يَدْفَعُ أَجْرِي». قَالَتْ ذَلِكَ وَهِيَ تَمْنَحُ سَلَايِدَ ابْتِسَامَةً رَقِيقَةً: «تَفْضِلًا وَأَدْخِلَا إِلَيْنَا. لَقَدْ اعْدَتْ لَكُمَا فِي غَرْفَةِ الْفَطُورِ عَشَاءً خَفِيفًا. فَقَدْ تَصَوَّرْتُ أَنَّكُمَا تَوَدَّانُ أَنْ تَكُونَا مُنْفَرَدَيْنِ». وَاسْتَدَارَتْ وَنَزَّلَتْ تَتَهَاوِي فِي رَوَاقِ قَصِيرٍ، تَارِكَةً بِرُونُوينِ وَسَلَايِدَ لِيَدْخُلَا وَرَاءَهَا.

دَهْشَتْ بِرُونُوينِ لِقَاعَةِ الْطَّعَامِ غَيْرِ المَكْتَفِلَةِ بِالْفَرْشِ التَّيِّنِ تَشَرَّفَ عَلَى فَسْحَةٍ تَنْبَتْ فِيهَا الزَّهُورُ وَشَاهِدَتْ، كَمَا نَكَرَتْ السَّيْدَةِ دَوِيلِ، عَشَاءً بَارِدًا يَنْتَظِرُهُمَا عَلَى الْمَائِدَةِ. «سَائِرَكُمَا إِذْنَ يَا عَصْفُوريِّي الْحُبِّ لِتَتَناوِلاُ الْطَّعَامَ، فَلَنْ تَحْتَاجَا أَيِّ شَيْءٍ آخِرٍ». وَكَانَ مَا قَالَتْهُ بِلَاغْلًا وَلَيْسَ سُؤَالًا. صَدَرَ عَنْ سَلَايِدِ وَهُوَ يَجْلِسُ إِلَى الْمَائِدَةِ حَرْكَاتٍ بَعْدَ أَنْ رَحَلَتْ وَقَالَ بِخَفْفَةٍ: «الْأَفْضَلُ أَنْ نَعْمَلْ كَمَا أَشَارَتْ، فَالسَّيْدَةِ

دَوِيلِ لَا تَسْجُمُ مَعَ دُمْ اطَّاعَةِ الْتَّعْلِيمَاتِ، وَسَأَجْلِبُ حَوَائِجَنَا فِي مَا بَعْدِهِ».

جَلَسَتْ بِرُونُوينِ، الَّتِي كَانَتْ مَا بَرَحَتْ تَرْتَديِ مَلَابِسَهَا ذَاتِ الْلَّوْنِ الْقَسْدِيِّ وَالْذَّهَبِيِّ وَهِيَ فِي رِبِّيَّةِ مِنْ أَمْرَهَا وَقَالَتْ: «لَا أَعْتَدُ أَنْكَ فَعَلْتَ مَا أَبْلَغْتَ بِهِ تَمَامًا. يَبْدُو أَنَّ السَّيْدَةِ دَوِيلِ امْرَأَةٌ طَيِّبَةٌ، لَكِنْ لَيْسَ... لَيْسَ عَلَى غَرَارِكَ تَمَامًا».

ابْتَسَمَ سَلَايِدُ قَلِيلًا وَقَالَ: «إِنَّهَا عَلَى غَرَارِي تَمَامًا. فَهِيَ طَاهِيَّةٌ مُمْتَازَةٌ، لَا تَقْيِيمُ الدِّينَا وَتَقْعِدُهَا حِيَالَ تَنْظِيفِ الْأَشْيَاءِ بِعُدِيِّ وَتَعْبُرُ عَنْ فَكْرِهَا بِحُرْبِيَّةٍ، وَإِذَا قَالَتْ إِنَّهَا سَتَفْعَلُ شَيْئًا مَا فِي إِنَّهَا تَقْنَدُهُ. أَتَمْتَنِي لَوْ كَانَ بِإِمْكَانِي أَنْ أَقُولَ الشَّيْءَ نَفْسِهِ عَنْ جَمِيعِ الْمَوْظِفِينَ لِدِيِّ». وَنَأَوَلَهَا الْمَلْحُ وَالْبَهَارُ. «عَيْبُهَا الْوَحِيدُ هُوَ ذُوقُهَا فِي الْلَّبَاسِ الرِّياضِيِّ، الَّذِي لَا يَحْتَمِلُهُ النَّظَرُ».

أَطْلَقَتْ بِرُونُوينِ ضَحْكَةً خَافِتَةً. وَشَعَرَتْ بِالْتَّوْتَرِ وَعَدَمِ الْأَرْتِيَاخِ، كَمَا كَانَتْ طَبِيلَةُ النَّهَارِ، إِلَّا أَنَّهَا تَسْتَطِعُ أَنْ تَتَدَبَّرَ أَمْرَ سَلَايِدِ الْلَّاهِيِّ وَالْمَتَسَامِحِ. فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الْغَرِيبُ الْبَارِدُ الَّذِي دَفَعَهَا إِلَى الْانْفِجَارِ بِسَذَاجَةِ.

وَاسْتَمَرَ فِي الْحَدِيثِ بِالْطَّرِيقَةِ السَّطْحِيَّةِ الْخَفِيفَةِ نَفْسِهَا وَهِمَا يَتَنَاهَا لَانَ الطَّعَامِ الْمُمْتَازِ الَّذِي كَانَتْ قَدْ أَعْدَتْهُ السَّيْدَةِ دَوِيلِ. وَسَرَعَانَ مَا اَنْتَهَيَا مِنْ تَنَاهُلِ الْقَهْوَةِ وَوَضْعِ فَنْجَانِهِ قَائِلًا إِنَّهُ ذَاهِبٌ لِيَأْتِي بِحَوَائِجَهَا مِنَ السَّيَارَةِ.

«سَأَسْاعِدُكِ». قَالَتْ بِرُونُوينِ.

«كَلا، لَنْ تَسْاعِدِينِي. إِنْ إِبْنِي وَوَرِيَثِي لَنْ يَحْبُّ ذَلِكَ». طَسَتْ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ مِنْ سَرْعَةِ الْعَطْبِ! قَالَتْ بِتَعْجِبٍ: «فَلَمْ أَكُنْ مُنْحَرِفَةِ الصَّحَّةِ أَبْدًا الْيَوْمَ. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ هُوَ... هُي... يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ ابْنَةً». وَحَدَّقَتْ مُتَعْبَةً فِي طَبْقَهَا

الفارغ، لأنها المرة الأولى منذ أن أخبرته عن الطفل يتطرق سلайд إلى الموضوع من جديد.
«في هذه الحال، أمل أن تتسم ببقع النمش التي تتسمين بها.» أجابها مفاجئاً.

نظرت إليه في الحال، إلا أنه كان قد خرج من الباب.
وعندما رجع خالي اليدين عرفت أن الحوائج قد أحضرت بأمان. هز برأسه مشيرةً أن عليها أن تتبعه، وسارا في ممر عريض ذي نوافذ تمتد من الأرض إلى السقف على طول جدار واحد. وكان في الخارج فسحة معشوشة تنحدر نحو مجرى ماء صغير يفصل بين الحديقة وحرج بري من شجيرات غير مشدبة وأعشاب.

دخل سلайд وتوقف في غرفة نوم واسعة مبنية باثاث صنوبرى. وكانت أرضها اللامعة مفروشة بسجاد مرقط باللون الأخضر الذي يفضله سلайд.
«هل تعجبك هذه؟ أو توبيخ أن تشاهدى الغرف الأخرى أولاً؟»

نظرت برونوين إلى السرير المزدوج المرح الذي تغطيه الأغطية الخضراء ثم نحو سلайд. «تبعد كأنك صاحب فندق رخيص ألقى مؤقتاً بالفنران جانباً.» قالت ذلك بغموض: «نعم، تعجبني الغرفة تماماً.»
حنى رأسه متوجهلاً سخريتها وقال: «هذا حسن، غرفتي تقع تحت القاعة تماماً.»

«أوه، لكن...»

«من أجل الطفل، أعتقد أنت قلت.» قال هذا وكانت ملامحه لا تنم عن أي شيء.

«نعم، طبعاً. إلا...»

«أنت حتماً لا تريدين أكثر من أب لطفلك؟» سألها بمرارة:
«لا سيما شخص لا تثقين به بصورة خاصة.»
«إنني أثق بك فعلاً.» قالت بهدوء وهي تحدق بخط فكه القاسي.

إنه لم يضحك. كان ذلك صحيحاً. إنها تثق به. وما حدث في الماضي لم يعدل له أية أهمية الآن.
«أحقاً؟ ولوى شفته بشكل لم يعجبها. «ولكنك ما زلت لا تفكرين كثيراً بأخلاقي.»

«لا أعرف.» ونظرت في أنحاء غرفة النوم قاطنة تبحث عن مؤازرة لم تجدها. ووقع نظرها على لوحة فنان رسم فيها ساقية بعيداً عن الحديقة. كان منظرها يبعث على الطمأنينة والسلام واستقرت عيناهما على المياه الزرقاء الباردة.

«لا تعرفين.» كرر سلайд قوله: «أجل، أظن أن ذلك تقدم.» وبدا قلقاً فجأة ثم قال: «نامي جيداً، يا عزيزتي. ولمس بيده وجنتها.»
حفت رأسها وقالت: «سأحاول.» قال: «طاب مساواك، يا برونوين.»

لم يكن الوقت قد تجاوز بعد التاسعة مساءً، وكان باكراً جداً للذهاب إلى النوم. فجلست على كرسي كبير مريح قرب النافذة وراحت تحدق بمجموعة من الزهور تتمايل برقة مع النسيم.

إذاً هكذا سوف تمضي ليلة زفافها. ما السبب؟ لم تصدق أن سلайд لم يعد يريدها. ربما لم يكن يحبها، إلا أنه كان

رجلًا نشطاً وبصحة جيدة، وكان منذ وقت قليل يريدها كثيراً. والآن هما متزوجان. فما السبب الذي حدا به ليصر على هذه البدعة السخيفة لشهر العسل؟ هل كانت كبرياً وله لأنها قالت له ذات مرة إنها لا يمكن أن تثق به؟ أو لأنه تصور أنه يقدم لها خدمة؟ فمهما كان ذلك، لا علاقة له في رفضها. إلا أنه كان في المدة الأخيرة بارداً جداً... قطبت حاجبيها ووقفت بسرعة وهي تشعر بحاجة ملحة للهواء.

كان المساء دافئاً يفوح منه الشذا، وكان العشب تحت قدميها العاريتين بارداً وناعماً. وعندما بلغت الساقية جلست دون أن تكترث بالأوساخ التي لطخت فستانها. جلست هناك لمدة طويلة تحدق بالمياه المتقرقة، وعندما سمعت وراءها وقع أقدام قفزت واقفة. «ستصابين بالبرد.» قال لها سلайд بصوت خافت رنان. قالت وقد ملأتها المشاعر. لكن الوضع كان كله سخيفاً، وأدركت فجأة. إنها سبب ما يحدث. «أوه.. كنت أفكـر.» قالت ذلك وهي تتناول نراعه وتسير عائدة إلى البيت برفقته. «بماذا كنت تفكـرـين؟» سـألـها بصوت متـعبـ إنـماـ حالـ من البرود.

تنفسـتـ بـعمـقـ وأـجاـبتـ: «ـبـنـاـ نـحـنـ الـاثـنـيـنـ وـأنـ هـذـهـ اللـيلـةـ هيـ لـيلـةـ زـفـافـنـاـ. لاـ أـشـعـرـ أـنـنـيـ مـرـيـضـةـ، ياـ سـلـايـدـ، وـلاـ أـوـدـ أـنـ أـمـضـيـ اللـيلـةـ وـحـيدـةـ.» «ـكـلاـ، لاـ أـعـقـدـ ذـلـكـ. فـيـ الـوـاقـعـ، وـأـنـاـ لـاـ أـوـدـ ذـلـكـ.» توقفـتـ عنـ مـاتـابـعـةـ سـيرـهـاـ وـسـأـلـهـ: «ـإـذـنـ لـمـازـاـ؟ـ» «ـلـأـنـكـ لـسـتـ مـسـتـعـدـةـ أـنـ تـرـضـيـ بـيـ كـمـاـ أـنـاـ. وـلـاـ أـعـقـدـ حـتـىـ

أنك تعرفين من وما أنا. عندما... إذا... أنت إذن...» وهز بكتفيه. «عندئـلـ سـنـرـىـ.»

أرادت أن تقول: «أقبل بك فعلاً، وأعرف من وما أنت، وأحبك برغم ذلك.» لكنها لم تقو على قول ذلك، لأن سلайд كان يقدمها في السير، وبـداـرـةـ أـخـرـىـ، غـرـيبـاـ بـارـدـاـ خـالـيـاـ منـ المشـاعـرـ، وـلـيـسـ زـوـجـاـ يـتـوقـ إـلـىـ عـرـوـسـهـ.

وعندما بلغا البيت، تناولت يده مـرةـ ثـانـيـةـ، آمـلـةـ أـنـ تـبعـثـ لـمـسـتـهـ بـالـرـسـالـةـ الـتـيـ لمـ تـعـبـرـ عـنـهـ. إـلـاـ أـنـهـ أـرـخـيـ يـدـهـ، وـعـرـفـتـ أـنـهـ إـنـ لـمـ تـوـقـفـهـ فـسـيـخـلـ غـرـفـتـهـ وـيـغـلـقـ الـبـابـ بـوـجـهـهـاـ.

«ـسـلـايـدـ.» نـادـهـ وـالـغـصـةـ تـكـادـ تـخـفـقـهـاـ. «ـأـقـبـلـ بـكـ فـعـلـاـ.» فـمـاـ فـعـلـتـ...ـ لـاـ يـهـ...ـ

ارتـفـعـ حـاجـبـاهـ، وـرـدـ: «ـمـاـ فـعـلـتـ؟ـ»

«ـأـعـنـيـ أـنـكـ لـمـ تـنـزـوـجـ جـيـنـيـ...ـ»

«ـعـدـمـ زـوـاجـيـ بـأـمـ طـفـلـيـ لـاـ يـهـ؟ـ إـنـكـ تـفـاجـئـنـيـ، يـاـ بـرـونـوـينـ.»

كـانـتـ تـكـرـهـ تـلـكـ الـحـدـةـ الـقـارـصـةـ فـيـ صـوـتـهـ، تـلـكـ الطـرـيـقـةـ الـتـيـ يـنـظـرـ بـهـاـ نـحـوـهـاـ...ـ كـلـهـاـ بـرـودـ وـتـشـامـخـ وـسـخـرـيـةـ.ـ وـكـانـ بـوـدـهـاـ لـوـ أـنـهـاـ كـرـهـتـ كـلـ شـيـءـ عـنـهـ فـيـ تـلـكـ الـلـحظـةـ،ـ لـوـ أـنـهـاـ فـقـطـلـمـ تـكـنـ تـعـشـقـهـ إـلـىـ هـذـاـ الـحـدـ.

وـتـابـعـتـ بـشـجـاعـةـ: «ـأـعـنـيـ أـنـهـ يـمـكـنـنـيـ أـنـ أـقـبـلـ الـآنـ أـنـ مـاـ وـقـعـ فـيـ الـمـاضـيـ قـدـ اـنـتـهـيـ.ـ وـقـدـ قـلـتـ ذـلـكـ بـنـفـسـكـ.ـ وـنـحنـ مـتـزـوـجـانـ الـآنـ،ـ وـسـأـنـجـبـ لـكـ طـفـلـاـ.ـ أـلـاـ نـسـتـطـيعـ...ـ أـلـاـ نـسـتـطـيعـ أـنـ بـدـأـ مـنـ جـدـيدـ،ـ يـاـ سـلـايـدـ،ـ وـنـعـمـ عـلـىـ إـنـمـاءـ شـيـءـ جـمـيلـ بـدـلـاـ مـنـ كـلـ هـذـهـ التـصـرـفـاتـ السـيـئـةـ؟ـ»

«أنت تعنين، على ما أظن، أنك تصفحين عنِّي.» قال سلайд ببرود لاذع.

لماذا بدا غاضباً بهذا الشكل؟ كأنها هي التي كانت بحاجة إلى غفران؟

«أجل، أصفح فعلاً.» أجبت وهي تعرف أنها كانت تتقول شيئاً خطأ. «واليآن يأخذني العجب، ربما لا يمكنك أنْتَ أنْ تصفح عنِّي من أجل... حسناً، انتي أصفح عنك.»

أطلق ضحكة قصيرة حاقدة لم تكن ضحكة على الإطلاق. وقال برفض: «أيتها العالمة النفسية، لا تحاولي تحليل شخصيتي، يا برونوين..»

«لا أود ذلك.» قالت وهي تتحقق ب بشيء من القنوط: «أود أنْ أحبك فقط. أعرف... أعرف أنْك لست الرجل نفسه الذي كنت أعرفه قبل ثمان سنوات..»

«أنا الرجل نفسه تماماً.» قال بسرعة خاطفة: «كبرت قليلاً ولكن أصبحت على قدر كبير من الحكمة... إنما لا شيء مهمٌ حيالي قد تغير..»

هزت برونوين رأسها، دون أن تظاهر بالفهم، ومرة أخرى استدار سلайд عنها.

امسكت بذراعه تشدها وهي ترغمه على النظر إليها... .

وعندما نظر وشاهدت عينيه، تمنت لو أنها تركته يذهب.

كانت عيناه فارغتين، خاليتين من أي تعبير إنساني.

وشعرت كأن طوقاً لفَ حول رقبتها يكاد يودي بإنفاسها.

فرفعت يدها ووضعتها على وجنته المجلدة بقنوط.

أغمض عينيه، فتحركت موجة خفيفة من العاطفة تحت قناع وجهه الخالي من التعبير.

وراحت برونونين تطوق عنقه بذراعيها ببطء شديد. ظل واقفاً، متيناً لأصابعها مداعبة أعصاب عنقه المشدود وفكه... .

أحنى رأسه عندئذ وشدها إليه، وراح يعانقها مما دفعها إلى الصراخ وجسدها يتجاوب بفجأة معه.

ازداد التجاوب عمقاً فتمت: «برونونين.» وراح يقودها تجاه غرفته، ولكن عندما مدت يدها من ورائه لتمسك مقبض الباب، ولم تجده، رفع رأسه مرة ثانية ووقف ينظر في عينيها.

حتى وهي ترقبه، كان الشوق قد اختفى من عينيه. «لا.» قال بخشونة وهو يبعدها عنه: «آسف، يا برونوين، كان يجب ألا أدعك تلمسيني..»

«تدعني... يا سلайд، عمَّ تتكلّم؟ هل... هل نسيت أنتي زوجتك؟»

«لم أنسَ.» تكلم بقنوط قاس فسمعته برونونين وعرفت أنها خسرت.

ورفضت لبرهة أن تقبل ما كان قلبها يخبرها. حدقت به وهي تأمل أن تكون على خطأ. إلا أنها لم تكن مخطئة. كان يتسم بشيء من القساوة، لم تعرف كيف تتغلب عليها.

وشعرت تقول: «سلайд...» ثم توقفت. وكادت تستسلم عندئذ لو لم تدخل السيدة دويل بثوب قرمزي، ولم تكُن تدخل ممر القاعة حتى توقفت وغمضت بصورة مقيتة. «هه، الأصداد تتلاقى عندما لا يمكن العروسان من بلوغ غرفة النوم دون عراك.» ومرت بجانبها ودخلت غرفتها وهي ما زالت تتهم.

حدق سلайд وراءها ومسح جبينه براحته وقال: «إنها على حق، لا أود أن أتشاجر معك، يا برونوين.»
«كذلك أنا.»

حنى رأسه. «أعرف. إذن أرجوك، اذهب إلى غرفتك فقط.» والتوت شفاته ألمًا وقال: «ونامي جيداً.» وأدارت له ظهرها، غير قادرة على تحمله أكثر من هذا. «نعم. إنني ذاهبة لأنام الآن.» قالت بهدوء وهي تسير بخطى مترافقية عبر القاعة إلى غرفة نومها المنفردة. في الأيام الماضية كان يسألها، وفكرت بقنوط أنه إذا كانت تود مرافقتة، لكنها عرفت أنه لن يسألها الليلة، لم يكن راغبًا، وكانت ليلة زفافها طويلة وموحشة وهي تشعر بالوحدة.

لم يسألها، وبقيت طيلة الليل قلقة ووحيدة. وتساءلت إذا كانت ليلته هو كذلك، لكن، وهي تستعيد رفضه القارص للحب الذي عرضته عليه، ظلت أنه لا بد أن يكون نائمًا نوماً عميقاً.

غضت على شفتها. وغضت بريقها أنها ترفض أن تتبع لدموعها الجريان.

كانت الأيام القليلة التالية طويلة. يملؤها وجود سلайд، ولكن ما زالت تشعر بالوحدة بصورة لا تطاق. بقي معها معظم الأوقات، حريصاً على أن تتناول طعامها بانتظام وتأكل جيداً، وتشغل وقتها بالكتب والموسيقى وعندما كانت تود أن تسبح في المسبح الكبير أو تتنزه في الريف كان يرافقها. وأظهر معرفة بعلم النبات أدهشتها، ولكن لا

شيء على الإطلاق بالنسبة لنفسه. إلا أنه كان يحترمها ويقدرها بطريقه لم تعرفها منه خلال الأيام الماضية في شقتها، وافتقدت ذلك الرجل الذي كان غالباً يدفعها إلى الضحك بقدر ما كان يدفعها إلى لطمها.

«ما دهاكم أنتما الاثنين؟ لم أر بحياتي مثلهما.» استهلت السيدة دويل، التي كانت ترتدي بزة رياضية زيتونية اللون مطرزة بلون قرمزي،

كان الكلام مع برونوين في غرفة تناول الفطور بعد أن صعد سلайд الطابق الثاني ليستحمل.

«مثل ماذا، يا سيدة دويل؟» قالت برونوين، وهي ما زالت تجد في بلاغة مدبرة شؤون المنزل قليلاً من الازعاج، لكنها كانت قد بدأت تقدرها.

«شهر عسل.» قالت السيدة دويل بإقتضاب: «وغرف نوم منفردة. ذلك غريب.»

ولما كانت برونوين توافقها بكل قلبها، لم تجد أي جدوى في الجدل معها.

«أعرف، أعتقد ذلك أيضاً.»

هذت مدبرة المنزل رأسها وقالت: «إذن لا ترفعي له يديك. إن زوجك مجنون بحبك، وذلك واضح كأنفه المستقيم في وجهه تماماً.»

«أوه، لا.» قالت برونوين بسرعة: «لا أعتقد أنه كذلك. هو يقول... إنني أكاد لا أعرفه.»

هممت السيدة دويل وردت: «وهل أنت تعرفيته؟»
«حسناً، أنا...» وحدقت برونوين بصورة السيدة دويل التي تقف مشرفة فوقها. يجوز، يجوز فقط، من هذا المصدر

غير العرج... ووضعت يدأ فوق عينيها واسترسلت في التفكير لمدة طويلة.

«نعم.» قالت في النهاية. «نعم، يا سيدة دويل، أعتقد أنني أعرفه. اعذرني. لدى... لدى شيء يجب أن أقوم بعمله.» «أظن ذلك.» قالت السيدة دويل وأدارت لها ظهرها. «لقد حان الوقت.»

ما كانت برونونين تود أن تقوم بعمله ربما ليس ما تفكر به مدبرة شؤون المنزل. لا بد أن تفكر أولاً. بصورة جدية. فهرعت إلى غرفتها الوحيدة وألقت بنفسها فوق كرسي. ورويداً، وهي تنتظر عبر النافذة إلى الورود، وقعت أنظارها على مكان يشبه رموز الموسيقى... فمنحتها تلك المعرفة التي كانت تنمو معها لمدة أسبوع، دون أن تدركها، منحتها في النهاية الجواب الذي كانت بحاجة إليه. من الجائز أن يكون سلайд متغطساً وعديم الرحمة، ومعتاداً على سلوك طريقه... إلا أنه لم يكن أناانياً وغير مسؤول. بخلاف ذلك، كان شريفاً معتداً برأيه. وكان صليباً في رأيه وفي جسده. الخلاصة، كان رجلاً غير قادر على هجر والدة طفله. لكن الاشاعات كانت على ذلك الشكل. الاشاعات. من المحتمل أن يكون سلайд والد بوبى الصغير.

حدقت بالورود الصفراء بعينين باللتئما الدموع. فلا عجب إن كان بعيداً جداً. ولا عجب أيضاً أنه كان مشمطاً من إقامة علاقة مع امرأة فكرت بأنه كان مذنبًا بفعله يجدها شائنة. ولا عجب أنه تزوجها على كل حال، على رغم تدني ثقتها فيه. كان ينبغي أن تفهم أي نوع من الرجال هو،

عندما أخبرها أن فاليري لها زوج، وكيف كان يفضل أن تكون نساؤه غير مرتبطات.

لوت حزام ثوبها الحريري الجديد وهي تدرك وجود سؤال ضخم لم يحظ بجواب. فإذا لم يكن سلайд والد بوبى، فما كان سبب رفضه أن يقول هذا مباشرة؟ وما كان سبب التزامه الصمت؟

وبعد فترة، فيما الورود الصفراء تتمايل مع النسيم، عرفت أنه يمكن أن يكون هناك جواب واحد فقط. الإخلاص. الإخلاص لشخص كان يهمه، لشخص لم يكن يريد له أن يصاب بأذى...

عرفت الآن من الذي تبني أبوة طفل جيني. ربما عرفت في أعماق نفسها ذلك منذ وقت طويل... لذلك كانت مستعدة لإتهام سلайд.

أغمضت عينيها وأطلقت صرخة ألم خافتة.

الفصل التاسع

ذهبت برونوين تبحث عن سلайд، لكنها لم تتمكن من العثور عليه.

«لقد غادر في سيارة السباق. قالت السيدة دويل، التي غيرت ثوبها ببيزة رياضية صفراء. وقال إن لديه عملاً يجب أن يعني به، لكنه بدا لي كأنه كان يبحث عن شخص ما ليركله». وكعادتها، لم تهتم مدبرة شؤون المنزل أن توضح كلامها.

قالت برونوين. «آه، هل قال متى يعود؟»
«اتي وقت الغداء. وأفهمني أن عروسه ستكون بحالة أفضل إذا بقي بعيداً.»

لم تعتقد برونوين ذلك. كانت بحاجة ماسة لأن تتحدث إليه، مهما يكن مزاجه. لكنها لم تكن قادرة على فعل أي شيء، باستثناء أن تكلم ربما مايكيل هاتفياً.

تناولت الهاتف في غرفة الشمس التي تشرف على الحديقة.

«هالو.» كان صوت مايكيل واضحاً وصحيحاً ومبتهجاً.
«برونوين تتكلم.»

«مرحباً، تبدين وكأنك تختنقين أين سلайд؟»
«انه لا يختنقني. وكما قالت السيدة دويل، خرج يبحث عن شخص يريد ركله.»

«هم؟» وبدا صوت مايكيل دهشاً. «ما الأمر يا برون؟»

لفت شريط الهاتف ونادت: «مايكيل...»
«نعم؟ انتقلي..»

ربطت برونوين شفتيها اللتين كانتا جافتين بصورة غير اعتيادية وقالت: «مايكيل، هل أنت... هل أنت والد بوببي باركر؟» وعرفت أنها كانت تدق كالضفدعه. إلا أنها استطاعت أن تتنطق بالكلمات.

أجاب مايكيل بأسرع مما كانت تتوقع: «نعم، نعم، أنا والده، يا برون. أعتقد أنك ربما كنت تعرفيين. فهل أخبرتك جيتي؟»
وارتحت إزاء الجدار وقالت: «لا، لم يخبرني أحد. لقد تصورت ذلك بنفسي. كنت... كنت أعتقد أن سلайд كان دائمًا والد الطفل. وكان الجميع يعتقد كذلك.»
سمعت مايكيل يتنهد بشدة.

هتف مايكيل بتعجب: «سلайд! لماذا سلайд؟ يا للجحيم، يا برون، كان الرجل على وشك أن يسلخ فروة رأسه عندما عرف. أكره الإقرار بذلك، لكن سلайд لا يورط جيني بتلك الورطة، إن لم يكن متاكداً من قدرته على الزواج منها.»

«أعرف. وكان ينبغي أن أدرك ذلك.» قالت برونوين.
توقف الإثنان عن الحديث برهة جمعاً خلالها أفكارهما، وسمعت بعدها صوت مايكيل يتحدث إليها بشيء من الحياة:
«هل كانت تلك المشكلة بينك وبين سلайд، يا برون؟ لم أعرف. إنما ما أعرفه هو أنني تركت بونتغلاس بسرعة جهنمية، دون أن أطلع أحداً على السبب، إلا أن ذلك كان لأنني لم أود أن أؤذي والدتي. وكنت أمل ألا تكتشف ذلك،

ولم أتصور أبداً أن أحداً يمكنه أن يعتقد... أي، لم أقصد...»
«كلا، لم تقصد مطلقاً.» قالت برونوين بصوت خافت.
«لكن كيف يمكنني تصحيح ذلك؟» اعترض مايكل. «إنك لم
تخبريني.»

ردت برونوين بحدة: «كان في إمكانك أن تتصف
بالحشمة وتبتعد عن جيني عندما عرفت أنها مخطوبة لرجل
آخر.» يا إلهي، كان شقيقها يحتاج إلى حس بالمسؤولية
دائماً، ولكن كان هذا برمته كثيراً جداً.
«لكنها لم تكن مخطوبة.» اعترض مايكل. «لم تشا تشأ ذلك،
على الأقل. و كنت وإياها نهتم دائماً ببعضنا بعضاً، غير أن
والديها لم يوافقا علىي، و...»
«لا يمكن أن ألوهمها.» قالت برونوين بصورة توشك فيها
على فقدان صبرها.

«كلا، إنك لا تدركين. أعرف أنني لم أكن معتدلاً كثيراً
كما لم أكن مستقراً، ولكنني أحببتي جيني. و كنت أود أن
أسعدها. ولكن والديها لم يريد لها أن تتزوج إلا برايس لأنه
كان يكبرها وكان أغنى منها كما أن والده كان مرشحاً
لرئاسة البلدية.»

ذلك كان صحيحاً، فكرت برونوين وتدبرت كيف كان آل
برايس يتبااهون بخطبة ابنتهم.

«على كل حال، لم يكن في إمكانهما إجبار جيني على
الزواج منه.» وأشارت برونوين لمايكل.

«كلا، إلا أنها أرهقها في النهاية، ودفعها إلى
الاعتقاد أنه لا يمكنها أن تسعد معه. إذ لم تكن تحلى في
تلك الأيام ببارادة قوية. ولا أعرف كيف هي الآن، لكنها كانت

في ذلك الوقت لطيفة وسهلة الانقياد ولم يكن عمرها أنداك
إلا سبع عشرة سنة.

«هل نجحت لهذا السبب في تركها تحمل طفلك؟» قالت
برونوين، وكانت قد بدأت تائف عادة السيدة دويل في
التعبير مباشرة.

«برونون!» هتف مايكل بتعجب. «كلا، لم يكن السبب. أقول
لك إننا كنا نعيش بعضنا بعضاً. وإن كنت تودين الحقيقة، ما
زلت أحبها. ولما علمت الآن أن برايس توفي، سأتجه
عائداً إلى الوطن لأرى ما إذا... ما إذا برأحت تريدينني.»
«آه.» ردت برونوين مفتونة بقوله. «ولكن، يا مايكل، إذا
كنت تحبها بقوة، فما السبب الذي دفعك في المقام الأول إلى
الهرب؟ ولماذا ترك سلايد تفعل ذلك؟»

لم يتركتني. فقد تكلمت معه من لندن هاتفياً. وبعد أن
وبخني وقال لي أي مجنون كنت وأستحق الرفس على
قفاي بقسوة، أدرك في النهاية أنني لن أرجع إلى المنزل
وكان ذلك عندما وافق على مساعدتي. وقال شيئاً عن كوني
ما زلت طفلاً سارحاً في الغابات، وإذا ما كنت مصرأ على
البقاء غبياً، فسيعمل ما في وسعه على تحقيق عمل ملائم
لي.»

«كونك غبياً؟» ردت برونوين متسائلة.

فرد مايكل: «أظن ذلك. فلم تتوافق والدتي ووالدي أبداً
عليه، إلا أنه كان فعلاً الرجل الذي أبقاني بعيداً عن
المشكلات... معظم الوقت.»

أجل، فكرت برونوين موافقة، إلا في المرة الأكثر أهمية.
عندما كان مايكل مشغولاً بوضع جيني في طريق العائلة.

وابتسمت على الهاتف باشمتاز. حتى سلайд لم يكن متوقعاً منه أن يتمكن من الحصول دون ذلك.

قالت بعد لحظة تفكير: «يمكنتني أن أرى سبب شعور سلайд بالالتزام في مواصلة إبقائك بعيداً عن المشكلات. فهو من ذلك النوع من الأشخاص. إلا أنني لا أرى سبباً حتم عليك الهرب فعلاً... مما كدر أمري وأبي. فلماذا لم تبق وتناضل من أجل جيني؟»

«لقد حاولت. ولم نعرف أنها كانت حاملاً حتى بعد أن رضخت للضغوط ووافقت على أن تخطب لبراييس.» لكن حتماً كان يمكن لذلك أن يشكل سبباً لفسخ الخطوبة؟ «لم يدعها تفعل ذلك. كان برايس مغرماً بها. وقال إنه سيعمل على تربية الطفل بنفسه، وإذا لم أغادر البلد بسرعة فسيكسر كل عظام جسدي. وكان قادرًا على فعل ذلك تماماً. وقد أخبر جيني أيضاً أنه إذا لم تشجعني على الرحيل، فسيأخذ في تكسير عظامها هي. ذلك ما حملني على الرحيل في نهاية المطاف. لقد أخذ بها الخوف، حتى أنها لم تكن متأكدة من حبها لي بعد ذلك، وقد توسلتني لأرحل، ولا أواصل الاحتكاك بها. ذلك كان السبب في عدم معرفتي....» توقف وتنحنح بصوت مرتفع وأكمل: «على أية حال، تصورت أنه بخروجي من الصورة، فقد تتاح لها فرصة لا يأس بها لتكون فيها سعيدة. ولا أظن أن برايس كان رجلاً عنيفاً بصورة طبيعية. كان مغرماً فقط. ولم يكن ذلك الذي يستسلم.»

أما مايكل فكان كذلك، فكرت برونونين. لكنه أصبح الآن أكبر من ذي قبل ويجوز أن يكون أقوى. وربما مع حب

جيني وولد يعتني به قد يتعلم في النهاية أن يكون رجلاً. وتنهدت برونونين وقالت: «حسناً، أتمنى لكما حظاً سعيداً!» وكانت تعني ما تقول.

أجل، قد يكون مايكيل بحاجة إلى الحظ، واسترسلت في التفكير وهي تضع سماعة الهاتف في مكانها. إنما، قد تكون هي بحاجة إلى الحظ أكثر منه. لدى سلайд الكثير ليصفح عنه. ولم يثبت لها أنه رجل يصفح بعفوية طيبة عن أخطاء الآخرين.

رجع عند وقت الغداء وهو يبدو شبيهاً بجوبيتر وهو ينزل من عرشه ليشير المشكلات بوجه أول انسان غير محظوظ يعبر طريقه.

«ها.» قالت السيدة دويل، التي كانت تقف بجانب برونونين قرب نافذة المطبخ: «لم يجد ذلك الشخص الذي كان يريد أن يرفسه.»

قالت برونونين بصوت خافت: «أظن أن ذلك الشخص كان أنا فعلًا.»

هممت السيدة دويل ثم قالت: «على الأرجح. إلا أنه سيستدعيوني إلى التدخل، إذا حاول ذلك.» وتناولت السيدة دويل بيسباساً مفتولار خاصياً وهزت به باتجاه السقف مهددة. ثم أنزلته مرة ثانية وأضافت شبه نادمة: «لن يحاول ذلك، على كل حال. فهو ليس من ذلك النوع الذي يجرؤ على ذلك.» اكتشفت برونونين، التي كانت قبل برهة توشك على الانفجار باكية أنها كانت بدلاً من ذلك تضحك.

«أنت ساخرة، يا سيدة دويل.» قالت برونونين مجازفة وهي تمسح بيدها عينيها. «شكراً لك.»

ولما ذهبت تبحث عن سلايد، الذي توارى حول جنبات المنزل كان الخفافيش كانت تلاحقه من الجحيم، سمعت السيدة دوبل تتمتم من ورائها: ساخرة حقاً. زيت خروع، ما أذنك تعنين.»

وجدت برونوين سلايد يتكئ إزاء شجرة سنديان بالقرب من الجدول. كان يرتدي بنطلوناً قشدي اللون وقميصاً أصفر. وكانت يداه في جيبيه يحدق بالمناظر البرية وفي عينيه قنوط مطبق فشعرت وهي تراقبه برغبة في البكاء.

نادته بهدوء وهي تقترب منه: «سلايد، سلايد، إنني آسفة.»

أدار رأسه، ولكن بقي التعبير السقيم مسيطرًا عليه، وسألها دون اكتتراث مما جعلها تشجب: «لماذا أنت آسفة؟» «لأنني لم أثق بك حيال جيني..»

استدار مرة أخرى وقال: «لقد فهمت، كنت تتحدثين مع مايك». «أحيطت برونوين رأسها وقالت: «نعم. لكن لم أكن بحاجة إلى ذلك.»

«ألم تكوني؟ وهل تحاولين أن تقولي لي إنك رأيت النور فجأة؟ وأن صوتاً من الأعلى، صوت مايك بالتأكيد، أعلن لك من وراء السحاب برأعتي؟»

كان سلايد يتكلم بمرارة حادة أذهلت برونوين، التي أجبت بما أمكنها من لطف: «كلا. فقد فكرت ملياً. استعملت عقلي، بدلاً من الإنجرار إلى التعامي بالوفاء العائلي.»

فقال ساخرأ: «الشيء الوحيد الذي يرجح أن يعميك حول هذا المكان هو بدلة السيدة دوبل الرياضية الصفراء.»

نظرت إليه بعينين ضيقتين وهي تتساءل فيما إذا كان يحاول إخفاء مشاعره خلف ذلاقة لسانه؟ أو هل كان يستفزها؟ لا، حتماً لا. ليس الآن، من بين جميع الأوقات، عندما كانت تحاول أن تصحح أخطاءها.

أمعنت فيه النظر وتتفرس منه عن كثب وقررت أنه لم يكن يستفزها. ولم تكن الأحاديد العميقه بجانب فمه مجعدة من الضحك. «سلايد، أحياول أن أقول لك إنني آسفة.» «هذا رائع. لقد قلت لي ذلك..» «سلايد....»

«انظري..» قال سلايد وهو يبتعد عن الشجرة ويستدير ليواجهها. «اعتذرنا، وقبلت اعتذارك. دعينا من ذلك الآن.» «لكن لم تقبل بأي شيء. أنت غاضب ولا ألومك. وطبعاً كان يتوجب علىي أن أدرك أنك كنت آخر رجل الأخير على وجه الأرض الذي ينتهز الفرصة ويستفيد من جيني. ولكن، يا سلايد، إن مايك هو شقيقتي. لم أفك...» «إلى أن أخبرك.»

«لا. لقد تكلمت مع مايك فعلاً، ولكن لم أكن بحاجة إلى ذلك. لقد بحثت عنك أولاً، إنما لم أتمكن من العثور عليك..» قالت هذا وفتلت خصلة من شعرها الأحمر حول اصبعها وأضافت: «في الواقع، كان يجب أن أدرك الحقيقة منذ زمن بعيد. لكن لم يحدث يوم بداعك كل شيء قد سقط في مكانه. أنا... أنا أحبك، يا سلايد. أظن... آمل... هل هناك أية فرصة تسنج لتحبني فيها أيضاً؟» ومدت يدها وكانت عيناهما رماديتين داكنتين كبيرتين. لكنه تراجع كان لمستها قد تودي بقتله.

«طبعاً أحبك». أجاب بقسوة باللغة مما دفع برونونين إلى الذعر. لماذا تفكرين أنتي أردت أن أضربك ذلك اليوم على أذنيك؟ ولماذا طلبت منك أن تتزوجيني، بحق السماء؟ أتصدقين أنه بعد أن رفضتني كان لدى أمل ضئيل في أن تكوني حاملاً حتى أحملك على تغيير رأيك؟ آه، لقد عرفت أنه لم يكن لديك رأي حسن بأخلاقي، لكنني فكرت لو أنتي ألمكن من إقناعك بأن تتزوجيني، فعاجلاً أم آجلاً سوف تفهمين أنتي لم أكن رجلاً يحب بخفة... أو يملأ الأرض بأطفال غير مرغوب بهم». ونظر إلى قمم الأشجار وجعلها صوته اللاذع تجفل وقال: «لم يكن في إمكانني أن أحدم ثقتك بشقيقك، يا برونونين. فماذا يمكن أن تفكري بي لو أنتي دافعت عن نفسي بجين بحسب اللوم على مايك؟»

«ذلك هو الشيء الصحيح.» قالت بهدوء. وكانت قسوة سلайд غير المتوقعة تمزقها. وقد ألحقت بها هزيمة، مع أنها فهمت الآن أن اتهاماتها يجب أن تكون قد ألحقت به أذى لا يطاق... .

وتجمعت أفكارها الصالحة فجأة، كأنها سمعت صوتاً يخرج من وراء الغيم حقاً.

لقد قال سلайд للتو أنه يحبها. حتماً ذلك هو الشيء الوحيد الذي كان يهم؟ «قلت إنك تحبني.» همست. «أرجوك، ألا يمكننا أن نبدأ من جديد؟»

لقد اعتقدت ذلك في وقت ما. أجاب ببرودة لاذعة كانت تدفعها إلى الصراخ. «وكما أخبرتك، كنت مقتضاً أنك لو تزوجتني فقد تعلمين أن تحبني أكثر مما صدف أن رأيت

مني.» والتوى فمه بقساوة وقال: «كنت أعرف أنه لم يعقك أي شيء..»

«ولكن أحب فعلًا...»

«نعم، قلت ذلك. وأظن أن ما كشفه مايك قد يسلط ضوءاً مختلفاً على المسألة.»

«سلайд أحبيتك من البدء تقريباً. وقد أخبرني مايك فقط ما كنت أعرفه من قبل.» لقد قاومت الإلحاح في أن تتوسل عندما شاهدت خط فمه الذي لا يغفر.

لم يجب. وعندما تجعدت شفتاه بسخرية باهتة شعرت أنها عاجزة. وكانت يداه ما زالتا في جيبيه ورأسه إلى الوراء يعرض شرائين عنقه المجدولة. وكان النسيم يلعب بشعره وينشره فوق جبينه بإغراء.

حدقت برونونين به وهي قانطة متشوقة إلى لمسه لتمرر يديها عبر شعره. لكن لم يكن هناك أي شيء مشجع من جانبه، وعرفت إن هي حاولت الوصول إليه فقد يرفضها وفجأة لم تتمكن من تحمل رفضه أكثر من هذا.

وباهة أشبه ما تكون من حيوان جريح، ابتعدت تتعثر فوق العشب.

كانت عيناهما مفعمتين بالدموع، فلم تتمكن من رؤية وجهة سيرها، وأصبحت تدرك بعد فترة أن الأرض لم تبق بعد الآن معشوشبة تحت أقدامها بل مرصوفة رصفاً قاسياً. وراحت تخرج متعرثة في بؤسها إلى الشارع. وكان الجدول الذي يختاره مبتعداً عن الحديقة يتذبذب متقرقاً بجانبها. توقفت، وألقت بيدها فوق عينيها، ولمحث في تلك اللحظة شيئاً أزرق رمادياً يلوح في الضباب.

إنها حافلة.

أومأت بذراعيها بصورة جنونية، ورجعت إلى الوراء، وشعرت بالهواء يلسع وجهها، وسمعت هدير المحرك... ثم زلت بها قدميها على كومة وحل فسقطت على أثرها نحو المياه الجاربة.

لم تكن تلك السقطة طويلة، وكان الجدول بارداً منعشأً. رأت أمام عينيها أنواراً ملونة غريبة حدق فيها مستطلعة، دون أن تكرث بتليل قنورتها الزرقاء وبلوزتها البيضاء، ودون أن تكرث بأي شيء آخر بعد الآن على الإطلاق... «برونوين برونوين، يا حبيبي، استيقظي».

كانت مبتلة حتى جلدها، لكنها لم تكن بعد ذلك في الجدول وكان يبدو صوت سلايد قريباً منها بصورة مدهشة. فتحت أ劫انها بتناقل لا عجب إن كان يبدو قريباً. وقد حملها بين ذراعيه وصعد بها الدرج إلى البيت. وكان قميصه الأصفر مبللاً مثل بلوزتها، ولم تعد النظرة في عينيه باردة وساخنة ولكنها كانت دافئة وقلقة. هل ماتت بعد كل ذلك وذهبت إلى السماء؟ وقررت على كل حال أنها كانت حيث تريد أن تكون، وأغمضت عينيها مرة أخرى متتمة راضية... «برونوين، قلت استيقظي..»

«هم؟»

وكانت في فراشها الآن، ومع أنها كانت تشعر بالدفء تحت الأغطية، فلم يبد أنها كانت ترتدي ثياباً. وكان صوت سلايد أمر لها يصرخ في أذنها. «أنت تثير ضجة كبيرة..» قالت بصوت مغمغم.

«سأثير أكثر من ضجة إن لم تفتحي عينيك. فلا بد أن تبقي مستيقظة، يا برونوين. لقد أصيّب رأسك..»
«أعرف. ذلك كان جميلاً.»

سمعت أنه غضب. «إذا توجب علىي أن أجبرك على البقاء مستيقظة فلن تجدي ذلك جميلاً على الإطلاق..» هددتها بقوله.
«لن أجده؟» تمنت. وشعرت بيده تحيط بركها، فأضافت:
«أحب ذلك..»
«حسناً، لن تحببـي ذلك إذا ما استمررت باغماض عينيك. قلت، افتحي عينيك..»
وبـدا شرساً للغاية حتى قررت أنه من الأفضل لها أن تفعل كما قال.

«ذلك أفضل..» قال وقد انحسر العبوس من بين حاجبيه. وللحـال هـز رأسـه وقال: «هل لديك أـية فـكرة عن مـدى اـهمـيـتك بالـنـسبـة لـيـ، يا بـرونـوـينـ سـلاـيدـ؟»
«برـونـوـينـ سـلاـيدـ؟ اسمـيـ... أوـهـ. لاـ. ليسـ ذـلـكـ، أـلـيـسـ ذـلـكـ؟»
ابتـسمـ، وـكـانـتـ اـبـتسـامـتـهـ رـقـيقـةـ لـلـغاـيـةـ. «لاـ، يا حـبـيـ. ليسـ ذـلـكـ.»
وـردـتـ لـهـ اـبـتسـامـةـ حـالـمـةـ وـقـالتـ: «ـقـلتـ لـيـ، يا حـبـيـ وـحـبـيـتـيـ..»

«ـلـأـنـكـ ذـلـكـ. لاـ تـحاـولـيـ أـنـ تـقـتـلـيـ نـفـسـكـ مـرـةـ أـخـرىـ..»
ـطـمـ أحـاـوـلـ...ـ وـتـحـولـتـ اـبـتسـامـتـهاـ إـلـىـ عـبـسـةـ أـذـتـ رـأـسـهـ. «ـأـنـكـ تـحـولـ إـلـىـ إـنـسـانـ..»
ـاعـتـقـدـتـ أـنـنـيـ غـاـضـبـ. وـكـانـ دـكـتوـرـ سـوـاـيلـ مـقـتـنـعاـ بـذـلـكـ فـيـ آـخـرـ زـيـارـةـ لـهـ..»

«كلا، أعني أنك كنت بجانب الجدول غاضباً...»
 أبعد شعرها عن وجهها بيده برقة وأجاب: «أعرف ذلك.»
 وأسدل أهدابه الكثيفة لتغطي عينيه وقال: «أخشى أنتي، يا
 عزيزتي، بعد مضي عدة أيام على زواجي منك، والتي
 أمضيتها وأنا بودي أن أقتلك رويداً نظراً لأنني لم أتمكن من
 دفع نفسي لأعبر عن حبي، لم أكن في أي مزاج لأهداً بسبب
 اعتذارك الذي شعرت أنك لست بحاجة له في الدرجة
 الأولى.» وابتسم بكاءً. «أترين، لقد أحببتك منذ مدة طويلة،
 لقد كنت قبل ثمانية سنوات مشغولاً جداً عن الاقرار بذلك
 لنفسي. ثم التقى بك من جديد، وعرفت للحال ما أريد. وقد
 فكرت بمحنة في أن أقيم علاقة معك مع أنه لو تزوجتك
 لكان كل شيء سار على ما يرام. إلا أن ذلك لم يحدث. لم
 أتزوجك، لأنني وجدت أنه لا يمكنني أن أقيم علاقة مع امرأة
 تكرهني... مهما كنت أريدها ومهما كانت تتوقع إلى
 جسدي..» ونظر إليها وهو يهزأ من نفسه وأردف: «وبكلام
 آخر، وجدت نفسي في ورطة.»

هزت رأسها، وتمتنع بعديذل لو أنها لم تقم بذلك. فقد أذى
 ذلك رأسها. فقالت: «أرى ذلك فعلًا... ما الذي دفعك إلى أن
 تهدأ بعد كل ذلك؟»

«يمكنني القول إنني فهمت ذلك، على كل حال. كانت
 الأمور تتداعى بسرعة عندما تبعتك إلى الطريق ورأيت
 تحاولين قتل نفسك أمام عيني. قبل طرف أنفها. واعتقدت
 أن البداية كانت على وشك أن تمسني نهاية، وأن كل شيء
 يدور في حلقة مفرغة وأنك كنت على وشك أن تقتلني فعلًا
 بالحافلة، كما جاء في الصحيفة. وعرفت أنذاك تماماً أنتي

لم أشا أن أعيش في عالم لا توجد فيه أية امرأة صهباء
 تدفعني إلى الجنون.»

«آه، يا سلайд» تمنت، وهي تمد يدها وتلمس بها كتفه
 الذي كان ما زال مبللاً. «إنني آسفة جداً.»

أخذ يدها ولثمتها وقال: «لقد كنت مسؤولاً بقدر ما كنت
 أنت. إنني أدرك ذلك الآن. طبعاً أنت تصدقين شقيقك. ولم
 يكن لديك أي سبب يحملك على عدم تصديق كل تلك الإشاعات،
 لاسيما عندما رفضت أن أنفيها. كان يجب علي أن أعتبر على
 طريقة أقنعتك بها دون أن الحق ضرراً بسمعة مايك.»

والحقيقة أنتي كنت متكبراً إلى درجة لم أحاول فيها.»
 سحبت أصابعه من بين أصابعها ومررتها على القماشة
 التي تغطي صدره. فتحركت في داخلها حاجة ملحة. وقالت
 برقة: «لقد أذيتك. وليس هناك من خطأ في الكبراء. ولو أن
 مايك كان لديه مزيداً منها، فربما كنا جميعاً ما برحنا
 موجودين في بونتغلاس. ومن ناحية أخرى، ربما كان ذلك
 بسبب أنك كنت مكابرًا إلى درجة ملحوظة، وبديت أكثر
 صموداً من مايك، مما دفع الجميع إلى الاعتقاد أنك كنت
 الطرف المذنب.»

«يجوز.» قال ذلك وحنى رأسه ثم رفعه مرة أخرى
 بسرعة. «هل صدمك الأمر بالنسبة لمايك؟»

تنهدت وقالت: «لا، لا أظن ذلك. ليس فعلًا. إنما شكل إحباطاً
 شديداً، بالطبع. لكنه شقيق، وينبغي أن أقف بجانبه.»

همهم، وقال: «أعرف ذلك. أنا صديقه، وأأشعر الشعور
 نفسه.» عبس ورجع إلى موضوع نكرته من قبل وقال:
 «أشك في ما إذا كنت بقيت في بونتغلاس. سواء مع مايك أم

دونه أظن أنني كنت في ذلك الحين قلقاً ومستعداً للإنتحال
بحثاً عن شيء ما.
«ما الذي كنت تبحث عنه؟»

حرك كتفيه وقال: «كنت أبحث عن الحب. الشيء الوحيد
الذي كنت أود أن أقاتل من أجله. في بادئ الأمر من ذوي
الذين كانا يعشقان الزجاجة أكثر مما يعشقان أي شيء
آخر. ومن ثم من عمتي تيريز التي كانت ذات مزاج خاص لا
تكتثر إلا به. وأخيراً، محبوبتي الصهباء، منك أنت... التي
أثبتت تحدياً أكثر منهم جميعاً.»
«لقد ربحت» قالت برقية، «وهرزمتني، يا سلايد.»
«كلا.» قال وهو ينحني ليقبلها. «لم أود أبداً أن أهزمك،
يا حلوتي برونوين. وأظن أن كلانا يتمتع بالمعركة كثيراً.»
ضحك برونوين وقالت ساخرة: «لم أفك أبداً أنني كنت
علاقة.»

هز سلايد برأسه وأجاب: «لست بعلاقة، يا حبيبي،
ولكن ليس أكثر من قاتلة بعوض. وعندما تنزلين تحت جلد
رجل فإنك تثيرينه إثارة لا حد لها.»

«أشكرك، إنك تجعلني أبدو كمن أصيب بالحصبة.»
ابتسم سلايد وقال: «ليس بالحصبة، بل بحكة دائمة. حكة
لا بد أن أعالجها في اللحظة التي تخبريني فيها أنها
داهمتك.»

«لقد داهمتني.» قالت هذا ووضعت ذراعيها حول عنقه.
ضحك سلايد، ورمى بنفسه إلى جانبها وهو يضم رأسها
إلى كتفه. «أتذكرين الحديقة الصينية؟» سألها وهو يفاجئها
بتغيير مزاجه بسرعة.

«طبعاً، لماذا؟» أجبت متسائلة.

«أعتقد لأنني وجدت مكاناً أكثر بهجة لقلبي.»

سأله وهي تمرر اصبعها فوق وجنته. «أين؟»

«هنا. وفي أي مكان أكون فيه معك.»

ابتسمت برونوين وقالت دون اكتراث: «قلبي يقول لي
الشيء نفسه.» فهل تعرف أنك مبتل؟»
همهم قائلاً: «إنني مبتل، أليس كذلك؟ وأنت عارية كذلك.
ونذلك كما يجب أن تكوني.»

عبرت السيدة دوبل الباب بعد لحظات قليلة، ولدى
سماعها تمتمهة رجل خافتة تبعتها ضحكة امرأة منقطعة
الأنفاس، هزت برأسها هزة رضى وتمتمت بصوت عال بأنه
قد حان وقت بدء شهر العسل.

ولو أن أيّاً من اللذين كانوا في غرفة النوم سمعها، لكان في
إمكان أيٍّ منها أن يطمئن السيدة دوبل إلى أن شهر العسل لم
ينطلق فقط، ولكنه راح يحلق بعيداً في السماء أيضاً.

«تواجه السيدة بيكرسلي مشكلة.» همست برونوين
لسلايد.

رفع سلايد كأس الشراب وابتسم ساخراً وقال: «السيدة
بيكرسلي مشكلة بحد ذاتها، يا عزيزتي، فخذليها كلها.»

ضحك برونوين ونظرت في أنحاء الغرفة المغمورة
بأشعة الشمس والتي كانت قد امتلأت بجمع من الثراثيين
الذين قدموا للتهنئة. وكانت السيدة بيكرسلي تقف بجانب
النافذة تحدق بورقة الكتابة وتلوح بها بوجه أي شخص ضل
طريقه ليقترب منها.

لقد مضى الآن ستة أسابيع على اليوم الذي سقطت فيه برونوين في الجدول واكتشف سلайд يومها أن الحياة من دون عروسه الصهباء لن تحتمل. واليوم يستقبلان المهنئين كما وعدها ليلة تقدم فيها طالباً يدها. وسيغادران إلى اليونان غداً.

كان معظم الضيوف من أصدقاء سلайд، طبعاً، مما دفع برونوين إلى الإصرار بضم السيدة بيكرسلي.

وفسرت ذلك بقولها: «إنها وجه معروف هنا. وباستثناء سكريتيرتك والسيدة دوليل، فلم تتنسّ لي الفرصة لأنّ تعرف إلى أصدقائك».

«ستتعرفين، كما ستختاري أصدقاءك الخاصين. أما الآن فأريدك لنفسي». وكان له ما أراد، إلا عندما كان العمل ومايكيل يعترضان وقته.

وكان مايكيل، لسوء حظ برونوين، قد غادر فانكوفر قبل أسبوع. وفي اللحظة التي انتهت فيها قضية المحكمة وتم إصدار الحكم على مهاجمه، استقل مايكيل أول طائرة متاحة وطار فيها إلى لندن. وكانت قبل يومين قد تلقيا مكالمة هاتفية منه أخبرهما خلالها أنه تزوج جيني وأنّ بوببي الصغير هو ابن رائع يمكن لأي أبو أن يتمناه لنفسه. وعندما أضاف أنه ينوي أن يدبر دكان العائلة وجدت برونوين نفسها تمسح دمعة ذرفتها.

وكانت متاكدة أن والديها أينما كانوا في العالم الآخر، فلا بد أن يعرفا بشكل ما ويسعدا بذلك.

«ما تحمل تلك القسمة من الورق التي تلوح بها السيدة

بيكرسلي؟» سأله متتسلاً وهو يعيد برونوين إلى الحاضر من جديد.

ضحكـت ضـحـكة خـافـتـة وـطـمـرـتـ أـنـفـهـا بـكـأسـهـا.

«يفترض أن تحتسي الشراب احتسـاءـ وـلـاـ تـشـفـيـهـ شـفـاـ» قال سلـاـيدـ بـجـفـاءـ: «ـمـاـ الـمـمـتـعـ فـيـ الـأـمـرـ؟ـ»

استدرـكـتـ بـرـوـنـوـيـنـ نـفـسـهـاـ وـقـالـتـ: «ـيـظـهـرـ أـنـهـ تـلـقـتـ رسـالـةـ خـيـالـيـةـ تـامـاـ مـنـ موـاطـنـ قـدـيمـ قـامـتـ بـزـيـارـتـهـ كـإـجـرـاءـ لـكـونـهـ تـشـكـلـ شـخـصـاـ مـكـرـسـاـ لـلـنـاسـ.ـ وـقـدـ أـطـلـعـهـاـ أـنـ تعـلـيـلـهـاـ لـاخـتـراـقـهـاـ سـيـاجـهـمـ فـقـطـ بـسـبـبـ تـوقـفـ سـيـارـةـ أـخـرىـ قـرـيبـاـ جـداـ مـنـهـاـ لـيـسـ تـعـلـيـلـاـ كـافـيـاـ تـامـاـ.ـ وـقـدـ اـسـتـاءـتـ تـامـاـ لـأـنـهـ أـوـرـدـواـ نـذـكـرـ كـتـابـةـ،ـ بـنـاءـ عـلـىـ نـصـ قـانـونـيـ،ـ فـإـذـاـ كـانـ طـرـيقـهـمـ مـعـرـقاـ لـسـبـبـ أوـ لـأـخـرـ،ـ فـلـاـ يـمـكـنـهـاـ أـنـ تـنـتـلـقـ وـتـخـتـرـقـ طـرـيقـاـ لـهـاـ بـتـلـكـ السـهـولةـ.ـ»

«ـوـطـبـعـاـ لـاـ تـفـهـمـ لـمـاـذاـ،ـ وـنـذـكـرـ بـالـتـحـدـيـ هوـ ماـ كـانـ تـفـعـلـهـ دـائـمـاـ.ـ»ـ قـالـ سـلـاـيدـ وـوـضـعـ كـأـسـهـ عـلـىـ الطـاـوـلـةـ بـسـرـعـةـ وـاسـتـدـارـ فـيـ حـيـنـ كـانـتـ السـيـدـةـ بـيـكـرـسـليـ تـلـوـحـ عـلـىـ الغـرـفـةـ،ـ وـتـمـتـمـ مـنـ فـوـقـ كـتـفـهـ.ـ «ـأـقـدـمـ تـعـازـيـ لـلـمـوـاطـنـيـنـ الـقـدـماءـ.ـ»ـ اـتـجـهـتـ السـيـدـةـ دـولـيلـ إـلـيـهـمـاـ،ـ تـتـلـقـ بـثـوـبـ بـرـتـقـالـيـ جـمـيلـ،ـ رـسـمـ عـلـىـ مـقـدـمـتـهـ حـرـفـ ٧ـ نـافـرـةـ،ـ مـاـ جـعـلـ أـعـصـابـ بـرـوـنـوـيـنـ تـتـوـتـرـ قـلـيلـاـ.ـ وـأـعـلـنـتـ بـصـوـتـ رـنـانـ:ـ «ـمـقـدـمـوـ الطـعـامـ يـمـزـجـونـ الـكـافـيـارـ بـالـفـوـكـادـوـ،ـ وـقـدـ وـضـعـواـ السـالـمـونـ بـجـانـبـ الـزـيـتونـ.ـ إـنـ مـزـيـجـ أـلـوـانـهـاـ،ـ يـاـ سـيـدـةـ سـلـاـيدـ،ـ لـاـ تـطـاـقـ،ـ لـاـ تـطـاـقـ.ـ»ـ كـرـرـتـ ذـكـرـ مـؤـكـدـةـ:ـ «ـكـانـ يـنـبـغـيـ أـقـدـمـ الطـعـامـ بـنـفـسـيـ.ـ»ـ

تراـجـعـ سـلـاـيدـ بـسـرـعـةـ مـنـ الغـرـفـةـ وـهـوـ يـضـعـ يـدـهـ عـلـىـ فـمـهـ.

قبل أن يتسلى لبرونوين فرصة تتحدث فيها إليه من جديد، كان الجميع قد خرجوا ما عدا مدبرة المنزل، التي كانت ما زالت تتذمر في المطبخ بصوت مرتفع. «وحك أخيراً.» قال سلайд وهو يتقدم وراءها بينما هي تنظر من النافذة إلى الخارج بصورة حالمه. أجابت: «ياستثناء السيدة دويل.» «صحيح. وسلام الصغير.» قال هذا، ووضع يده فوق بطنهما.

«ماذا لو كانت برونوين الصغيرة؟»

«كلا، أشعر أن هذا سيكون ولدأ. والأولاد الخمسة بعد ذلك سيكونون برونوين.» «خمسة!» صرخت متعجبة وأضافت: «إن كنت تفكـرـ يا سلـاـيدـ، بـتأـسـيـسـ سـلـالـةـ، أـعـدـكـ أـنـهـ سـيـكـونـونـ جـمـيـعـاـ أوـلـادـ وـسـأـسـمـيـ كـلـاـ مـنـهـ إـمـلـيـنـ.»

«إنك تسعين إلى المتاعب، أليس كذلك؟» قال ذلك وعيناه تلمعان.

ابتسمت برونوين بخبث وقالت: «يجوز. ذلك يعتمد على أي نوع من المتاعب.»

همهم سلайд، وضم خصرها ثم قال حالمه: «السيدة دويل مشغولة في المطبخ تبحث عن أخطاء. وستكون سعيدة لإنشغالها لعدة ساعات..»

«نعم، أظن ذلك.» واستدارت بين ذراعيه ومررت أصابعها في شعره الذي يحاكي نور الشمس وقالت: «سلام؟» «نعم؟»

«أليست أخطاء الصحف من حسن الحظ؟ ولو لم يقع ذلك، لما كنت هنا.»
أغمض عينيه قائلاً: «نعم. وإنـهـ لـحـسـنـ الـحـظـ أـيـضاـ أـنـ أـلمـ يـصـدـمـ الـبـاصـ.ـ وـأـرـجـوكـ،ـ يـاـ بـرـوـنـوـينـ سـلـاـيدـ،ـ لـاـ تـجـربـ الـقـدـرـ مـرـةـ ثـالـثـةـ،ـ وـإـلـاـ تـعـيـنـ عـلـيـ أـنـ أـسـجـنـكـ فـيـ غـرـفـةـ النـوـمـ..ـ»
«حسناً، طالما أنك هناك أيضاً، فيمكنني أن أعيش مع ذلك.» رفت برونوين بأهدابها وابتسمت متذكرة. «أتذكر وأنت تدخل ممر المستشفى وترمياني بتهمة كوني ما زلت حية؟»

« تماماً. وأنكر أيضاً أنك شكرتني على اثبات الحقيقة، مما دفعني للارتفاع كثيراً.»

«هل حدث ذلك فعل؟»

قال سلайд: «إنك على وشك مواجهة المتاعب التي تسعيـنـ إليهاـ.ـ نـعـمـ حدـثـ ذـلـكـ قـعـلـاـ فـلـمـ أـتـمـكـنـ مـنـ اـتـخـازـ قـرـارـ بـشـأنـ ماـ إـذـاـ كـنـتـ أـوـدـ أـنـ أـضـحـكـ أـوـ..ـ»

«لم تفعل أيـاـ منهاـ.ـ»

«أعرف ذلك.» وضحك بصورة ماكراً. وقبل أن تتمكنـ منـ فـتـحـ فـمـهـ كـانـ يـتـنـاـولـهـاـ وـيـضـمـهـاـ بـذـرـاعـيهـ وـقـالـ:ـ «ـلـقـدـ فـعـلـتـ شـيـئـاـ أـكـثـرـ عـقـلـانـيـةـ مـنـ ذـلـكـ..ـ»

«نعم.» أجابـ بـرـوـنـوـينـ،ـ وـهـوـ يـحـمـلـهـ عـبـرـ الـمـمـرـ.ـ «ـلـقـدـ تـزـوـجـتـنـيـ،ـ أـكـانـ ذـلـكـ عـقـلـانـيـةـ؟ـ»

أجابـ صـرـاحـةـ وـهـوـ يـرـفـسـ بـاـبـ غـرـفـةـ النـوـمـ وـيـفـتـحـهـ.ـ «ـلـاـ يـجـبـ أـنـ أـظـنـ فـيـ ذـلـكـ..ـ لـكـنـ شـيـئـاـ مـاـ يـقـولـ لـيـ بـأـنـ الـعـقـلـ لـاـ يـرـجـعـ أـنـ يـتـعـلـقـ كـثـيرـاـ بـحـيـاتـيـ مـنـ الـآنـ فـصـاعـدـاـ.ـ»

يرجـعـ أـنـ يـتـعـلـقـ كـثـيرـاـ بـحـيـاتـيـ مـنـ الـآنـ فـصـاعـدـاـ.ـ «ـقـدـ تـكـوـنـ مـحـقاـ.ـ»ـ قـالـتـ موـافـقـةـ وـهـيـ تـلـقـيـ بـنـظـرـةـ مـنـ فـوقـ

كتفه. «ومن ناحية أخرى، ما زال لدى احساس قوي بالحفظ على نفسي، ولا أظن أنها فكرة جيدة إلقاء الحذر في مهب الريح بصورة كاملة.»

«لِمَ لَا؟» والتقت أعينهما، قوية واثقة ومتملكة.

«حسن، لست متأكداً أن هذا هو الوقت الصحيح والمكان...»

«أي وقت هو الوقت الصحيح والمكان...» وتوقف فيما نظرته المدهوسة تقع على غطاء سرير قرمزي مزرκش بلون فضي وذهبي. وكانت وراءه خزانة مفتوحة مملوءة بالثياب الرياضية الملونة.

«أوه، لا.» قال: «لا، كنت أعرف دائماً أن بإمكانك أن تدفعيني إلى الجنون، يا حبي، لكن...»

«ولكن لم تفك أن بإمكانني أن أنسيك نفسك إلى درجة أدفع بك إلى غزو مخدع السيدة دويل؟ المعروفة من ناحية أخرى بجنة الثياب الرياضية؟»

هز سلайд برأسه، وأجاب وهو يبدل الطريقة التي كان ابتدأ بها يتحقق: «جميع الأمور معك ممكنة، والتي أود أن أثبتها لك الآن مباشراً.»

رفس الباب الصحيح وفتحه هذه المرة، وألقى بها فوراً على الفراش.

وراح يثبت لها قصده.